سياسات

SEYASAT

فصـــــلية تـصـــدر عـــن معـــهـــد السياسات العـــامـــة

رئيس التحرير: د. عبد الله النجار

مدير التحرير: أكرم مسلّم

هيئة التحرير

د. محمد عودة، د. عاطف أبو سيف

المراسلات: معهد السياسات العامة، عمارة ابن خلدون، المصيون، رام الله، فلسطين، تلفاكس: ٢٩٥٩٣٠٦ – ٠٢

صفحة معهد السياسات العامة الإلكترونية: www.ipp-pal.ps

بريد «سياسات» الإلكتروني : info@ipp-pal.ps

رام اللّه (عدد ٥٩) أيلول ٢٠٢٤

الإخراج والطباعة : مؤسسة "الأيام" – رام الله – فلسطين

التصميم الفني ولوحة الغلاف: مطبعة «الأيام».

صورة الغلاف: لوسط جنين يوم ٤ أيلول الجاري بعد أن جرّفته آليات الحتلال. (أ. ت. ب)

المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة أو المعهد

معهد السياسات العامة، جمعية أهلية تأسست عام ٢٠٠٦ في رام الله، تُصدر إلى جانب «سياسات» أوراق تقييم أداء، وأوراقاً سياساتية إلى جانب تنظيم برامج تدريبية تندرج ضمن محاولة موسعة للمشاركة في تصويب الأداء المؤسساتي ورفد النقاش السياسي بالمعلومات الدقيقة والتحليلات المعمقة والأرقام.

ترحب «سياسات» بمساهمات الكتاب والباحثين الفلسطينيين والعرب في السياسة الفلسطينية وتشابكاتها الإقليمية والدولية، وفي البحث في السياسة العامة وتطبيقاتها. يتم تصنيف المواد إلى دراسات (٥٠٠٠-٦٠٠٠ كلمة) ومقالات (٣٠٠٠-٤٥٠٠ كلمة) وعروض كتب (١٠٠٠-٢٥٠٠).

بذلك ترحب «سياسات» بأي اقتراحات لعرض كتب سواء صدرت بالعربية أو بلغة أجنبية. مع مراعاة أن تلتزم المساهمات المقدمة القواعد المتعارف عليها في البحث والكتابة من حيث الأصالة والرصانة والصنعة العلمية، وألا تكون مقدمة لأي مكان آخر للنشر أو سبق نشرها مستقلة أو نشر جزء منها.

تبلغ «سياسات» الكاتب بقبول مادته للنشر في غضون شهر من تسلمها للمادة.

وتقدم «سياسات» مكافأة مالية على المواد التي يتم نشرها.

ترسل المواد على بريد المجلة الإلكتروني أو على عنوان معهد السياسات العامة البريدي.

الفهرس

- في البداية ٥
- ما بعد «طوفان الأقصى»: الأسئلة المؤجّلة/ أ. محمد هواش ٧
- الحراك العالمي ودور فلسطينيي الشتات/ د. صقر سليمان ١٥
- قراءة في تطورات المشهد السياسي بعد الانتخابات البرلمانية في فرنسا والمملكة المتحدة وانعكاسه على القضية الفلسطينية في ضوء الحرب/ د. عوض سليمية ٢٨
- رأي محكمة العدل الدولية الاستشاري وآفاق تنفيذه في ضوء قرار الكنيست منع إقامة دولة فلسطين/ د. عبدالله النجار ٤٠
- واقع العملية التعليمية في ظل الحرب الإسرائيلية وسبل الإنقاذ/ أ. إكرام عمر ٤٦
- توظيف الدين في الخطاب السياسي الإسرائيلي: تحليل خطاب نقدي لخطابات بنيامين نتنياهو خلال العدوان على قطاع غزة / أ. معين الكوع وأ. سامية بني شمسه ٥٤
- العدوان على غزة: توصيفات مغلوطة، وقائع متكشّفة وخلاصات / أ.عبد الغني سلامة ٧٥
- تسليح المستوطنين.. والإضرار بحقوق المرأة المقدسية بموجب قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥ / أ. نادين قرط ٩١
- غزة ما بين هول اليوم الأول والثالث/ أ. بكر أبوبكر ١٠٠
- الهويات المتخيّلة والعنف الرمزيّ/ أ. عبد الله زماري ١٠٧
- تعزيز الرواية الفلسطينية على «ويكيبيديا»: التحديات والفرص/ أ. رائد فارس ١١٣
- الدولة الفلسطينية وسياسات التخطيط الحضري/ د. مؤمن أبو عرقوب ١٢١
- غزة.. حرب الانتقام المسعورة! (مجموعة مؤلفين)/ أ. يوسف الشايب ١٢٨
- المكتبة ١٣٥

لا تزال الحربُ على غزةَ متواصلةً بكلّ وحشيّتها، تُفكّك المجتمع وبُناه وتَعصف بمنجزه الحضاريّ... تمحو عمرانه وذاكرته الجماعية، وتنقل حاضره المفتوح إلى المستقبل ليصبح ماضياً ناقصاً، بينما لا يزال العالم "الرسمي" يدبّج الإدانات على خلفيّة مشهد يتصاعد فيه الدخان من خيام النازحين المحترقة، وفيه يلمّ الناس فُتات أبنائهم المنثورة من على الرمال.

لكن ما لم يحسمه الاحتلال في النكبة الأولى لن يحسمه في ما يريده نكبةً ثانيةً، فغزة لن يبتلعها البحر كما تمنى إسحق رابين ذات يوم، والفلسطينيون لن يذهبوا إلى أي مكان، فسؤال الوجود الفلسطيني لم يكن منذ "بلفور" رهناً بإرادة القوى الكولونيالية الغاشمة وأدواتها، إنما بإرادة البقاء الفلسطينية أيضاً التي لا ترتضي بقاء منقوص الكرامة والحرية وحق تقرير المصير.

الثمن باهظ لأن إسرائيل فوق القوانين في منظور العالم الشريك في الجريمة، العالم الذي يتواطأ مع رفض إسرائيل تحييد المدنيين العزل، لكن موج الدم في هذه الحرب كان أعلى من سواتر أصدقاء إسرائيل وقدرة ماكينته الإعلامية على غسله وحبس تداعياته ومراكماتها.

في هذا العدد من "سياسات" نواصل مواكبة الحدث في غزة ونحاول التعمّق في فهم مغزاه الاستراتيجي وسياقه العالمي والإقليمي وتداعياته ومجالات التعامل معه سياسياً

وسياساتياً، ونوسّع التركيز على تشديد الاحتلال حملته على الضفة تحت راية الصهيونية الدينية وهي تحاول إسقاط هذيانها الغيبي على الفلسطينيين وأرضهم.

في العدد وتحت عنوان "ما بعد "طوفان الأقصى": الأسئلة المؤجّلة" يركز محمد هواش على ما يعتبره الدرس الأهم من بين كل دروس هذه المواجهة وهو: كيف ننجو من خسارة الحرب إذا خسرنا المعركة؟ وهل نستطيع؟ ليجيب عبر مساءلة الخيارات الميدانية والسياسية الفلسطينية بمختلف مكوّناتها في البحث عن مخرج ممكن.

أما د. صقر سليمان، فيضيء على الحراك العالمي ودور فلسطينيي الشتات، مركزاً على دور هذا الحراك ومآلاته وتأثيره المستقبلي. وتعميقاً لقراءة المشهد الدولي نفسه يقدّم عوض سليمية قراءة في التغيرات بعد الانتخابات البرلمانية في فرنسا والمملكة المتحدة وانعكاسها على القضية الفلسطينية في ضوء الحرب، فيما يقرأ رئيس تحرير "سياسات" عبد الله النجار رأي محكمة العدل الدولية الاستشاري وآفاق تنفيذه في ضوء قرار الكنيست منع إقامة دولة فلسطين، وما يضيفه إلى المشهد السياسي وما يفتحه من فضاءات.

وحول مرجعيات التدمير الذي تنفذه آلة الاحتلال، يراجع معين الكوع وسامية بني شمسة، توظيف الدين في الخطاب السياسي الإسرائيلي عبر تحليل نقدي لخطابات بنيامين نتنياهو خلال العدوان على قطاع غزة.

وفي ضوء فقدان طلبة غزة عاماً دراسياً، والصعوبة الكامنة في إنقاذ عامٍ ثانٍ، تقرأ أكرام عمر واقع العملية التعليمية في ظل الحرب الإسرائيلية وسبل إنقاذها، فيما يحلل عبد الغني سلامة مجموعة من المفاهيم الدارجة حول الحرب وانعكاساتها على التحليل وتأثيرها في الخيارات تحت عنوان "العدوان على غزة توصيفات مغلوطة، وقائع متكشّفة وخلاصات".

وتختتم "سياسات" محورها الرئيس بإضاءة خاصة على "تسليح المستوطنين.. والإضرار بحقوق المرأة المقدسية بموجب قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥" أنجزته نادين قرط، وحديث الكاتب بكر أبو بكر عن أسئلة الكتابة والكاتب في زمن الحرب تحت عنوان "غزة ما بين هول اليوم الأول والثالث".

ويضم العدد مساهمات إضافية تحت عناوين: "الهويات المتخيّلة والعنف الرمزيّ، أنجزها عبد الله زماري، و"تعزيز الرواية الفلسطينية على "ويكيبيديا": التحديات والفرص" أنجزها رائد فارس، و"الدولة الفلسطينية وسياسات التخطيط الحضري" أنجزها مؤمن أبو عرقوب، ليختتم العدد بما بدأ به، عبر قراءة في كتاب "غزة.. حرب الانتقام المسعورة! (مجموعة مؤلفين) أنجزها يوسف الشايب.

ما بعد "طوفان الأقصى": الأسئلة المؤجّلة

أ. محمد هواش*

فجّرت عملية "طوفان الأقصى" في ٧ تشرين الأول من السنة الماضية، ورد إسرائيل عليها بحرب تدميرية غاشمة على قطاع غزة طوفاناً من الأسئلة المؤجلة. ومع أن فصول هذه الحرب وتداعياتها لم تطوَ بعد، فلم تتحدد ملامح أكثر وضوحاً لأهدافها المعلنة، مثل نية إسرائيل تهجير سكان غزة وإعادة احتلالها كموطئ قدم جديد متقدم في حربها على الشرعية الفلسطينية... شرعية الكفاح الفلسطيني نحو إنهاء الاحتلال الإسرائيلي وإقامة الدولة الفلسطينية على كامل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ على قاعدة القبول الدولي العام والملتبس بمبدأ التسوية التفاوضية التي تحاول إسرائيل دفنها تحت ركام غزة ومخيمات الضفة.

ولهذا فإن الدرس الأهم من بين كل دروس هذه المواجهة هو: كيف ننجو من خسارة الحرب إذا خسرنا المعركة؟ وهل نستطيع؟

في الواقع، يرتكب جيش الاحتلال الإسرائيلي وآلته الحربية جرائم غير مسبوقة ضد الفلسطينيين وممتلكاتهم وآمالهم وتطلعاتهم الوطنية، من أجل خلق "واقع سياسي جديد" ينسف كل مكتسب حققه الفلسطينيون في غزة على الأقل منذ إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية في العام ١٩٩٤ إلى اليوم، بينما المعركة الأهم تجري على شرعية هذه التطلعات واللبنات الأولى لبناء مؤسسات الدولة الفلسطينية المستقلة.

الأسئلة الملحّة هنا: هل كان "طوفان الأقصى" خياراً واقعياً؟ وهل كان خياراً فلسطينياً بحتاً؟

* محلل سياسي.

وهل تُمكن أدوات الكفاح فيه من إضافة إنجاز ملموس إلى القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني في كفاحه التحرري من ربقة الاستعمار الصهيوني؟ أم يطيح ببعض أو كل مكتسباته في غزة على الأقل خلال الثلاثين عاماً الماضية، من دون إنكار المصاعب وأشكال الحصار التي فرضها الاحتلال الإسرائيلي على القطاع وسكانه منذ سيطرة حركة حماس على القطاع؟

بناءً على إيجابية أو سلبية الأجوبة؛ يمكن الحكم إذا ما كان الطوفان قفزةً في الهواء، أو لعبة إقليمية، أو مغامرة غير محسوبة النتائج، أفادت أو أضرت بفرص حل القضية الفلسطينية من خلال التسوية التفاوضية أو نسفتها تماماً. على الرغم من أن التاريخ سيكون أداة قياس لا ترحم في هذا المجال سلباً أو إيجاباً أيضاً.

يجدر هنا التذكير بأن الكتابة السياسية تختلف عن التعليقات السريعة التي تحاول وسائل الإعلام المرئية اختزالها بأبعاد خبرية وتسويقية لأفكار أو مشاريع أو مراكمة مشاهدين أكثر من مشاريع أخرى وتوظيفها.

فالكتابة تبحث في التقديرات السياسية إلى غيرها من الدوافع والاعتبارات والظروف التي أدت إلى انفجار الأوضاع على هذا النحو أو ذاك، بعيداً عن البطولة والشجاعة ونيات حركة حماس ومقاتليها مع الفصائل الأخرى. إذ لا يقاس هنا أي إنجاز بمستوى الأداء العسكري في الهجوم المباغت فجر السابع من تشرين الأول على قواعد ومواقع عسكرية في محيط قطاع غزة ومستوطنات الغلاف والسيطرة المؤقتة على هذه المواقع وقتل أو أسر عدد كبير من جنود الجيش الإسرائيلي وضباطه في هذه المواقع، إضافة إلى اختلاط هذه العملية العسكرية الناجحة بانهيار الجدار الحدودي وانفلات العملية على فوضى سببها اندفاع عدد كبير من الشبان المدنيين إلى المستوطنات وحملهم بعض المقتنيات واحتجازهم رهائن إسرائيليين كما شاهد العالم صور ذلك على شاشات القنوات الفضائية.

الإنجاز هنا يتعلق بالقدرة على توفير الوسائل والأدوات والعلاقات والجهود التي تسمح بالتصدي للعدوان الإسرائيلي وتحريك مستويات التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني ورفض ما يتعرض له المدنيون في قطاع غزة، وبقدرة الشعب الفلسطيني على درء مخاطر سياسية قد تترتب على خواتيم هذه الحرب، وأشدها خطراً على المستقبل الوطني والقضية الوطنية هو: نية إسرائيل تهجير مليونين ونصف المليون فلسطيني تقريباً من القطاع على قاعدة الإخلال بالتوازن الديمغرافي القائم اليوم بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط. إذ يوجد اليوم في هذه المنطقة الجغرافية ٧ ملايين فلسطيني و٧ ملايين يهودي بصرف النظر عن الشرعيات

القانونية والتاريخية. فإسرائيل تحاول اليوم استناداً إلى برنامج الحكومة ومركباتها اليمينية المتطرفة والكاهانية أن تفرض وقائع جديدة على الأرض في غزة والضفة الغربية بما فيها القدس تؤدي - إذا نجحت – إلى إلغاء فكرة حل الدولتين وتحويل الفلسطينيين إلى أقلية في دولة يهودية.

فقد سنت الحكومة الحالية وحكومات يمينية سابقة سلسلة قوانين عنصرية تمهد - إذا ما توفرت فرص لها - لضم الضفة الغربية، ونزع صلة الفلسطيني بأرضه، وتغيير مكانة الأماكن المقدسة، والسيطرة الكلية عليها وتهويدها، وكل هذه العناصر باتت معروفة ومعلنة بعد إطلاق الحرب الانتقامية على غزة كمقدمة لتغيير شامل في موضوع مستقبل القضية الفلسطينية.

خطة سموتريتش

خطة الحسم التي اقترحها وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش واضحة في ما يتعلق بالنوايا من جهة وتطبيقها التدريجي في الضفة، وعدم معارضتها جدياً من الحكومة الإسرائيلية ومركباتها العنصرية من جهة ثانية. فلم يسمع صوت جدي ضد هذه السياسة في صفوف المعارضة (أحزاب "ييش عتيد" بزعامة يئير لابيد، و"المعسكر الرسمي" بزعامة بني غانتس وغادي آيزنكوت، وحزب "إسرائيل بيتنا" اليميني بزعامة أفيغدور ليبرمان)، بينما لا يتحدث من يعارض هذه الخطة علناً مثل حزب العمل (قبل اندماجه مع حزب ميرتس اليساري تحت اسم الديمقراطيون).

خطة سموتريتش التي قدمها في العام ٢٠١٧ تحت اسم "أمل واحد" تحولت إلى خطة تطبقها الحكومة الإسرائيلية، وتُسارع مع كل تطور صغير في مجرى الحرب الإبادية إلى تطبيق أجزاء منها كإنشاء عشرات البؤر الاستيطانية في الضفة، وطرد سكان التجمعات البدوية في الأغوار وجنوب منطقة الخليل، والاستيلاء على عشرات آلاف الدونمات لصالح محميات ومناطق استيطان رعوي، غربي خط المدن وسط الضفة، كمقدمة للبناء الاستيطاني فيها، ومواصلة تسمين الاستيطان ببناء عشرات آلاف الشقق السكنية في المستوطنات بما في ذلك بناء مستوطنات جديدة، بالإضافة إلى نزع صلاحيات السلطة الفلسطينية المتعلقة بالبناء في المناطق المصنفة (ب) في الضفة وتشريعات مشابهة كثيرة في الكنيست.

إضافة إلى سرقة أموال الضرائب الفلسطينية تحت ذريعة "دعم أهالي الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين"، وخصم حصة غزة (موازنات حكومية ورواتب موظفين) من أموال المقاصة، والتهديد بمصادرة كل أموال المقاصة وإلغاء اتفاقات أوسلو التي تتعارض رسمياً مع خطط واشنطن لتطوير شراكات مع دول الإقليم

والسماح لإسرائيل بأي تفسير على حساب الحقوق الفلسطينية.

تقوم خطة سموتريتش هذه على فكرة جوهرية، هي حسم الـصراع الفلسطيني الإسرائيلي عبر خلق واقع عملي وسياسي يمنع ويحول دون إقامة كيان دولة بين نهر الأردن والبحر الأبيض سوى دولة إسرائيل، وترى أن وجود تطلعَين "قوميين" متعارضَين في ما يسميه "أرض إسرائيل" يشكل طريقاً لسنوات من إراقة الدماء، وأن الحل يتمثل في أن يتنازل أحد الطرفين (الفلسطيني) عن طيب خاطر أو بالقوة عن تطلعاته الوطنية، وعندها فقط يتحقق السلام، ويصبح التعايش ممكناً.

تشكل هذه الخطة انقلاباً صريحاً على كل السياسات الإسرائيلية المغمغمة سواء تلك التي كانت تهدف إلى إدارة الصراع، أو إلى تسوية لا تتضمن التطلعات الوطنية الفلسطينية، التي تعني تقسيم الأرض وإقامة دولة إلى جانب دولة إسرائيل.

مناسبة هذا الكلام هو الخطوات التي تنفذها إسرائيل في سياق الحرب على الشعب الفلسطيني وقيادته وفصائله ومشروعه لإنهاء الاحتلال سواء في قطاع غزة تحت ذريعة "الدفاع عن النفس" بعد ٧ تشرين الأول، أو حربها الحقيقية على مستقبل الضفة بما فيها القدس، بدعم مباشر سافر من دول الغرب الاستعماري التي ترفض إلى اليوم الدعوة إلى وقف إطلاق النار، وتحمي إسرائيل من أي مساءلة قانونية عن الجرائم التي ترتكبها، ولا تتحدث هذه الدول (بالمناسبة) عن جريمة قتل الجيش الإسرائيلي وجرحه أكثر من ١٥٠ الف فلسطيني في قطاع غزة، غالبيتهم من الأطفال والنساء، وقتل ٦٣٠ فلسطينياً في الضفة وجرح المئات واعتقال أكثر من ١٠ آلاف.

تتلخص "الجريمة في احتجاز نحو ١٠٥ إسرائيليين لدى حركة حماس في قطاع غزة، من دون أي إشارة واضحة من هذه الدول إلى الضحايا الفلسطينيين. فالمسؤولون الأميركيون يتبجحون بصورة يومية عبر الناطقين باسم البيت الأبيض أو وزارة الخارجية بالخوف والقلق على نحو مائة رهينة إسرائيلي، من دون أي ذكر للضحايا الفلسطينيين أو الإشارة إلى مخاطر السياسات الإسرائيلية التي تتلقى دعماً سياسياً ودبلوماسياً غربياً غير مسبوق في تاريخ الحروب المعاصرة.

في السياق أيضاً تصبح كل مؤسسة فلسطينية رسمية قيادية على مستوى المنظمة أو السلطة في رأي حكومة إسرائيل جزءاً من العدو الذي يتوجب دفعه إلى التخلي عن تطلعاته القومية، بحجة أنه "إرهابي"، فقط لأنه يطالب بتنفيذ خطة سلام قدمتها إدارة الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش الابن، في ما يسير على خط مواز في مصادرة الأرض ونزع ملكيتها من الفلسطينيين وضمها.

من الواضح أن إلغاء الضم الذي ورد ذكره في الاتفاقات الإبراهيمية ليس إلا ادعاء فارغاً يظهر أن إسرائيل لا تتراجع في المقاطعة الاقتصادية أو التعاون الاقتصادي، وأنها في كل اتفاق تخلق عالماً موازياً له لإفراغه من أي مضامين تتعارض مع الالتزامات العلنية.

وعودة إلى العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، فالأهداف المعلنة والمباشرة كما أعلنتها الحكومة الإسرائيلية تقتصر على "تغيير الواقع السياسي" في غزة ومنع أي تهديد أمني من هناك. وبالطبع هي تقول إن ذلك قد يستغرق سنوات لإنجازه تماماً. ويحتاج، كما تعلن الحكومة، إلى السيطرة الأمنية على القطاع (بدل الحديث عن إعادة الاحتلال)، بينما يعبر وزراء وأعضاء كنيست من حزب الليكود الحاكم وشريكيه في الائتلاف حزبي "عظمة يهودية" و"الصهيونية الدينية" بزعامة إيتمار بن غفير عن مطالبتهم بالاستيطان في قطاع غزة وطرد السكان الفلسطينيين، فقد أعلن أكثر من وزير في حكومة نتنياهو - بمن فيهم وزير الخارجية - خلال الحرب عن اتصالات مع دول أوربية وإفريقية لاستقبال مهجرين فلسطينيين من قطاع غزة.

إذن، نحن أمام تحديات مصيرية كبيرة لا يمكن المرور على مسبباتها والمخاطر التي تكتنفها مرور الكرام، لاسيما أن الآثار الأولى للجرائم في غزة شبه كارثية على مستوى البنية التحتية المدنية وعلى مستوى مقومات الحياة، وحتى الآن لم تفلح كل الجهود المحلية الفلسطينية والعربية والدولية في وقف هذه الحرب الدموية، ولا تزال التحديات المذكورة أعلاه قائمة وتحتاج إلى جهود جبارة للتقليل من آثارها الكارثية، الأمر الذي يعني أن استمرارها قد يؤدي إلى مخاطر تحقق كارثة التهجير التي رفضتها بقوة الدول العربية وبشكل خاص مصر والأردن بعد أن رفضها الشعب الفلسطيني بكل أطيافه السياسية والاجتماعية. المعنى الحقيقي اليوم لرفض الحكومة الإسرائيلية ورئيسها أي هدن أو وقف لإطلاق النار أو التوصل إلى اتفاق تبادل أسرى ومحتجزين عبر الوسطاء (أميركا ومصر وقطر) هو الإمعان في خطة إعادة الاحتلال وليس بعيداً عن ذلك حديث نتنياهو مساء ٢ أيلول في مؤتمر صحافي أنه لا يريد الانسحاب من محور صلاح الدين على الحدود الفلسطينية المصرية "لا بعد هدنة مقترحة مدتها ٤٢ يوماً ولا ٤٢ سنة" بحجة منع الأوكسجين عن حركة حماس ويقصد عن قطاع غزة لأن "حماس" في رأيه وسلوكه سبب وليست هدفاً، فهو استطاع احتواءها فترة طويلة من الزمن بلعبة حقائب المال الدبلوماسية قبل مفاجأة ٧ تشرين الأول.

الأشد خطراً هو أن تتمكن إسرائيل من فرض هزيمة مطلقة تؤدي إلى تهجير الفلسطينيين قسراً أو طوعاً - لا فرق - والإخلال بالميزان

الديمغرافي فترة زمنية غر منظورة، لا يمكن قبول نتائجها على ما هي عليه، فالتقديرات السياسية لحركة حماس عندما فتحت معركة بهذا الاتساع لم تكن صحيحة، ولا تؤدي إلى نتائج تفيد تقدم الشعب الفلسطيني نحو أهدافه، ونحن لا نرفع شعار "ما كان ينبغي حمل السلاح" بقدر ما نحن نقدر أن حمل السلاح مهم لكن استخدامه في غير زمانه ومكانه أضر بالشعب الفلسطيني على مستوى الخسائر البشرية والمادية وعلى مستوى المخاطر المحدقة بالقضية الوطنية الفلسطينية.

هذا هو المعيار الحقيقي للقياس، إذ يرفض المجتمع الدولي اليوم فرض وقف إطلاق النار قبل أن تقوم إسرائيل بالمهمة، وهو يقدم لها مظلة حماية سياسية في كل المحافل القانونية الدولية وقطاراً جوياً وبرياً وبحرياً من المال (رزمة مساعدات مالية أقرها الكونغرس ٢٦ مليار دولار) والسلاح لم يتوقف إلى اليوم.

رافعة سياسية

ما نحتاجه اليوم ليس إدانة استخدام السلاح أو الإشادة باستخدامه في غزة أو تخوين منتقدي هذا الاستخدام وتجريمهم. ما نحتاجه هو رافعة سياسية تقلص الخسائر إلى أدنى درجة ممكنة سواء كانت بشرية أو مادية أو خسائر تتعلق بمجمل المصير الفلسطيني والتحديات الكبرى التي جلبها العدوان الإسرائيلي الواسع على غزة وبقية مركبات القضية الفلسطينية.

تحديات وقف النار

أول التحديات السياسية الراهنة هو العمل على وقف النار بأي شكل من الأشكال، وعدم فقدان الأمل بالقدرة على الوصول إلى هذه النقطة تحت أي تأثير سواء أكان اتفاقاً دولياً أم وقفاً أحادياً، وعدم الركون إلى فكرة انحياز الدول والحكومات الغربية إلى إسرائيل ودعمها تحت ذريعة "حقها في حماية نفسها"، فيمكن التقدم نحو هذا الهدف من خلال الشقوق والجهود وعدم اليأس من التكرار والرهان على تمسك الشعب الفلسطيني بحقه في الحياة، من دون إغفال الصعوبات التي تكتنف ذلك أو الاستخفاف المتكرر بالشرعية الفلسطينية بحجة ضعفها أمام التغول الاستعماري الإسرائيلي المدعوم من الإدارات الأميركية المتعاقبة وحليفاتها الأوروبيات.

ثانياً - تقديم برنامج عمل وطني ودولي للإغاثة في غزة والبدء بتنظيم خطوات قانونية ولوجستية ورسمية وشعبية تستجيب للاحتياجات الطارئة بموافقة جميع مكونات العمل الوطني رسمياً وفصائلياً، والاستعداد لتشغيل الجهاز الطبي والصحي وتأهيل شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي. فوجود هذه البرامج يساعد في إقناع الفرقاء

بجدية المؤسسة الفلسطينية في تنظيم عمليات إعادة الإعمار بالشراكة مع المجتمع الدولي.

ثالثا: وهو الأهم، رفض أي وجود أو إدارة غير فلسطينية لقطاع غزة تحت أي مسمى، وفتح آفاق لوجود فلسطيني حصري في قطاع غزة. وهذا يقتضي من جميع الفرقاء الفلسطينيين التعامل مع إعلان الرئيس محمود عباس نيته التوجه مع القيادة الفلسطينية إلى قطاع غزة باعتباره خياراً فلسطينياً للإدارة، وأن المرجعية القانونية والشرعية لإدارة القطاع هي حصراً للفلسطينيين، ورفض أي صيغة قانونية تسمح لإسرائيل بإعادة احتلال القطاع. إذا إن إسرائيل لا تزال تعمل على تقويض شرعية السلطة الفلسطينية كجزء من التوجه لتقويض الحق الفلسطيني في الكفاح لإنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية.

ومن غير المنطقي أن يشارك أي خلاف سياسي مع منظمة التحرير أو السلطة الفلسطينية - سواء من أحد مكوناتها وفصائلها أو من فصائل خارجها- إسرائيل في هذه المسألة.

ومن الجدير معرفة أن حركتي حماس والجهاد الإسلامي بنتا قوتهما وقدراتهما العسكرية وسلطتهما في قطاع غزة على شرعية السلطة الوطنية الفلسطينية. ومن دون هذه الشرعية ربما لا يمكن بناء شرعيات فلسطينية جديدة. هذا لا يعني أيضاً أن المنظمة تتفق مع وجود شرعيات تتجاوزها في غزة أو الضفة أو في الشتات.

تكامل لا تنافس

ولتقليل الخسائر المتوقعة من الحرب الوحشية على المستوى الوطني يجب التمسك فلسطينياً بوحدة المصير، واقتلاع فكرة التنافس من قاموس الفصائل والكيانات والأحزاب، وإبدالها بفكرة ومبدأ التكامل في العمل السياسي والكفاحي الرسمي والشعبي، على الأقل في صفوف الحركة الوطنية ومؤسساتها الرسمية والشعبية. وهذا ما كان سائداً في العلاقات الداخلية بين فصائل منظمة التحرير الفلسطينية. ومبرر ذلك أننا بحاجة ماسة اليوم إلى وقف العدوان على غزة ومواطنيها وبنيتها ومكانتها التاريخية والريادية في كل هذا المشروع كجزء عزيز من الوطن.

فإبدال التنافس بالتكامل في العمل الوطني يفترض أن يكون من البدهيات كما جرت العادة في تاريخ الثورة والمنظمة. وهذا يحرر الفصائل المتناحرة من أنانيتها ومصالحها الفئوية الضيقة ويجعلها تتعامل مع أي مبادرة سياسية من أي فريق للخروج من هذه الكارثة، يبنى عليها ويجري التعامل معها بالنقاش، سواء بالإضافة أو الحذف أو التعديل، لا باعتبارها ارتباطاً بمشروع دولي أو إقليمي أو محلي يتعارض مع المصلحة الوطنية العليا. وبهذه الطريقة قاد الراحل عرفات الثورة والشعب من الضياع وفقدان الهوية، إلى وطن بسيادة (مقيدة مؤقتاً) على أرض ومؤسسات دولة بما

في ذلك مطار وحدود ومعابر فلسطينية. على الرغم من تناقضات لا حدود لها. من دون هذا المسار ما كان لفصيل فلسطيني أو فصائل أن تخوض معارك بهذا المستوى من الضراوة والاتساع مكاناً وزماناً.

ولأننا لا نريد تقليب المواجع، فإن مفاجأة ٧ تشرين الأول التي ذكّرت إسرائيل والعالم بحقوق منسية للشعب الفلسطيني، فتحت كوة لتهديد المصير الوطني كله بالضياع. صحيح أن الشعب لن ولا ولم يستسلم للمشروع الصهيوني منذ مائة عام ونيف إلى اليوم واليوم الذي يليه لكنه سوف يضطر إلى تحمل أعباء جديدة إزالتها تحتاج إلى عشرات السنين.

نحن في أمس الحاجة إلى اختزال الألم الذي يعاني منه المواطن في كل الأراضي الفلسطينية المحتلة نتيجة سياسة التحكم والسيطرة الاستعمارية في كل ما يتعلق بمقومات الحياة اليومية إضافة إلى معاناة الفلسطينيين من سياسات التمييز والتهميش وتجاهل الحقوق في كل التجمعات الأخرى بما فيها داخل مناطق ٤٨.

إلى ذلك، لا يمكن فهم معنى وحدة المؤسسة القيادية مع وجود مركزين لقيادة المعارك، خصوصاً عندما تمس النتائج ليس مركز قيادة هنا أو هناك، وإنما تمس المواطن ومصيره ومستقبله وتمس أكثر المصير الوطني برمته. خصوصاً أن هناك عنواناً للشرعية الفلسطينية يحظى باعتراف العالم ودوله ومؤسساته، وهو بحاجة إلى تعزيز هذه الشرعية لا تقويضها كما تحاول إسرائيل من خلال نعتها إياها بالإرهابية ورفضها توليها أي مسؤولية في غزة لوقف الحرب والتخفيف من معاناة المواطن هناك جراء استمرار حرب الإبادة- ورفضها أي دور للشرعية في مستقبل قطاع غزة.

أعتقد أنه يجب خوض معركة يكون لها هذا الدور السياسي والقيادي في كل مرحلة خصوصاً اليوم، واليوم التالي للحرب، وليس مناسباً إضعاف الشرعية لاعتبارات التنافس لأن هذا الركن في البناء هو الحجر الأساس، ويفترض أن يكون خارج التنافس بصرف النظر عن الأسماء التي تشغل هذا الركن اليوم.

الحراك العالمي
ودور فلسطينيي الشتات

د. صقر سليمان*

مقدمة

توجه الانتباه ضمن ردود الأفعال الرافضة للحرب على غزة إلى الحراك الطلابي العالمي لاسيما في الولايات المتحدة الأميركية، حيث احتل هذا الحراك مساحات واسعة من التغطية في وسائل الإعلام. لا شك في أن ما جرى ويجري من حراك جماهيري وطلابي على مستوى العالم لا سيما في الجامعات الأميركية والأوروبية يثير تساؤلات عن دور هذا الحراك ومآلاته وتأثيره المستقبلي، وهل يعبر عن ردة فعل آنية تجاه الجرائم التي يمارسها الاحتلال في قطاع غزة والضفة الغربية أم أنه نتاج عملية وعي وإدراك لما يجري في هذه البقعة الجغرافية من العالم؟ أم كلا الأمرين؟

يمثل الحراك الطلابي في الجامعات الأميركية والأوروبية صرخة واضحة من هؤلاء الطلبة لاحترام المبادئ والقيم الدولية وحقوق الإنسان وعدم تجزئة هذه المبادئ والحقوق أو التعامل معها بمعايير مزدوجة كما هو الحال في تعامل الدول الغربية مع ما يجري في فلسطين من عمليات قتل جماعي ممنهج.

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على الحراك الشعبي والطلابي في العالم لا سيما في الجامعات الأميركية الذي بدأ من جامعة كولومبيا بتاريخ ١٧ نيسان ٢٠٢٤ وامتد لاحقاً ليشمل العديد من الجامعات الأميركية والغربية، من بينها جامعات عريقة وذات تاريخ أكاديمي وسياسي ودور في إعداد القادة المستقبليين في

* باحث في الإدارة العامة وشؤون الجاليات.

هذه الدول ومن بين هذه الجامعات: هارفرد، ييل، جنوب كارولينا، جورج واشنطن، أريزونا، في الولايات المتحدة. وكامبريدج وأوكسفورد البريطانية. والسوربون الفرنسية. وميلانو الإيطالية. وهيلسنكي الفنلندية. وغيرها العديد من الجامعات في الدول الغربية.

تمثل هذه التظاهرات والاحتجاجات تحولاً استراتيجياً في الرأي العام العالمي لصالح القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في الحرية وتقرير المصير.

يثير انتشار هذه الاحتجاجات في كثير من الساحات الدولية لا سيما في الغرب تساؤلات عن العوامل التي ساهمت في إحـداث هذا الحراك ودور الجاليات الفلسطينية والطلبة الفلسطينيين في هذه الاحتجاجات سواء على مستوى المشاركة أو على مستوى التأثير في صياغة رأي عام مناصر وداعم لقضية الشعب الفلسطيني العادلة.

تشكل معركة الرواية عنصراً رئيساً في الصراع المتشابك والمستمر منذ أكثر من مائة عام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، فمنذ استخدام الصهاينة الأوائل عبارة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" أصبح صراع الرواية أحد أشكال المواجهة مع دولة الاحتلال.

في هذا السياق، تفترض هذه الدراسة أن الرواية الفلسطينية ساهمت بشكل واضح في التأثير على الرأي العام العالمي لا سيما الشباب في الدول الغربية، وعملت على تطوير رأي عام داعم للقضية الفلسطينية، كما تفترض أن الجاليات الفلسطينية وبدعم من الجاليات العربية كان لها دور في التأثير على الرأي العام في البلدان الغربية، وأن هذا الحراك الطلابي والشعبي مع أنه جاء كرد فعل على الحرب الإجرامية ضد الشعب الفلسطيني، فإنه يعبر عن عملية تغيير أكثر عمقاً في وعي قطاعات واسعة من المجتمعات الغربية بطبيعة الصراع القائم في هذه المنطقة.

لدراسة هذه الموضوع بمزيد من التفصيل، ستركز هذه الدراسة على الرواية الفلسطينية ودور الجاليات في نشرها وبالتالي التأثير على الرأي العام العالمي، وتطرح السؤال الآتي: ما الدور الذي تلعبه الجاليات الفلسطينية في نشر الرواية الفلسطينية والتأثير في المجتمعات المستضيفة لخلق رأي عام داعم؟

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي كما استعان بالمقاربات التاريخية لملاءمتها دراسة هذه الحالة، حيث قام الباحث بدراسة البحوث والدراسات ذات الصلة بالموضوع. كذلك تم جمع بيانات الدراسة ومعلوماتها من خلال الكتب والدراسات السابقة والنشرات الإخبارية والمواقع الإلكترونية.

تكمن أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على موضوع لم يحظ بما يستحق من بحث واستقصاء، ألا وهو دور الشتات الفلسطيني

المقاوم، والمجالات التي أسهم من خلالها في خدمة قضيّته، حيث تتناول الدراسة الموضوع من خلال المحاور الآتية:

- الحراك الطلابي من حيث ماهيته وأهميته وأهدافه.
- دور الجاليات والإعــلام في الحراك الجماهيري والطلابي في الغرب.

الحراك الطلابي من حيث ماهيته وأهميته وأهدافه

يحفل تاريخ الشعوب بالعديد من التجارب التي سجلت فيها الحركة الطلابية مواقف مضادة للحروب وعمليات القتل والجرائم ضد الإنسانية، وداعمة لحق الشعوب في الحياة والحرية.

تظاهر طلبة الجامعات الأميركية، في العام ١٩٦٨، أي قبل نحو ٥٦ عاماً، ضد الحرب في فيتنام، وقد كانت جامعة كولومبيا مسرحاً رئيساً لهذه التظاهرات في مشهد قد يبدو متطابقاً مع ما هو عليه الحال اليوم في هذه الجامعة العريقة.

تاريخياً، كانت الجامعات الفلسطينية حاملة لواء النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي، وقد شهدت هذه الجامعات مظاهرات مستمرة ضد هذا الاحتلال كما تعرضت للإغلاق المتكرر خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، كما مارس الاحتلال ضد الطلبة الفلسطينيين في هذه الجامعات أشد أنواع العقوبات من قتل واعتقال وفرض الإقامة الجبرية بحقهم.

تنبع أهمية الحراك الطلابي من كونه يتشكل من قوة شابة يحركها الإيمان بالقيم الإنسانية، كالحق في الحرية والعدالة وحق الشعوب في الاستقلال، ولا تنطلق من مصالح سياسية أو اقتصادية ضيقة. بحسب البروفسور ديفيد بالومبو ليو، أستاذ الأدب المقارن في جامعة ستانفورد، فإن المزيد من الشباب الأميركيين يرون أن الدفاع عن فلسطين يمثل "اختباراً أخلاقياً حقيقياً للعالم، مثلما كانت تنظر إليه الفيلسوفة والكاتبة والناشطة الحقوقية الأميركية أنجيلا ديفيس".[١]

يمثل الشباب قيادة التغيير لما يمتلكونه من طاقة ومخزون استراتيجي داخل المجتمع. يتطلب نجاح عملية التغيير والانتقال بالمطالب من دائرة القول إلى التطبيق على أرض الواقع مشاركة جماهيرية واسعة.

إن إمكانية تحقيق هذه المشاركة تتعمق وتزداد فرص نجاحها في ظل قيادة الحركة الطلابية هذه الجماهير، وهذا ما يسبب خوف الأنظمة والقوى الاستعمارية المضادة لتحرر الشعوب وانعتاقها من مثل هذه الحراكات.

يعد الحراك الطلابي في الجامعات الأميركية وغيرها من الجامعات الغربية مؤشراً واضحاً على بداية تحول في وعي الشباب الغربي العام لا سيما الأميركي تجاه القضية الفلسطينية،

وهو يمثل دعوة إلى تبني مقاربات مختلفة ونهج سياسي أكثر اعتدالاً في تعاطي الحكومات الغربية مع هذا الصراع.

يعتبر هذا الحراك الطلابي الذي انطلقت شرارته من جامعة كولومبيا العريقة وامتد لاحقاً إلى عدد كبير من الجامعات الأميركية والعالمية جزءاً من حملة عالمية تؤمن بحق الشعب الفلسطيني في الحرية والحياة كغيره من باقي شعوب الأرض ولم تعد تقبل باستمرار الاحتلال.

شهدت القارة الأوروبية - وفقا للمركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام، بعد ٢٠٠ يوم من الحرب الإجرامية في غزة - "أكثر من ٥١٢٠٠ مظاهرة مؤيدة لفلسطين، موزعة على ٥٦٨ مدينة في ١٨ بلداً أوروبياً، ماعدا بريطانيا التي شهدت هي الأخرى مظاهرات مميزة مساندة للحق الفلسطيني، ما يؤشر بوضوح على تزايد الزخم الشعبي والحضور الجماهيري الداعم للقضية الفلسطينية في أوروبا".[٢]

تميزت هذه التظاهرات بكونها حاشدة ومشاركة شرائح اجتماعية متنوعة فيها، فشملت طلاباً مختلفين في العرق والدين وما إلى ذلك.

وفي مؤشر على اتساع نطاقها، امتدت هذه الاحتجاجات لتشمل أعضاء في الهيئات التدريسية في الجامعات الأميركية والأوروبية، فمثلاً، أعلن عدد من الأساتذة في جامعة برنستون يوم السبت الموافق ١١ نيسان ٢٠٢٤ دخولهم في إضراب عن الطعام مدة ٢٤ ساعة تضامناً مع الطلاب المضربين عن الطعام منذ ٥ أيام في إطار تضامنهم مع الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

بدأ هذه التحول المتصاعد في الرأي العام العالمي تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يأخذ أبعاداً ليست سياسية فقط، وإنما امتدت لتشمل المقاطعة الأكاديمية والبحثية للجامعات والأكاديميين الإسرائيليين، فقد بدأت بعض الجامعات في الغرب حملة مقاطعة أكاديمية لمثيلاتها الإسرائيلية كما تم إنهاء التعاون البحثي مع الباحثين والأكاديميين الإسرائيليين وعدم دعوتهم للمشاركة في المؤتمرات العلمية (الزرو، ٢٠٢٤). بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه المظاهرات والاحتجاجات المتواصلة في العواصم والجامعات الغربية باتت تطالب بمقاطعة كل الجامعات المرتبطة بدعم استمرار الحرب على قطاع غزة، وسحب الاستثمارات من الجامعات والشركات الإسرائيلية بعد أن ثبت ضلوعها في الحرب ضد الشعب الفلسطيني.[٣]

في هذا السياق، أعلنت جامعة كوبنهاجن الدنماركية يوم ٢٨ أيار ٢٠٢٤ أنها ستقوم بوقف الاستثمار مع شركات إسرائيلية تعمل في مستوطنات الضفة الغربية.[٤]

تثير هذه الاحتجاجات الطلابية هلع النخب الحاكمة في الغرب وداخل دولة الاحتلال على حد سواء نظرا لحجم هذه الاحتجاجات والتظاهرات ونوعية الطلبة الذين يشاركون فيها.

ينظر متخذو القرار في إسرائيل إلى هذه الاحتجاجات باعتبارها عنصرا مؤثرا على العلاقات الإسرائيلية الأميركية لما للحراك الطلابي تاريخياً من تأثير على القرار السياسي الأميركي وكونها تشير إلى تغيرات في مزاج الشباب الأميركي العام وما يحمله من تداعيات مستقبلية على هذه العلاقة.

يتضح هذا الخوف الإسرائيلي من خلال تصريحات السياسيين، حيث اعتبر رئيس الـــوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن الاحتجاجات الطلابية في الجامعات الأميركية معادية للسامية،[٥] بينما دعا وزير الدفاع الإسرائيلي يؤاف غالانت السلطات الأميركية إلى وقف هذه المظاهرات واعتبرها معادية للسامية وتحريضاً على الإرهاب.

أما على صعيد النخب الحاكمة في الولايات المتحدة، فإن الخسائر المالية التي قد تتعرض لها الشركات الداعمة لإسرائيل التي تمول حملاتهم الانتخابية ستكون كبيرة ومؤثرة، لذا فهم حريصون على وضع حد لهذه الاحتجاجات ووسمها باللاسامية.

كشفت هذه الحرب عن الوجه الحقيقي الإمبريالي للغرب الذي يدعي حرية التعبير عن الرأي وحقوق الإنسان إلا إنه عندما يتعلق الموضوع بحرية التعبير من أجل التضامن مع الشعب الفلسطيني تكون هناك مضايقات واتهامات بالإرهاب ومعاداة السامية وهذه سياسة ليست جديدة فقد كانت موجودة سابقاً لكنها برزت بشكل كبير خلال هذه الحرب.

خلق هذا الواقع ردة فعل لدى طلبة الجامعات، خاصة جامعات النخبة التي لم تعد تقبل مثل هذه الازدواجية في تناولها وتطبيقها قيم العدالة والحرية وحقوق الإنسان.

يتفق العديد من الكتاب والمحللين على أن هذا الحراك الطلابي والشعبي سيؤثر على طبيعة الحكومات المستقبلية في العالم من حيث دفع النخب العالمية نحو نظام وميثاق جديد يكون مركزه الإنسان قبل كل شيء لإدارة العالم (المحاريق، ٢٠٢٤). كما يؤكد هؤلاء المحللون أن انتشار الحراك الطلابي على مستوى جامعات النخبة في الولايات المتحدة مؤشر خطير سيخلق جيلا جديدا من المسؤولين يعيد رسم وجه السياسة الأميركية بأخرى جديدة في المستقبل، لأن كثيرا من الطلبة المحتجين هم من جامعات النخبة ولديهم الفرصة للوصول إلى مناصب قيادية على مستوى الكونغرس ومؤسسات الدولة السيادية.

سيكون لوصول هؤلاء الطلبة بهذه العقلية المناهضة لسياسات القتل والدعم اللامحدود لإسرائيل إلى هذه المناصب أثر سلبي مستقبلي على العلاقة الأميركية الإسرائيلية.

برزت مسألة أخرى بوضوح بسبب مفاعيل هذه الحرب وتداعياتها، هي حالة الانقسام والفجوة بين الأجيال في ما يتعلق برؤيتهم

طبيعة الصراع ومواقفهم منه، حيث تظهر هذه الاحتجاجات واستطلاعات الرأي[٦] أن ما كان يعتبر لدى الآباء من المسلمات في ما يتعلق بدعمهم إسرائيل، أصبح خاضعاً للنقاش والنقد عند الأجيال الشابة.

شكل موقف الجيل الشاب من العدوان الإسرائيلي، وحجم الدعم والتعاطف مع الشعب الفلسطيني صدمة لجيل الآباء والأمهات الذين فوجئوا بعقلية مختلفة.

لم تعد شعارات مثل "حق إسرائيل في الوجود"، و"معاداة السامية" تسيطر وحدها على المشهد الأميركي، وباتت تزاحمها الآن شعارات مثل "الأبــارت هايد"، و"الجينو سايد"، خاصة بين أوساط الشباب الأميركيين.[٧] بالإضافة إلى ذلك، خلقت هذه الحرب صدعاً كبيراً بين شعوب العالم والدول العميقة في هذه البلدان، بحيث بات النظام الغربي القائم على دعم إسرائيل دون أي مساءلة يواجه جيلاً قادراً على مساءلة حكوماته، مدركاً أن ما تدعيه هذه الحكومات ما هو إلا دعاية وشعارات لا يتم تطبيقها.

دور الجاليات والإعلام في الحراك الجماهيري والطلابي في الغرب

يثير التحول في الرأي العام العالمي لا سيما لدى الشباب العديد من التساؤلات عن أسباب هذا التحول ودور كل من الإعلام والجاليات الفلسطينية في التأثير على الرأي العام العالمي، من خلال تسهيل نشر السردية الفلسطينية وما يتعرض له الشعب الفلسطيني من ممارسات قمعية يمارسها الاحتلال الإسرائيلي بحقه بشكل ممنهج ومتواصل.

الرأي العام عنصر أساسي في صناعة القرار في العالم الغربي والدول الديمقراطية بشكل عام. لا شك في أن تأثر الرأي العام في أي بلد بقضية ما يعتمد على عدالة هذه القضية وأهميتها بالنسبة له ومدى انسجامها مع القيم التي يؤمن بها لا سيما جيل الشباب. إن القدرة على التأثير في الرأي العام من خلال الرسالة الفاعلة والرواية الصادقة تعتبر عناصر أساسية في خلق مناخ سياسي داعم لحق الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال.

أفقد تحرير الإعلام مع قدوم الإنترنت والعولمة الإعلام الرسمي ميزة احتكار المعلومة حول ما يجري في المنطقة، فلم تعد السردية الإسرائيلية هي الوحيدة المسيطرة في الغرب نظراً لتعدد وسائل الحصول على المعلومة.

مكّن انتشار الإعلام الحر ووسائط التواصل الاجتماعي والتواصل الفردي الشباب في أماكن مختلفة من العالم من التواصل في ما بينهم، فعلى سبيل المثال، بات الشباب الأميركي قادراً على الوصول إلى مصادر أكثر تنوعاً عبر منصات التواصل الاجتماعي التي أظهرت أصواتاً فلسطينية وصلت إلى قلب أميركا.[٨] هذا

النوع من التواصل أصبح متاحاً للجميع ولم تعد هناك سيطرة على المعلومات المنقولة من أي جهة كانت. لم يعد المراهق والشاب الأميركي يعتمد على الإعلام الرسمي مثل (فوكس نيوز) أو (سي إن أن) لاستقاء معلوماته الخاصة حول ما يجري في أجزاء أخرى من العالم.

أدى هذا الواقع الى وجود أجيال أميركية لم تعد تكوّن فكرتها عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من خلال الإعلام الرسمي وإنما تكون أفكارها بنفسها عبر عمليات تقصّ وبحث عن المعلومة من خلال الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. من هنا نجد أن جيل الألفية الثالثة وجيل Z الأكثر استقلالية بتفكيره وتشكيل آرائه لا يتبع الدعاية أو الرواية التقليدية غير المستندة إلى أدلة وحقائق.

أثر الإعلام ونقله ما يجري في فلسطين على عقلية الشباب الأميركي وجعلهم يعودون للبحث عن جذور هذه القضية وأسباب الصراع في هذا الجزء من العالم، ومع ذلك يمكن المجادلة بأن هذا الوعي والتحول في مواقف الشباب الأميركي والأوروبي في جزء مهم منه جاء نتيجة جهد متراكم من أبناء الجاليات الفلسطينية والمناصرين لحقوق الشعب الفلسطيني على مدى سنوات.

يلعب الطلبة الفلسطينيون في الشتات دوراً مؤثراً من خلال المجموعات الطلابية مثل جمعية طلاب من أجل العدالة في فلسطين (SJP) التي تأسست في العام ١٩٩٤ ولها أكثر من ٢٠٠ فرع في الجامعات الأميركية.[٩]

ترتبط هذه الجمعية بعلاقات مع جمعيات أخرى مُناهضة للعنصرية والفصل العنصري وتناضل من أجل العدالة وحرية الشعوب في العالم وكان دورها توعية الطلاب والأكاديميين بالوضع في فلسطين خصوصاً أثناء الحرب الوحشية بعد السابع من أكتوبر.

من الواضح بما لا يقبل مجالا للشك أن الأجيال الفلسطينية التي ولدت في الشتات من الجيل الثاني والثالث والرابع قد حافظت على ارتباطها الوجداني وانتمائها لفلسطين على الرغم من بعد المسافات ومعيقات الاحتلال التي تمنعها من زيارة وطن الآباء والأجداد. يعرف هومي بعباع هوية هؤلاء الشباب الذين ولدوا في المهجر بالهوية المركبة أو الهجينة التي تشكلت على الاختلاف بالاستناد إلى الخلفية التاريخية والحياة والتجارب اليومية في الشتات (Mason, 2007:274).

في ظل ثنائية الوطن/الشتات والتشابك بين ثقافتين وهويتين "حاول أبناء الجيل الثاني من المهاجرين الفلسطينيين التوفيق بين قيم الآباء والأمهات الموروثة وبين قيم الثقافة الجديدة السائدة كجزء من عملية إعادة تعريف هويتهم في سياق عملية الاندماج في المجتمعات الجديدة" (Shiblak, 2003:16).

بالنسبة للأجيال الفلسطينية المغتربة، بقيت فلسطين تعيش داخل أفرادها أينما

وجدوا وكانت قدرتهم على الحفاظ على الرواية التاريخية ونشرها من أقوى الأسلحة التي مارسها الشعب الفلسطيني عبر تاريخه.

استطاعت الأجيال الفلسطينية المغتربة أن تحافظ على انتمائها لهويتها والتعرف إلى فلسطين كوطن الآباء والأجداد من خلال استخدام وسائل متعددة للحفاظ على الذاكرة الجماعية ونقل الرواية الفلسطينية للأجيال المغتربة.

من أهم هذه الوسائل، النقل المباشر من الآباء والأجداد إلى أبنائهم وأحفادهم. أما الوسيلة الثانية فكانت البحث عبر الإنترنت ووسائط التواصل الاجتماعي الأخرى، حيث وفرت لهم نافذة للتعرف إلى فلسطين (الوطن الأم) مما أتاح لهم الحصول على معلومات موثقة وأكثر اعتمادية وموضوعية. أما الوسيلة الثالثة فكانت من خلال مؤسسات ومنظمات شكلها الفلسطينيون في الشتات.

يشير (أبو بكر، ٢٠٠٠: ٣٥) إلى أن هذه الجمعيات والمنظمات "ساعدت فلسطينيي الشتات على تعزيز وجودهم كمجتمعات يطورون فيها ثقافتهم الخاصة ويحافظون على هويتهم وانتمائهم للوطن الأم".

في عصر العولمة والانفتاح الإعلامي وسيطرة وسائط التواصل الاجتماعي كوسيلة اتصال رئيسة على مستوى العالم أصبحت قدرة الفلسطينيين لا سيما أبناء الجاليات أكبر في التأثير على الرأي العام العالمي وتوجهاته.

يمكن المجادلة بأن ما قام به الفلسطينيين لا سيما في الشتات - من توثيق الحرب الإجرامية التي يمارسها الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني ونشر تفاصيلها، بالإضافة إلى دور الإعلام المرئي - قد ساهم في خلق رأي عام عالمي مناهض للعدوان. كما يمكن القول إن التظاهرات والاحتجاجات ضد الحرب قد أدت إلى تراجع بعض الحكومات الغربية عن تبني الرواية الإسرائيلية التي سادت في بداية الحرب، كما كانت هناك مراجعات لمواقف بعض الدول من الحرب.

تعتبر القدرة على التواصل وفتح قنوات تعاون مع جماعات المصالح والقوى الفاعلة في المجتمعات المستضيفة ركيزة أساسية في تشكيل رأي عام داعم للقضية الفلسطينية في ظل التأثير الواضح لهذه الجماعات على بعض الفئات المجتمعية وكذلك قدرتها على تشكيل جماعات ضغط قوية لها صوتها وفعاليتها في تحديد خصائص القرار السياسي لا سيما في الدول ذات التأثير على القرار الدولي.

إن هذا المستوى من العمل يكون من خلال تشكيل آليات ومجموعات ضغط تشمل جاليات أخرى سواء عربية أو إسلامية أو صديقة كما يتطلب تشكيل تحالفات مع قوى محلية مثل الأحـزاب السياسية والحركات الاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني.

تمثل مثل هذه الشبكات والاتصالات منصةً يمكن استغلالها في بناء جسور من العلاقات

الثنائية القائمة على التأثر والتأثير حول القضايا ذات الاهتمام المشترك. على سبيل المثال في الولايات المتحدة تتعاون جمعيات الطلاب من أجل العدالة في فلسطين (Student for justice in Palestine) مع الجمعيات الأميركية المناهضة للتمييز ضد السود والجمعيات الخاصة بالأميركيين من أصل لاتيني كونهم جميعاً يعانون من العنصرية وعدم المساواة وتجمعهم أهداف مشتركة.

يقول موقع (ذا نيشن) "The nation" الأميركي إن هناك نسبة متزايدة من الأميركيين الشباب تتعاطف مع الفلسطينيين، لأنهم يرون تشابهاً بين حركات العدالة الأميركية مثل حياة السود مهمة وبين الفلسطينيين الذين يتعرضون للقمع المنهج من الحكومة الإسرائيلية.[١٠] بالإضافة إلى ذلك يوجد تعاون بين جمعيات الطلاب من أجل العدالة في فلسطين ومنظمة الصوت اليهودي من أجل السلام (Jewish voice for peace). يتضح هذا التعاون من خلال مشاركة أعداد لا بأس بها من الطلبة اليهود في هذا الحراك وهم من يسمون باليهود الليبراليين.

لم يقتصر الدور الذي لعبته الجاليات والطلبة الفلسطينيون في الشتات على المشاركة في الفعاليات والاحتجاجات ضد الحرب الوحشية والدعم الغربي لها وإنما امتد دورهم ليشمل احتضان هذا الحراك الطلابي والأكاديمي من خلال توفير الدعم اللوجستي سواء الغذاء أو الشراب وغيره من مستلزمات الحياة الأخرى للطلبة المعتصمين. كذلك قامت الجاليات الفلسطينية والعربية والإسلامية بتوفير ما يحتاجه الطلبة من دعم قانوني من أجل الدفاع عنهم سواء أمام الجامعات أو السلطات الرسمية في مختلف الولايات الأميركية.

خلاصة القول، استطاع الفلسطينيون والعرب ومؤيدوهم من الشعوب الأخرى من خلال العمل الـدؤوب والمستمر نقض الرواية الصهيونية وتقديم روايتهم الخاصة التي تعبر عن مظلومية هذا الشعب وحقه التاريخي في وطنه.

بينت الاحتجاجات والمظاهرات الجماهيرية في الجامعات والشوارع الغربية وكذلك التغير في مواقف العديد من الدول الأوروبية لصالح الحق الفلسطيني أن الرواية الفلسطينية تتقدم في حين أن هناك تراجعاً واضحاً للرواية الصهيونية بما تقدمه من أكاذيب تقليدية لم تعد تؤثر على وعي الجيل الشاب في الغرب. ساهمت عوامل عدة في تعزيز الرواية الفلسطينية وساعدت على أن تشق هذه الرواية طريقها إلى وعي وعقل الشباب الغربي الذي يؤمن بقيم العدالة وحقوق الإنسان وحرية الشعوب، ومن بين هذه العوامل عنجهية الاحتلال الإسرائيلي والعنصرية التي يمارسها ضد الشعب الفلسطيني.

أضف إلى ذلك الدور الكبير الذي تقوم به وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في تقديم الرواية الفلسطينية وكشف الممارسات

القمعية التي يقوم بها الاحتلال بحيث لم يعد يعتمد المواطن الغربي فقط على الرواية الرسمية التي كانت وما زالت تتبنى الموقف والرواية الإسرائيلية.

دون شك، كان للجاليات الفلسطينية في البلدان الغربية دور فاعل في نقل الصوت والمعاناة الفلسطينية التي ساهمت في تأطير الرأي العام والتأثير عليه لصالح حقوق الشعب الفلسطيني.

الخاتمة

تمثل الاحتجاجات والمظاهرات الطلابية والشعبية في جامعات الغرب وشوارعه تحولاً واضحاً في الرأي العام الغربي لا سيما في أوساط الشباب الأميركي والأوروبي ومواقفهم تجاه ما يجري في منطقة الشرق الأوسط من أحداث خاصة في ما يتعلق بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي. بالتأكيد هذه الحراكات مرتبطة باستمرار العدوان على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وستتراجع بشكل ملموس في حالة انتهاء الحرب، خاصة أن على رأس أهدافها وقف هذه الحرب، ومع ذلك سيكون لها ما بعدها كونها تحمل في طياتها تداعيات ستؤثر في المستقبل على العلاقات الإستراتيجية بين دولة الاحتلال والولايات المتحدة.

التقطت النخب التقليدية الأميركية وقادة الاحتلال رسالة هذه الحراكات وحاولت إسكاتها من خلال القمع والتخويف والاتهام بالخروج عن القانون وممارسة الإرهاب واللاسامية.

ما يجري في الجامعات الأميركية والأوروبية ليس موجة عابرة، بل هو تعبير عن وعي بطبيعة الصراع نتج عنه تحول في المواقف تجاه الانحياز لحرية الشعوب والقيم الإنسانية التي تربى عليها الشباب الغربي. بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الحراكات تعتبر دعوة موجهة إلى الحكومات الغربية لإعادة التفكير في سياساتها الداعمة بشكل غير محدود لدولة الاحتلال وانتهاج سياسة أكثر موضوعية وعدالة في ما يتعلق بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

بدأ تأثير القضية الفلسطينية على المجتمع الغربي منذ فترة ليست قليلة، فقد أثرت كتابات الأدباء والكتاب الفلسطينيين من أمثال إدوارد سعيد وإبراهيم أبو لغد وغيرهم على المجتمع الأميركي، حيث تنامى لدى جيل الشباب وطلبة الجامعات في الولايات المتحدة وأوروبـا تيار قوي لصالح تأييد حقوق الشعب الفلسطيني. هذا التأثير تعمق عبر السنوات وكانت الحرب الأخيرة على قطاع غزة عامل تأثير كبير على الشباب الأميركي والغربي بشكل عام.

دون شك، لعب الانفتاح التكنولوجي وتعدد وسائل الحصول على المعلومة دورا مهما في فتح المجال أمام الشباب الغربي للتعرف أكثر

إلى طبيعة الصراع وجذوره، فقد كان لعنصر استخدام التكنولوجيا ووسائط التواصل الاجتماعي دور في الحد من تأثير الإعلام الرسمي الداعم لإسرائيل والمناهض للحقوق الفلسطينية، الأمر الذي كان له أثر واضح في نقل الحدث بالصوت والصورة، وهذا ما عزز الرواية والسردية الفلسطينية وجعلها تتفوق على سردية الاحتلال.

استطاع النشطاء الفلسطينيون، خاصة في الدول الغربية الاستفادة مما وفرته آليات العولمة من سهولة التواصل مع الآخر ونقل المعلومة الصادقة عما يجري من عمليات قتل وتدمير وتهجير لأبناء الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

إن الاستمرار في التقدم وتحقيق إنجازات على صعيد الرأي العام الدولي هو سلاح استراتيجي يجب الحفاظ عليه وتطويره، ومن أجل ذلك تعتبر المحافظة على وحدة الجاليات الفلسطينية وتماسكها مطلباً أساسياً. بالإضافة إلى ذلك فإن تعزيز التشبيك والتنسيق مع الجاليات العربية والإسلامية واللاتينية والأقليات في الدول الغربية يؤدي إلى نتائج أفضل وإنجازات أكثر عمقاً.

من المهم الإشـــارة إلى ضرورة وجود استراتيجية وطنية لتعزيز العلاقة مع الجاليات الفلسطينية ودعم ما تقوم به من دور كبير في التأثير على الرأي العام في الدول التي تعيش فيها وحشد تضامن شعبي لصالح حقوق الشعب الفلسطيني.

المصادر والمراجع

- أبو بكر، توفيق. (٢٠٠٠). الفلسطينيون في الكويت وأزمة الخليج، مركز جنين للدراسات الاستراتيجية، عمان.

المراجع الإنجليزية

- Mason, Victoria (2007) Children of the "Idea of Palestine": Negotiating Identity, Belonging, and Home in the Palestinian Diaspora, Journal of Intercultural Studies, 28:3, 271285-,
- DOI: 10.10800725686070142970 9/.
- Shiblak, Abbas (2003). 'Reflections on the Palestinian Diaspora in Europe, Johannesburg', in Shiblak, Abbas (ed). The Palestinian diaspora in Europe: Challenges of dual identity and adaptation.

المواقع الإلكترونية

- الجزيرة، الرابط: https://www.aljazeera. /net/politics/2024/4/27
- الجزيرة، الرابط: https://www.aljazeera. /net/midan/reality/politics/2023/11/27
- الجزيرة، الرابط https://www.aljazeera. /net/politics/2024/4/27
- سكاي نيوز عربية، الرابط: https:// www.skynewsarabia.com/middle-east/1671036-
- الزرو، نواف. (٢٠٢٤): انتفاضة الجامعات أخطر جبهة لنزع الشرعية الأممية عن الكيان، بوابة الهدف. الرابط: https://hadf-news.ps/post/127469
- المحاريق، حسن. (٢٠٢٤): حراك الجامعات والحرب الأكثر دموية، المؤسسة الفلسطينية للتمكين والتنمية المحلية.
- الرابط: https://www.reform.ps/ar/blogs/the-university- movement-amidst-the-bloodiest-aggression?fbclid
- المركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام. الرابط: epal.nu/12184/.
- المركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام. الرابط: epal.nu/12233/.
- المركز الفلسطيني للإعلام. (٢٠١٤): انتفاضة الجامعات الأميركية: صرخة في وجه دعم واشنطن لحرب الإبادة في غزة. الرابط: https://palinfo.com/news/2024/04/26/886715/
- سكاي نيوز عربية، ما سر تصاعد تأييد الجيل الجديد من الأميركيين للفلسطينيين؟
- وكالة معا الإخبارية. الرابط: https://www.maannews.net/news/2118364.html

هوامش

١ الجزيرة ـ الرابط: https://www.aljazeera.net/2024/4/27/politics/

٢ المركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام. الرابط: epal.eu/nu/12184/.

٣ المركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام. الرابط: epal.eu/nu/12233/.

٤ وكالة معا الإخبارية. الرابط: https://www.maannews.net/news/2118364.html

٥ المركز الفلسطيني للإعلام. الرابط: https://palinfo.com/news/2024/04/26/886715/

٦ وفقا لاستطلاع الشباب الذي أجراه معهد هارفارد للسياسة، خلال الفترة بين ١٤-٢١ مارس/آذار الماضي، على ٢٠١٠ شباب أميركيين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٢٩ عاما، ونُشر في جامعة هارفارد، جاء فيه أن ٥١٪ من المستطلعة آراؤهم يؤيدون وقف إطلاق النار، بينما يعارضه ١٠٪ فقط. المصدر: الجزيرة https://www.aljazeera.net/politics/2024/4/27/

٧ المصدر: الجزيرة، الرابط https://www.aljazeera.net/politics/2024/4/27/

٨ سكاي نيوز عربية، ما سر تصاعد تأييد الجيل الجديد من الأميركيين للفلسطينيين؟

٩ تأسست الحركة الطلابية عام ١٩٩٣، وأصبح لها على مدار العقود الفائتة أكثر من ٢٠٠ فرع داخل مختلف الجامعات الأميركية، وتسعى الحركة لتثقيف الطلاب وأعضاء هيئة التدريس على حدٍّ سواء بماهية الوضع الحالي في فلسطين والقضايا المتعلقة بالشعب الفلسطيني. تشير الحركة في صفحاتها الرسمية إلى أن مهمتها هي الدفاع عن الحقوق الفلسطينية، وكذلك المطالبة بالعدالة والمساواة لكل المضطهدين في جميع أنحاء العالم. وينصب تركيز المجموعة على زيادة الوعي بالقضية الفلسطينية وفهم النضال الفلسطيني من أجل الحرية والعدالة والمساواة. كانت حركة "طلاب من أجل العدالة في فلسطين" قد شاركت بطريقة نشطة في تنظيم العديد من الاحتجاجات والمظاهرات المتضامنة مع فلسطين داخل الأروقة الجامعية الأميركية خلال الأسابيع الماضية، ففي "جامعة ستانفورد" نشر فرع الحركة بيانا أعقب عملية "طوفان الأقصى" مباشرة، أشاروا فيه إلى أن أحداث يوم السابع من أكتوبر/تشرين الأول هي جزء من نضال مستمر منذ عقود ضد قمع الاحتلال الإسرائيلي الذي دام أكثر من ٧٥ عاما، منددين بالتغطية الإعلامية المختزلة التي صوّرته وكأنه هجوم أتى من العدم بلا مقدمات، من دون إظهار الحصار الذي تفرضه إسرائيل جوا وبرا وبحرا على قطاع غزة، والطريقة التي يتحكم بها الاحتلال الإسرائيلي في المياه والكهرباء وحتى عدد السعرات الحرارية التي يمكن أن تدخل إلى القطاع يوميا، وهو ما حوَّل غزة إلى أكبر سجن مفتوح في التاريخ بحسب منظمة "هيومن رايتس ووتش". المصدر: الجزيرة. رابط: https://www.aljazeera.net/midan/2023/11/27/reality/politics/

١٠ سكاي نيوز عربية، ما سر تصاعد تأييد الجيل الجديد من الأميركيين للفلسطينيين؟

قراءة في تطورات المشهد السياسي بعد الانتخابات البرلمانية في فرنسا والمملكة المتحدة وانعكاسه على القضية الفلسطينية في ضوء الحرب

د. عوض سليمية*

الملخص

أفرزت نتائج الانتخابات الفرنسية في جولتها الثانية برلماناً معلقاً، فقد حصد تحالف الجبهة الشعبية الجديد (تحالف قوى اليسار) على ١٨٨ مقعداً، ومعسكر الرئيس إيمانويل ماكرون على ١٦١ مقعداً، بينما حصل اليمين المتطرف بزعامة مارين لوبان على ١٤٢ مقعداً، من أصل ٥٧٧ مقعداً في الجمعية الوطنية. في المقابل فاز حزب العمال البريطاني (يسار الوسط) بأغلبية برلمانية، ٤١٢ مقعداً من أصل ٦٥٠ مقعداً، مما مكنه من تشكيل الحكومة العمالية الجديدة.

بالنظر إلى الارتباط التاريخي في المصالح بين كل من واشنطن، لندن وباريس، يتوقع الباحث أن تواصل حكومتا البلدين إعلان التزامهما بحل الدولتين (شفهياً) وهو الموقف التقليدي السائد للمحافظة على دعم القاعدة الشعبية، لكنهما في المقابل لن تتخذا أي خطوة على أرض الواقع بشأن الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة على حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧. وستواصلان تبني وجهة نظر اليمين الإسرائيلي الذي يقوده بنيامين نتنياهو، وفحواها أن الدولة الفلسطينية يجب أن تمر عبر المفاوضات وليس عبر أي مسار آخر.

* باحث في العلاقات الدولية، مدير وحدة الأبحاث والدراسات الدولية – معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي.

المقدمة

تزداد مؤشرات التغيير في السياسة الخارجية لدول المركز في الاتحاد الأوروبي والدول الغربية عموماً، وهذا ما تؤكده صناديق الاقتراع. فمن ناحية، حقق حزب "أخوة إيطاليا" (اليميني المتطرف) بقيادة جورجيا ميلوني فوزاً في الانتخابات البرلمانية، وكاد حزب التجمع الوطني (اليميني المتطرف) في فرنسا يتولى مقود قيادة السلطة لأول مرة منذ عقود. في الاتجاه الآخر، حقق حزب العمال البريطاني بقيادة ستارمر (يسار الوسط)، فوزاً كاسحاً على حزب المحافظين الذي اعتمد سياسة خارجية أقرب إلى اليمين.

في السياق، لم تخمد احتمالية عودة ترامب الشعبوي إلى البيت الأبيض محملاً بخطابات وأجندات انتخابية معاكسة تماماً لسياسات الإدارة الديمقراطية الحالية، هذا المسار غير المواتي، أثار قلق برلين بشكل خاص بشأن حقيقة أن اليمين المتطرف في فرنسا، كاد يمثل حزباً بأغلبية كبيرة في البرلمان، وربما يكون ذلك ملهماً للدفع نحو فوز "حزب البديل من أجل ألمانيا" اليميني المتطرف.

يحاول الباحث، في هذه القراءة، استكشاف التغييرات المتوقعة في سياسة الدول الغربية الخارجية بعد الهزات الانتخابية التي تعرضت لها دول المركز في حلف الناتو، خاصة فرنسا والمملكة المتحدة تجاه القضية الفلسطينية.

المشهد السياسي الفرنسي

دعا الرئيس الفرنسي ماكرون إلى انتخابات تشريعية مفاجئة في ٩ حزيران بعد أن تعرض تحالفه الوسطي لهزيمة قاسية على يد التجمع الوطني اليميني المتطرف في التصويت للبرلمان الأوروبي. أسفرت نتائج انتخابات الدورة النهائية على حصول تحالف اليسار، "الجبهة الشعبية"، على أكبر حصة من الأصوات بواقع ١٨٨ مقعداً، وجاء حزب ماكرون في المركز الثاني بـ ١٦١ مقعداً، بينما جاء حزب "التجمع الوطني" اليميني بزعامة مارين لوبان في المركز الثالث بـ ١٤٢ مقعداً، وذلك بفضل التصويت التكتيكي الذي اعتمده حزب ماكرون (خطة سحب ٢٠٠ من المرشحين من كتلة اليسار وكتلة ماكرون).

تاريخياً، عانت الأحزاب اليسارية في فرنسا من تشتُّت داخلي وانقسامات أيديولوجية، أدت إلى فقدان تأثيرها السياسي على الساحة الفرنسية، بينما توحدت في هذه الانتخابات ٢٠٢٤، وحصدت أعلى نسبة من الأصوات في الدورة الثانية التي جرت يوم الأحد ٧/٧ لتحوز ١٨٨ مقعداً في الجمعية الوطنية.

الأحزاب الفرنسية الرئيسة

تحالف الجبهة الشعبية الجديد

تشكل تحالف الجبهة الشعبية الجديد من أحزاب (الاشتراكيين، الخضر، الشيوعيين، فرنسا الأبية)، هذا التحالف هو بالتأكيد ليس

حليفاً للرئيس إيمانويل ماكرون، لكن نقطة الالتقاء الوحيدة التي تجمع المعسكرين هي إبعاد المتطرفين اليمينيين عن الانفراد بتشكيل الحكومة.

بعد إعلان النتائج باشر تحالف اليسار على الرغم من عدم حصوله على المقاعد المطلوبة (٢٨٩ مقعداً) من أصل (٥٧٧ مقعداً)، في إجراء مناورات واسعة لتشكيل الحكومة الجديدة ودعا رئيس الحزب الاشتراكي أوليفييه فورا إلى تقديم مرشح توافقي أو عبر التصويت لرئاسة الحكومة، خلال أسبوعين. وعلى الرغم من هذه الدعوات، فإن التحالف اليساري الذي تم تأسيسه على عجل، بين اليسار الراديكالي في فرنسا الأبية والاشتراكيين والشيوعيين والخضر يتوافر بداخله على العديد من نقاط الخلاف الجوهرية التي تعمق الأزمة.

يجادل فريق من متابعي المشهد السياسي الفرنسي، بأن هذا التحالف سيواجه صعوبة في التحدث بصوت واحد، مستشهدين بأحداث عام ٢٠٢٢ عندما انهارت الكتلة التي شكلها تحت اسم Nupes بسبب الخلافات الشخصية وكذلك السياسة. يجادل فريق آخر، بأنه على الرغم من التناقض الأيديولوجي القائم بين مكونات تحالف الجبهة الشعبية الجديد فإن التحدي الذي يواجهه - لقطع الطريق على اليمين ومعسكر ماكرون، يتطلب من مكوناته الاتفاق فوراً على تسمية رئيس الوزراء من معسكرها - ثم لاحقاً عليها استحضار النقاش في القضايا محل الخلاف والسياسات الواجب اتباعها.

حزب التجمع الوطني

منذ وراثة مارين لوبان زعامة حزب "الجبهة الوطنية" عن والدها في العام ٢٠١١، انتهجت ما عُرف بسياسة نزع الشيطنة عن الحزب المتهم بمعاداة السامية، وهذا عائد بالدرجة الأولى إلى تحالف والدها مع النازيين الفرنسيين خلال الحرب العالمية الثانية. رفعت لوبان شعار "الأولوية الوطنية للفرنسيين" في محاولة منها، من بين أمور أخرى، طمس موقف حزبها التاريخي المعادي للمهاجرين وطالبي اللجوء، وعملت على تحويل اسم الحزب إلى "حزب التجمع الوطني". واستفادت من السياسات المتعثرة للأحزاب الفرنسية الحاكمة خاصة في ما يتعلق بالسياسات الاقتصادية والخارجية، للتقدم نحو ملء مزيد من مقاعد الجمعية الوطنية والحضور المؤثر في المشهد السياسي الفرنسي.

على مدار عقود، أثمرت سياسة لوبان المنضبطة نتائج إيجابية متصاعدة، يمكن رصدها بوضوح في الانتخابات التشريعية في الدورة الأولى التي جرت يوم ٣٠ حزيران، وفاز حزب التجمع الوطني بزعامتها بنسبة ٣٣٪ من الأصوات، متقدماً على تحالف الجبهة الشعبية الجديد الذي حصل على ٢٨٪، وكانت

كتلة الرئيس الحالي إيمانويل ماكرون (ائتلاف الوسط / معا) أكبر الخاسرين وحصلت على نسبة ٢٢٪، لكن الجهود التي بذلتها الأحزاب الرئيسة الفرنسية (اليسار والوسط) قطعت الطريق على اليمين المتطرف ومنعت فوزه بأغلبية مقاعد الجمعية الوطنية التي كانت ستمكنه من تشكيل الحكومة بصورة منفردة. وبالتالي، استبعدت أيضا فرصة تشكيل حكومة أقلية يمينية متطرفة بدعم من معسكر اليسار.

أظهرت النتائج تراجع حزب لوبان إلى المرتبة الثالثة، ومع ذلك يمكن اعتبار ذلك إنجازاً واضحاً، وسيكون للوبان قوة برلمانية مهمة في الجمعية الوطنية القادمة (١٤٢ مقعداً) بعد غياب أكثر من ٨٠ عاماً.

معسكر الرئيس إيمانويل ماكرون

على الرغم من تراجع مقاعد حزب الرئيس ماكرون في الجمعية الوطنية، فإن ذلك لن يؤثر على صلاحياته القانونية باعتباره الرئيس المنتخب للدولة الفرنسية، (حصل تحالفه على ١٦١ مقعداً وجاء في المركز الثاني)، ويبحث حلفاء الرئيس الآن عن فرص لاستغلال حالة عدم اليقين لتأكيد أجندتهم الوسطية. يعتقد البعض أنهم وجدوا طريقة ممكنة لتفكيك التحالف اليساري المنقسم والمجزأ بالفعل. يجادل فرانسوا بارو، أحد كبار حلفاء ماكرون، بأن أرقام الانتخابات لا تحدد بالضرورة التحالف الفائز، وأن القضية لا تتعلق بـ "فرز الأصوات" بقدر ما تتعلق بتحديد المعسكرات التي يمكن أن تتحد لتشكيل الحكومة.

وفقا لتقرير موقع Politico، فإن حزب إيمانويل ماكرون أبرم اتفاقاً في اللحظة الأخيرة مع نواب يمينيين للفوز بتصويت رئيس في البرلمان مما يفتح الباب أمام الرئيس الفرنسي للعب دور أكبر في تشكيل الحكومة المقبلة في البلاد. شكلت المجموعتان السياسيتان تحالفاً مخصصاً لإعادة انتخاب يايل براون بيفيه رئيساً للجمعية الوطنية الفرنسية، رابع أعلى مسؤول في فرنسا. كان يُنظر إلى التصويت على نطاق واسع على أنه اختبار لمن يمكنه العمل معاً في البرلمان الفرنسي الممزق لتسمية رئيس وزراء في المستقبل. ومع هذا الاتفاق استولى الوسطيون ويمين الوسط على الزخم السياسي مع توجيه ضربة مذهلة لمنافسيهم في اليسار.

التناقضات القائمة بين الأحزاب وارتباطها بالقضية الفلسطينية

أولاً: تحالف الجبهة الشعبية الجديد

حصل هذا التحالف على ١٨٨ مقعداً، ويضم الأحزاب اليسارية الرائدة - التي انتهى حكمها مع نهاية العام ٢٠١٢، بـدءاً من يسار الوسط إلى عناصر اليسار "المتطرف" المعروفة بمواقفها المعادية للصهيونية. من

ناحية، تصف إسرائيل أطراف هذا التحالف بصفة عامة بأنهم متطرفون وحلفاء للشعب الفلسطيني ومعادون للسامية، وقادتهم رفعوا العلم الفلسطيني في شوارع باريس.

من ناحية أخــرى، يوجه الاقتصاديون ورجال الأعمال لليساريين في تحالف الجبهة الشعبية الجديد تهمة العمل على تفعيل برنامج اقتصادي شيوعي/ماركسي. وهو ما ورد في خطابات النائبة عن التجمع الوطني لورا لافاليت - الناطقة الرسمية في البرلمان الفرنسي، لشيطنة مواقف اليساريين بحجج متعددة منها الاقتصادية والسياسية، بما في ذلك أن اليسار وعبر حزب فرنسا الأبية معاد للسامية ويدعم "الإرهاب" في غزة منذ أحداث السابع من تشرين الأول، ودعت بشكل واضح الناخبين الفرنسيين إلى أن يختاروا بين فرنسا التي تدعي أن حزبها يمثلها ويدافع وعنها وبين الجماعات المسلحة في غزة التي يمثلها اليسار بحسب زعمها.

مثال آخر، جان ميلينشون زعيم حزب فرنسا الأبية – الذي حصل حزبه على أكبر عدد من المقاعد داخل تحالف الجبهة الشعبية الجديد، مكروه على نطاق واسع من العديد من أعضاء تحالف معسكر ماكرون - وحتى من آخرين داخل كتلته اليسارية، بالنظر إلى سياساته اليسارية المتطرفة.

يسعى ميلينشون عبر سياساته إلى عكس العديد من سياسات حزب ماكرون، بالدفع نحو تنفيذ برنامج الإنفاق العام الممول جزئياً من زيادة الضرائب، واتخاذ موقف أكثر صرامة من إسرائيل بسبب حربها في غزة، إلى جانب إصراره على رفض اعتبار ما قامت به حماس يوم ٧ تشرين الأول إرهاباً.

حث ميلينشون لاحقاً الرئيس الفرنسي ماكرون على ضرورة تسمية رئيس وزراء جديد، بحجة أن الرئيس لديه "واجب" اختيار زعيم من تحالف الجبهة الشعبية الجديد باعتباره الفائز بأعلى عدد من المقاعد في الجمعية الوطنية.

ثانياً: تيار الوسط الفرنسي

يمثله فرانسوا بايرو وهو اليوم جزء من التحالف الداعم للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، لكنه ظهر بعد إعلان نتائج انتخابات الجولة الأولى في مؤتمر صحافي وكانت إلى جانبه النائبة الفرنسية الفلسطينية ريما حسن وهي تضع الكوفية الفلسطينية، هذا المشهد التوافقي قرأته الجالية اليهودية على أنه رسالة دعم وتأييد جديدة للقضية الفلسطينية.

ثالثاً: الجمهوريون

يمثلهم إيريك سيوتي، الأمين العام لحزب الجمهوريين (الحزب الحليف للجبهة الشعبية) وهو الحزب الذي من المفترض نظرياً أن يشكل امتداداً للجنرال شارل ديغول والحزب الذي أسسه وقاده لاحقاً الرئيس الراحل جاك شيراك،

لكنه على عكس رغبة الجزء الأكبر من أعضاء الحزب انضم إلى جبهة اليمين المتطرف، ويقول في نقاش متلفز: إنه يعارض اليسار ويدعو إلى مقاطعته، لأن هذا اليسار معاد للسامية بسبب دعواته للاعتراف بدولة فلسطين في مواجهة إسرائيل.

رابعاً: اليمين المتطرف

حصل الحزب على ١٤٢ مقعداً في الجمعية الوطنية، ومنذ انطلاق العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في ٢٠٢٣، أظهرت زعيمة الحزب لوبان تعاطفها ودعمها لسياسات الاحتلال، في محاولة منها للتنصل من الإرث السياسي لوالدها جان ماري لوبان، صاحب الجملة الشهيرة، التي يتم استحضارها بين الحين والآخر، "غرف الغاز جزء من تفاصيل الحرب العالمية الثانية"، ومعروف أن القضاء الفرنسي وجه للكثير من أعضاء الحزب عبر سنوات متعددة التهم بأنهم عنصريون ومعادون للسامية بالنظر لإنكارهم وقوع المحرقة على يد السلطات النازية الألمانية وتشكيكهم في أرقامها.

السياسة الجديدة التي انتهجها لوبان ومحورها تحويل الانتباه عن مناهضة معاداة السامية التي اتصف بها أعضاء حزبها تاريخياً، ومحاولات تبييض أفكارها ورسائلها الخاصة باليهود عبر دعم سياسات إسرائيل القمعية تجاه الشعب الفلسطيني يفيدها سياساً، في المقابل، يخدم مصالح إسرائيل في الساحة الدولية والمنتديات العامة. هذا الموقف يتوافق تماماً مع أفكار حلفاء نتنياهو في حكومة المتطرفين التي يترأسها، من ناحية سعت لوبان إلى إضعاف أي تحرك فرنسي وبالتالي أوروبي – إلى حد ما - ضد سياسات الاحتلال بأشكالها كافة وفي مقدمتها الاستيطان والتنصل من الاتفاقيات الموقعة مع م.ت.ف.

خامساً: معسكر ماكرون

حصل هذا المعسكر على ١٦١ مقعداً، وما زال رئيس الحزب هو الرئيس الفرنسي المنتخب الذي يتمتع بصلاحيات عديدة بموجب دستور الرابع من تشرين الأول ١٩٥٨، وتعززت صلاحيات الرئيس في التعديل الدستوري الذي جرى في السادس من تشرين الثاني ١٩٦٢، حيث أصبح الرئيس ينتخب بالاقتراع العام المباشر، بعدما كان انتخابه مقتصراً على البرلمان.

وبينما تعهد تحالف الجبهة الشعبية الجديد بالاعتراف بالدولة الفلسطينية "في غضون أسبوعين" من وصوله إلى السلطة، فإن ماكرون يرفض القيام بذلك وهو ملتزم بالخط الأميركي في هذه القضية.

ما ورد أعلاه مجرد لقطة واحدة للصعوبات التي يواجهها تحالف أعداء اليمين المتطرف، التي تحول دون توحيد صفوفهم لإعلان تحالف يفضي إلى تشكيل حكومة جديدة.

السياسة الفرنسية التقليدية

بعد فشل اليمين المتطرف في الاستحواذ على غالبية مقاعد الجمعية الوطنية، تنفس العديد من حلفاء فرنسا الصعداء لكنهم في الوقت نفسه ليسوا سعداء، فقد أشاروا إلى أن تحالفاً فوضوياً من برلمان معلق قد يشكل أيضاً صداعاً جديداً للقارة العجوز. وفي سياق تهدئة المخاوف، طلب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون من رئيس الوزراء غابرييل أتال البقاء في منصبه مؤقتاً لضمان استقرار البلاد، بعد أن فقد المعسكر السياسي للحكومة أغلبيته في الانتخابات التشريعية عالية المخاطر التي أفرزت "برلمانا معلقا" وتحالفات مهتزة.

يجادل فريق من متابعي الشأن الفرنسي، بأنه من أجل تأمين الأغلبية اللازمة لتمرير القوانين، من المرجح أن تعمل الكتل الوسطية واليسارية معاً لتجنب الجمود البرلماني، لكن فرنسا ليس لديها تقليد قوي في اجتماع المعسكرات السياسية المتنافسة لتشكيل حكومات ائتلافية، وقد استبعد بعض حلفاء ماكرون العمل مع بعض الأحزاب في الائتلاف اليساري.

منذ عقود عدة، تتبع فرنسا خط واشنطن في سياساتها الخارجية مع عدم وجود خط فاصل واضح يمكنه فصل التبعية الفرنسية لأميركا في سياساتها الخارجية، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى تشابك المصالح التي تجمع الطرفين وفي مقدمتها العضوية في حلف الناتو، أداة واشنطن التدميرية والدرع الحامية لأوروبا.

وبالنظر إلى هذا الارتباط العضوي في المصالح بين واشنطن وباريس وصلاحيات الرئيس الفرنسي التي يمنحه إياها الدستور، يتوقع أن تواصل حكومة باريس (سواء يسارية بأغلبية ضعيفة، أو حكومة تحالف بين معسكرين) التزامها بحل الدولتين شفهياً أمام الرأي العام المحلي لكنها لن تخطو أي خطوة للأمام بما يشمل الاعتراف بالدولة الفلسطينية على حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧. ويتوقع أن تستمر الحكومة القادمة في تبني وجهة نظر نتنياهو القائلة إن الدولة الفلسطينية تمر عبر المفاوضات وليس عبر أي مسار آخر.

المشهد السياسي البريطاني

بعد أكثر من عقد في السلطة تحت قيادة خمسة رؤساء وزراء مختلفين، انخفض عدد مقاعد حزب المحافظين بزعامة سوناك في مجلس العموم المؤلف من ٦٥٠ مقعداً إلى نحو ١٣٠. ستكون هذه أسوأ نتيجة للمحافظين في تاريخ الحزب الممتد قرنين، وهي النتيجة التي ستترك الحزب في حالة من الفوضى المستقبلية. بعد انتصار مذهل أوصل حزب العمال اليساري إلى السلطة بأغلبية كبيرة (٤١٢ مقعداً)، ليصبح العمالي كير ستارمر رئيساً لوزراء بريطانيا. وفي أول تصريح له قال ستارمر إنه سيؤلف "حكومة خادمة ... لتحقيق التغيير".

على الأجندة الانتخابية للأحزاب كانت القضايا الداخلية هي قضايا النقاش الأساسية، لكن الحملة شهدت أيضاً سعي كل من المحافظين والعمال إلى تصوير أنفسهم على أنهم ضامنون للأمن في عالم أكثر اضطراباً. مع استمرار الحرب في أوكرانيا، واحتمالية عودة ترامب إلى البيت الأبيض واستمرار الحرب الوحشية على قطاع غزة.

على مستوى العلاقة مع دول الاتحاد الأوروبي، وعد حزب العمال بالبقاء خارج الاتحاد الأوروبي، دون عودة إلى السوق الموحدة أو الاتحاد الجمركي. في المقابل، أعلن حزب العمال أن التزامه تجاه حلف الناتو باعتباره حجر الزاوية للأمن الأوروبـي والعالمي "لا يتزعزع"، وأنه يخطط للعمل مع الحلفاء لبناء وتعزيز وإصلاح مؤسسات الناتو والمؤسسات المتعددة الأطراف الأخرى بما في ذلك الأمم المتحدة ومجموعة السبع ومجموعة العشرين لمواجهة التحديات العالمية الجديدة.

في بيانه وصف حزب العمال الولايات المتحدة بأنها "حليف لا غنى عنه". وقال إن ما يسمى العلاقة الخاصة أمر بالغ الأهمية للأمن والازدهار، وسيواصل الحزب العمل مع الولايات المتحدة على أساس القيم المشتركة والمصالح المشتركة بما في ذلك التعاون الاقتصادي والدفاع والاستخبارات.

السياسة الخارجية المتوقعة تجاه القضية الفلسطينية

يؤكد حزب العمال البريطاني الفائز في الانتخابات وزعيمه رئيس الوزراء الجديد كير ستارمر التزامه الاعتراف بالدولة الفلسطينية "مساهمة منه في تجديد عملية السلام المتجددة التي تؤدي إلى حل الدولتين"، لكنه لم يحدد أي جدول زمني للقيام بذلك. فقد قال حزب العمال إن السلام والأمن على المدى الطويل في الشرق الأوسط سيكون محور تركيز فوري للسياسة الخارجية القادمة. ووصف الحزب في بياناته الدولة الفلسطينية بأنها "حق غير قابل للتصرف للشعب الفلسطيني" وأنها ضرورية لأمن إسرائيل على المدى الطويل.

قبل الانتخابات، عرض ديفيد لامي، وزير الخارجية الجديد، طموحات سياسته الخارجية في سلسلة من المقالات، محورها طموحه أن تكون المملكة المتحدة رائدة ما أسماه "الواقعية التقدمية"، لإيمانه المطلق بأن عالماً يتزايد فيه التنافس الجيوسياسي يفرض على المملكة المتحدة تبني نهج واقعي، مع التأكيد على أولوية الحفاظ على مصالح بلاده في النظام العالمي المتغير.

بعد تعيينه وزيراً للخارجية وفي أحدث تصريح له، قال ديفيد لامي لرويترز: إن بريطانيا تريد موقفاً متوازناً بشأن الحرب في الشرق الأوسط ووعد باستخدام الجهود الدبلوماسية لضمان التوصل إلى وقف لإطلاق النار وإطلاق سراح الرهائن الذين تحتجزهم

حماس، وإدخال المساعدات إلى قطاع غزة، وختم تصريحه بأنه سيستخدم كل الجهود الدبلوماسية للتوصل إلى وقف إطلاق النار.

أثناء وجوده على مقاعد المعارضة، كان نهج حزب العمل إلى حد كبير هو التوافق مع الحكومة ونهج الولايات المتحدة، ولم يصبح أكثر انتقاداً لإسرائيل إلا في الأشهر الأخيرة مع استمرار العدوان، وتصاعد الخسائر في صفوف المدنيين في قطاع غزة. ومع ذلك لا يوجد موقف موحد يجمع عليه أعضاء الحزب حول طبيعة حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. من ناحية أخرى، بعد أحداث ٧ تشرين الأول، أظهر ستارمر آراء مؤيدة لإسرائيل قبل الهجوم الإسرائيلي على غزة وأثناءه، بما في ذلك "حقها في الدفاع عن نفسها"، على الرغم من دعواته الخجولة إلى وقف إطلاق النار مع تفاقم كارثة غزة الإنسانية. ادعى ستارمر في تصريح صحافي، في أعقاب أحداث ٧ تشرين الأول، أن إسرائيل "لها الحق" في محاصرة غزة وقطع المياه والكهرباء عن مدنييها البالغ عددهم ٢ مليون، وبالتالي تبرير العقاب الجماعي وجرائم الحرب.

الاستنتاجات

فرنسا

- تحالف أحزاب اليسار من الداخل غير متجانس سواء في الأيديولوجيا أو السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية، وبالتالي ستواجه الكتلة صعوبات في تمرير سياساتها خاصة الخارجية منها بالنظر إلى تضاربها مع موقف الدولة العميقة المنحاز أو التابع لواشنطن تاريخياً، هذا في حال نجحت في الاتفاق على اسم رئيس الوزراء، وهي الخطوة الأكثر أهمية في هذه الفترة.
- مخاطر تغيير السياسة الخارجية الفرنسية بما يتعارض والموقف الغربي عموماً والأميركي خصوصاً المنحاز لإسرائيل سيضع الحكومة الفرنسية الجديدة تحت ضغوط شديدة من رأس المال العابر للقارات، مع الأخذ بعين الاعتبار أن فرنسا ثاني أكبر اقتصاد في منطقة اليورو، وقد تهدد الشركات الكبرى والمؤسسات المالية العالمية تحت الضغط الأميركي بسحب استثماراتها ونقلها إلى دول أخرى.
- هذا التخوف يمكن أن يؤدي إلى مزيد من زعزعة الاقتصاد الفرنسي، مما يضع الحكومة اليسارية – في حال نجاحها في تشكيل الحكومة – في موقف ضعيف ويزيد من صعوبة تنفيذ برامجها الإصلاحية في حال الانتقال إلى سياسة خارجية مستقلة بعيداً عن رؤية الدولة العميقة وهيمنة الولايات المتحدة على مركز صنع القرار في أوروبا.
- هامش مناورة كتلة الجبهة الشعبية – في حال نجاحها في تشكيل الحكومة سيكون داخل البرلمان محدود جداً، وربما لن يكون

مفيداً مقارنة النتائج الفرنسية بالنتائج البريطانية، فحزب العمال البريطاني صديق تقليدي لرأس المال والاستثمار العابر أكثر من زميله الفرنسي تحالف الجبهة الشعبية الجديد، ومع تردي الأوضاع الاقتصادية سيتحتم على الجبهة السير في الخط الرأسمالي أكثر من الخط الاشتراكي.

- **القضية الفلسطينية**، بالنظر إلى حالة عدم الاستقرار وتأخر إعلان تشكيل الحكومة الفرنسية القادمة -حتى ساعة كتابة هذه السطور، ومع صعود أولويات داخلية ذات مغزى لإرضاء القاعدة الانتخابية للأحزاب الثلاث الفائزة، نرى أن قضية الاعتراف بالدولة الفلسطينية أو الدفع نحو إنهاء الاحتلال الإسرائيلي لأراضي دولة فلسطين لن تكون نقطة نقاش ساخنة على جدول أعمال الحكومة الفرنسية القادمة.

المملكة المتحدة

مواقف حزب العمال البريطاني والشعارات والتصريحات التي رافقت الحملة الانتخابية خاصة تلك المتعلقة بدعم قيام دولة فلسطينية معروفة مسبقاً، وعلى الرغم من تصريح عضو مجلس العموم المناصر للقضية الفلسطينية جيريمي كوربين، التي طالب فيها رئيس الوزراء الجديد ستارمر بالتوقف عن إمداد إسرائيل بالأسلحة، لأن ذلك يعد انتهاكا لقرارات المحكمة الجنائية الدولية، ووعد ناخبيه بالعمل مع الزملاء الآخرين على دفع السياسة البريطانية لوقف الحرب على قطاع غزة والاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة، إلا إنه من المبكر البناء على هذه التصريحات.

على النقيض من ذلك، هناك مواقف تقليدية ثابتة في السياسة الخارجية البريطانية، في هذا السياق يقول العضو المحافظ البريطاني في مجلس اللوردات ريتشارد بالف: إن السياسة الخارجية البريطانية لن تتغير في ظل حكومة حزب العمال الجديدة، لأن البلاد عادة ما تتبع سياسات الولايات المتحدة، ويضيف: إن "حزب العمال سيفعل بشكل أو بآخر ما يقال له أو يطلب منه، أن يكون أكثر تهذيباً".

في الواقع، لا تختلف وعود السياسة الخارجية لحزب العمال في عهد ستارمر كثيراً عن مواقف المحافظين، الذين أطيح بهم بعد ١٤ عاماً في السلطة، على الرغم من خطورة التهديدات للأمن العالمي ومحاولة الحكومة الجديدة إيجاد موطئ قدم لها في السياسة الخارجية، إلا إن مساحة المناورة في كثير من الحالات خاصة تجاه دعم فعلي لحق الشعب الفلسطيني في الدولة والاستقلال ستكون محدودة وحذرة بالنظر للعلاقات التاريخية التي تجمع لندن وواشنطن.

يرى مراقبون أن حزب العمال سيواجه تحديات في الحفاظ على وحدة موقفه بشأن

القضية الفلسطينية، خاصة عندما يمتلك مثل هذه الأغلبية الكبيرة من النواب، وهذا سيجعل من الصعب على حزب العمال فرض الانضباط الحزبي على أعضائه. ويكاد يكون من المؤكد أن ستارمر سيزيد من مضاعفة الانحياز إلى مواقف واشنطن. وسيشمل ذلك التردد في الاعتراف بالدولة الفلسطينية واستمرار تقديم الدعم القوي لإسرائيل، على الرغم من الضغوط القانونية والسياسية لتعليق مبيعات الأسلحة لإسرائيل بسبب حرب غزة.

بينما تظل معالجة الأمور الاقتصادية في الداخل أولوية على أجندة الحزب، يبدو أن ستارمر ملتزم أيضاً بالحفاظ على دعم بريطانيا التقليدي للولايات المتحدة في مختلف مسائل السياسة الخارجية. مع وضع ذلك في الاعتبار، فإن بريطانيا تشترك مع الولايات المتحدة في أحلاف رئيسة أهمها حلف الناتو، إلى جانب شراكتها في التاريخ الاستعماري لدول العالم، وبالتالي تطابق المصالح تماماً مع واشنطن وحلفائها وفي المقدمة منهم إسرائيل.

في هذا السياق، وجه الكاتب ديفيد هيرست – صاحب رواية البندقية وغصن الزيتون - في مقالة انتقادات لاذعة لمواقف حزب العمال البريطاني وزعيمه ستارمر من القضية الفلسطينية، قائلا إنهما تجاهلا غضب الناخبين وحنثا بتعهدهما للفلسطينيين في قضايا عدة، مضيفاً، يبدو أن التوقعات العالية بشأن تغيير محتمل في مسار حكومة حزب العمال بشأن فلسطين والناخبين من أنصار الحق الفلسطيني البريطانيين قد تحطمت خلال الأسبوعين الأولين لرئيس الوزراء البريطاني ستارمر في منصبه.

وللاستدلال على عدم وجود نية لتغيير الموقف البريطاني الثابت تجاه دعم إسرائيل، والتزام الخط الأميركي المناهض لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، كانت الرحلة التي قام بها وزير الخارجية الجديد لامي إلى إسرائيل، ولقطة المصافحة الحميمة مع نتنياهو التي أذهلت الجميع نقطة فارقة، لاحقا ذكرت صحيفة معاريف الإسرائيلية أن وزير الخارجية البريطاني أعطى إسرائيل تأكيدات بأن بلاده ستحافظ على اعتراضها على الطلب الذي أثارته حكومة المحافظين السابقة لاستمرار عرقلة عمل محكمة الجنايات الدولية. بالإضافة إلى ذلك، لم نشهد أي رد فعل بريطاني من حكومة ستارمر بعد أن ألغى الكنيست الإسرائيلي حل الدولتين بأغلبية ساحقة.

بناء على هذه الإشارات، من غير المرجح أن نشهد تغييرات جوهرية في السياسة الخارجية لحكومة العمال الجديدة تجاه الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في المدى المنظور.

التوصيات

استمرار تفعيل الحراكات والنشاطات السلمية والمسيرات الاحتجاجية اليومية إلى جانب الأنشطة القضائية من رجالات القانون وأنصار الحق الفلسطيني والمنظمات الإنسانية والقانونية في عواصم البلدين أمرٌ مهمٌ لثني السياسة التقليدية لبلديهما تجاه دعم إسرائيل دون تحفظ، وهو بذلك يشكل حزام ضغط على المشرعين الجدد لاتخاذ مواقف أكثر توازناً تساهم في حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني على طريق إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وفق قرارات الشرعية الدولية ذات العلاقة بعيداً عن حالة التبعية السائدة في سياسات واشنطن.

قائمة المراجع

- https://www.politico.eu/article/france-legislative-election-emmanuel-macron-marine-le-pen-europe-national-rally/
- https://apnews.com/live/france-election-results-updates-round-2-macron-le-pen
- https://www.nytimes.com/202407/07//world/europe/france-election-new-popular-front-far-right.html
- https://www.timesofisrael.com/french-conservative-leader-embraces-far-right-party-founded-by-nazi-apologist/
- https://www.france24.com/en/france/20240621-france-s-new-left-wing-alliance-unveils-ambitious-economic-programme-%E293-%80%and-how-they-ll-pay-for-it
- https://www.reuters.com/world/europe/melenchon-divisive-supremo-frances-hard-left-poses-coalition-conundrum-202409-07-/
- https://www.mawteni48.com/archives/273115
- https://www.politico.eu/article/emmanuel-macron-france-election-chaos-comeback-new-popular-front/
- https://www.politico.eu/article/emmanuel-macron-france-shock-vote-coalition-centrist-thursday-president-elections-2024-nfp/

رأي محكمة العدل الدولية الاستشاري وآفاق تنفيذه في ضوء قرار الكنيست منع إقامة دولة فلسطين

د. عبدالله النجار*

مقدمة

تلعب محكمة العدل الدولية دوراً مهماً في حل النزاعات الدولية وتقديم الاستشارات القانونية إلى الأمم المتحدة ومؤسساتها. ويعد الرأي الاستشاري الصادر من محكمة العدل الدولية بشأن القضايا الدولية نقطة مرجعية قانونية مهمة، لكن يبقى السؤال حول مدى إلزامية هذه الآراء وكيف يمكن أن تساهم في حثّ الدول على الاعتراف بدولة فلسطين.

ومن المتعارف عليه، أن الرأي الاستشاري الذي يصدر من محكمة العدل الدولية لا يعتبر ملزماً قانونياً كما هو الحال مع الأحكام القضائية الصادرة من المحكمة في القضايا النزاعية بين الدول. بدلاً من ذلك، تقدم المحكمة الرأي الاستشاري الذي يعتبر بياناً قانونياً؛ بناءً على طلب من هيئة دولية مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة أو مجلس الأمن. ويعبر الرأي الاستشاري عن وجهة نظر المحكمة بخصوص مسألة قانونية دولية معينة، وهذه الآراء تُعتبر إرشادية وتُستخدم أداةً لتوجيه السياسات الدولية وتوضيح الجوانب القانونية المتعلقة بالقضايا المطروحة.

ومع أن الآراء الاستشارية ليست ملزمة قانونياً، فإنها تحمل وزناً قانونياً وأخلاقياً كبيراً. تُعتبر هذه الآراء توضيحات قانونية صادرة من أعلى هيئة قضائية دولية، وبالتالي فإنها تتمتع بشرعية ومصداقية كبيرة يمكن أن

* رئيس تحرير مجلة سياسات.

تؤثر على سلوك الدول والمجتمع الدولي وتوجّه السياسات الدولية.

تعتبر الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ملتزمة أخلاقياً بتنفيذ توصيات وآراء محكمة العدل الدولية، إلا إنها غير مجبرة على الالتزام بهذه الآراء، ومع ذلك فإن تجاهلها قد يؤدي إلى تداعيات دبلوماسية وسياسية سلبية.

سبق لمحكمة العدل الدولية أن أصدرت العديد من الآراء الاستشارية التي تعامل معها المجتمع الدولي ومنها ما تم تنفيذه، على سبيل المثال:

- أصدرت محكمة العدل الدولية رأياً استشارياً حول استقلال ناميبيا (سنة ١٩٧١) عن جنوب إفريقيا، وعلى الرغم من مقاومة نظام الفصل العنصري القائم في جنوب إفريقيا (١٩٤٨ ـ ١٩٩١) قرار المحكمة سنوات طويلة فقد نالت ناميبيا الاستقلال سنة ١٩٩٠.
- كذلك أصدرت المحكمة رأياً استشارياً حول الصحراء الغربية سنة ١٩٧٥، قالت فيه إن العلاقات بين المغرب والصحراء الغربية قبل احتلالها من إسبانيا كنت موجودة لكنها لم ترق إلى حد السيادة، وبالتالي طالبت المحكمة بتنظيم استفتاء لتقرير المصير لشعب الصحراء، وهذا ما تعارضه المغرب حتى الآن.
- وفي القضية المتعلقة باستقلال كوسوفو عن صربيا سنة ٢٠٠٨، أصدرت المحكمة رأياً استشارياً سنة ٢٠١٠ أقرت فيه أن إعلان كوسوفو استقلالها عن صربيا من جانب واحد لم ينتهك القواعد العامة للقانون الدولي التي لا تحظر إعلان الاستقلال.
- وفي الوضع الفلسطيني، لدينا الرأي الاستشاري حول الجدار العازل الذي صدر من المحكمة سنة ٢٠٠٤ تلبية لطلب من الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠٠٣. ومع أن المحكمة أفادت في رأيها الاستشاري بأن بناء الجدار العازل في الأراضي الفلسطينية بما فيها القدس المحتلة يعتبر انتهاكاً للقانون الدولي، ومطالبتها إسرائيل بوقف البناء، وهدم الجدار، وتعويض المتضررين، فإن إسرائيل وبدعم من الولايات المتحدة والغرب رفضت القرار واستمرت في بناء الجدار، ولم تتخذ أي إجراءات دولية لدفع إسرائيل للالتزام برأي المحكمة الاستشاري.

وفي ضوء التطورات السياسية والقانونية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، فإن صدور الرأي الاستشاري الثاني بشأن فلسطين من محكمة العدل الدولية - الذي جاء أيضاً بناءً على طلب من الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ العام

٢٠٢٢ - حمل تداعيات كبيرة على الصعيدين الدولي والمحلي. حيث إن هذا القرار يتناول عدم شرعية الاحتلال والوجود الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة وعدم شرعية المستوطنات والمستوطنين في هذه الأراضي، ويطالب برحيل الاحتلال والمستوطنين وتعويض الفلسطينيين عن الخسائر المادية والمعنوية التي لحقت بهم نتيجة الاحتلال وممارساته، كما يطالب الأمم المتحدة ومؤسساتها بدراسة التدابير اللازمة لوضع حد للوجود غير الشرعي لإسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

في المقابل، وفي خطوة استباقية، أقر الكنيست الإسرائيلي قراراً يمنع إقامة دولة فلسطينية، مما يزيد من تعقيد الوضع، ونستطيع القول إن إسرائيل تهدف من هذا القرار الاستباقي إلى تأكيد السيطرة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية ومنع أي محاولات لإقامة دولة مستقلة وتعزيز الموقف الإسرائيلي بأن الضفة الغربية والقدس الشرقية هي جزء لا يتجزأ من دولة إسرائيل وزيادة الأنشطة الاستيطانية فيهما، إضافة إلى تحدي المجتمع الدولي وإحباط الجهود الرامية إلى تحقيق السلام القائم على أساس حل الدولتين، ووضع العراقيل أمام تنفيذ القرارات الأممية والتوصيات القانونية التي تصدر من محكمة العدل الدولية، وهذا أيضاً من شأنه تعزيز الدعم الداخلي للحكومة الإسرائيلية، خاصة بين الفئات التي تعارض إقامة دولة فلسطينية، واستقطاب القاعدة الانتخابية المحافظة والمستوطنين.

المحاور الرئيسة لرأي محكمة العدل الدولية الاستشاري:

١. عدم شرعية الاحتلال والمستوطنات

أكدت محكمة العدل الدولية في رأيها الاستشاري عدم شرعية احتلال إسرائيل الأراضي الفلسطينية، مشيرة إلى أن استمرار هذا الاحتلال يتعارض مع القانون الدولي. كما أكدت المحكمة عدم شرعية المستوطنات والمستوطنين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، معتبرةً أن بناء المستوطنات ونقل السكان الإسرائيليين إليها يعد انتهاكاً للقانون الدولي الإنساني، خاصة اتفاقية جنيف الرابعة.

٢. الوقف الفوري للاستيطان وإخراج المستوطنين

طالبت المحكمة بوقف فوري للأنشطة الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة كافة، وأكدت ضرورة إخراج المستوطنين من هذه الأراضي. وهذا المطلب يشكل جزءاً أساسياً من الجهود الرامية إلى إنهاء الاحتلال وإعادة الحقوق المسلوبة للشعب الفلسطيني.

٣. دعوة الدول إلى عدم تقديم المساعدات لإسرائيل

دعت المحكمة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى الامتناع عن تقديم أي مساعدات أو تعاون مع إسرائيل يمكن أن يساهم في إدامة الاحتلال والاستيطان. هذا يشمل الدعم المالي

والعسكري والسياسي، ويهدف هذا البند إلى ممارسة ضغط دولي على إسرائيل لإنهاء احتلالها.

٤. تعويض الفلسطينيين عن الخسائر

ألزمت المحكمة إسرائيل تعويضَ الفلسطينيين عن الخسائر المادية والمعنوية التي لحقت بهم جراء ممارسات الاحتلال والاستيطان. ويتضمن ذلك تعويضات مالية للأفراد والمجتمعات التي تضررت من الأنشطة الاستيطانية والسياسات الإسرائيلية القمعية.

٥. دور الأمم المتحدة

طالبت المحكمة الأمم المتحدة، بمؤسساتها كافة، بدراسة التدابير اللازمة لوضع حد للوجود غير الشرعي لإسرائيل في الأراضي الفلسطينية. وشددت على ضرورة تعزيز الجهود الدولية لتحقيق هذا الهدف، بما في ذلك فرض عقوبات واتخاذ إجراءات قانونية ضد إسرائيل.

٦. حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير.

أعاد هذا الرأي الاستشاري التأكيد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، مشيراً إلى أن هذا الحق يجب أن يكون الأساس لأي حل سلمي للصراع. حيث إن حق تقرير المصير يشمل إقامة دولة مستقلة ذات سيادة، تعيش بسلام وأمان بجانب إسرائيل. حسب قرار التقسيم ١٨١ لسنة ١٩٤٧.

آفاق تنفيذ الرأي الاستشاري في ضوء قرار الكنيست

١. التحديات القانونية والسياسية

يشكل القرار الذي أقره الكنيست الإسرائيلي بشكل استباقي - الذي يقضي بمنع إقامة دولة فلسطينية - تحدياً كبيراً أمام تنفيذ توصيات محكمة العدل الدولية، ويعكس هذا القرار (الذي أقر بالإجماع تقريباً) رفضاً إسرائيلياً صريحاً للقرارات الدولية والتوصيات القانونية، مما يعقد الجهود الرامية إلى تحقيق حل الدولتين.

٢. الضغط الدولي والعربي والإسلامي

تحتاج دولة فلسطين إلى تكثيف نشاطاتها الدبلوماسية والعمل مع الدول التي اعترفت بدولة فلسطين لحثّ الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على مواصلة ضغوطها على إسرائيل لتنفيذ توصيات محكمة العدل الدولية. ويشمل ذلك فرض عقوبات اقتصادية ودبلوماسية، وتقديم دعم سياسي وقانوني للفلسطينيين في المحافل الدولية.

وباعتبار أن الدول العربية والإسلامية تلعب دوراً محورياً في دعم القضية الفلسطينية. يمكنها تعزيز هذا الدعم من خلال تقديم المساعدات المالية والسياسية للفلسطينيين، وتفعيل دور المنظمات الإقليمية مثل جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي.

٣. الحراك الشعبي والدبلوماسي الفلسطيني

وفي إطـــار الدعم الجماهيري الكبير والحراكات الطلابية المتواصلة في الجامعات والمـــدن والعواصم العالمية، يجب على المؤسسات الفلسطينية الرسمية أن تواصل وتكثف جهودها لتعزيز الحراك الشعبي والدبلوماسي على الصعيد الدولي، العمل على بناء تحالفات دولية قوية لدعم الحقوق العادلة وفضح الانتهاكات الإسرائيلية.

٤. دور المنظمات غير الحكومية

ولا يفوتنا الدور المهم الذي تلعبه المنظمات غير الحكومية في رصد الانتهاكات الإسرائيلية وتوثيقها، وتقديم الدعم القانوني والإعلامي للفلسطينيين. يمكن لهذه المنظمات تعزيز جهودها بالتعاون مع المؤسسات الدولية لزيادة الضغط على إسرائيل.

كيف يمكن أن يساهم الرأي الاستشاري في حث الدول على الاعتراف بدولة فلسطين؟

يساهم الرأي الاستشاري في تعزيز شرعية القضية الفلسطينية الدولية من خلال توضيح موقف القانون الدولي من الاحتلال الإسرائيلي والمستوطنات، وهذا من شأنه أن يشجع المزيد من الدول على الاعتراف بدولة فلسطين كجزء من التزامها بالقانون الدولي وقـــرارات الأمم المتحدة. ويمكن استخدامه أيضاً كأداة ضغط دبلوماسي على الدول التي لم تعترف بعد بدولة فلسطين. يمكن للقيادة الفلسطينية والدول الداعمة استخدام هذا الرأي في المحافل الدولية لدعوة الدول إلى مراجعة مواقفها والاعتراف بفلسطين بناءً على مبادئ القانون الدولي. كما يمكن أن يساهم في تعزيز الدعم الشعبي والدولي من خلال زيادة الوعي والانتباه للانتهاكات الإسرائيلية. ويمكن للمنظمات غير الحكومية، والمجتمع المدني، ووسائل الإعلام استخدام هذا الرأي لتسليط الضوء على القضية وحشد الدعم الدولي.

قد يدفع استثمار هذا القرار بشكل صحيح الدول المعنية إلى إعادة النظر في سياساتها والمشاركة بجدية في المفاوضات السياسية لحل النزاع. كما يمكن استخدامه كقاعدة قانونية للمفاوضات المستقبلية والضغط على إسرائيل للامتثال للقانون الدولي وإنهاء احتلالها.

في هذا الإطار أيضاً يمكن العمل على تعزيز المبادرات الدولية الداعمة لفلسطين، مثل مبادرة السلام العربية أو الجهود الأوروبية لدعم حل الدولتين. وحث الدول الداعمة على استخدام هذا الرأي لتقوية مواقفها والدعوة إلى الاعتراف بدولة فلسطين في إطار الجهود الدولية لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة.

خاتمة

يعد الرأي الاستشاري الأخير لمحكمة العدل الدولية خطوة مهمة نحو تحقيق العدالة للشعب الفلسطيني وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي. ومع ذلك، فإن تنفيذ هذه التوصيات يواجه تحديات كبيرة في ظل قرار الكنيست الإسرائيلي منع إقامة دولة فلسطينية. وهذا يتطلب التغلب على هذه التحديات من خلال الوحدة الوطنية وإنهاء الانقسام والتأكيد على وحدانية تمثيل الشعب الفلسطيني وتكاتف الجهود الإقليمية والدولية، مع التأكيد على أهمية الدعم العربي والإسلامي، والحراك الشعبي والدبلوماسي المكثف، وتحقيق الشراكات المجتمعية والوطنية القوية المدعومة بقرارات قانونية واضحة، وهذا من شأنه أن يسهم بشكل كبير في تحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية والضغط على إسرائيل للامتثال للقانون الدولي.

وأخيراً، يجب التأكيد على أن آراء محكمة العدل الدولية الاستشارية لا تسقط بالتقادم، وإنما تظل صالحة كمرجع قانوني وأداة استرشادية للدول والمنظمات الدولية، يمكن استخدامها لتعزيز المواقف القانونية والسياسية، والدفاع عن الحقوق الدولية، وتوجيه الجهود نحو حل النزاعات بطريقة تتوافق مع القانون الدولي بصرف النظر عن مرور الزمن، وأكبر مثال على ذلك أنه على الرغم من مرور أكثر من عقدين على إصدار الرأي الاستشاري المتعلق بالجدار العازل (٢٠٠٤)، فلا يزال يُستخدم كمرجع قانوني في المناقشات الدولية حول شرعية الجدار والمستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

واقع العملية التعليمية
في ظل الحرب الإسرائيلية وسبل الإنقاذ

أ. إكرام عمر*

مقدمة

تنص المادة ٥٠ من اتفاقية جنيف الرابعة* على أن "تكفل دولة الاحتلال، بالاستعانة بالسلطات الوطنية والمحلية، حسن تشغيل المنشآت المخصصة لرعاية الأطفال وتعليمهم"، إلا إن إسرائيل وعلى الرغم من توقيعها على الاتفاقية المذكورة، فقد صعدت منذ السابع من تشرين الأول (٢٠٢٣) من سياساتها الهادفة إلى تقويض النظام التعليمي في فلسطين وتدميره، متجاهلة بذلك الأعراف والمواثيق الدولية وكذلك مسؤولياتها بموجب القانون الدولي.

تتعدد القطاعات الفرعية المنضوية تحت مظلة النظام التعليمي الفلسطيني، فهناك التعليم قبل المدرسي (رياض الأطفال)، والتعليم المدرسي (١-١٢)، والتعليم الجامعي، والتعليم المهني، والتعليم غير النظامي. كل هذه القطاعات لم تسلم من سياسات العنف والقمع الإسرائيلية، فكانت هدفاً للآلة الحربية التي قصفت المدارس ودمرت الجامعات لتتعطل بذلك العملية التعليمية بأكملها.

لم تقتصر تداعيات العدوان الإسرائيلي على العملية التعليمية في قطاع غزة فحسب، فوسط تصاعد عنف المستوطنين وسياسات العقاب الجماعي وفرض الحواجز، تعطلت عملية الحصول على تعليم آمن في مدارس الضفة الغربية والقدس وجامعاتها.

* باحثة في السياسات العامة..

دفع تعطل المسيرة التعليمية في قطاع غزة وتزعزعها في الضفة الغربية إلى البحث عن حلول وبدائل، فكان التوجه إلى التعليم الإلكتروني تارة والتعليم المدمج تارة أخرى سبيلاً لإنقاذ العام الدراسي، على الرغم من عدم نجاعة هذه الحلول وقصورها في ظل عدم توفر الإمكانات والوسائل التكنولوجية.

تحاول العديد من الهيئات الدولية والمؤسسات الحقوقية والمحلية، وضع آليات للتعامل مع الوضع الحالي في محاولة منها للتخفيف من قتامة مستقبل العملية التعليمية في قطاع غزة، خاصة أنه لا يمكن لأحد تصور ما سيكون عليه التعليم في وقت يشغل فيه النازحون المدارس القليلة المتبقية التي لم تتعرض كغيرها للتدمير الكلي أو الجزئي جراء الاستهداف الإسرائيلي.

أثر العدوان على التعليم الأساسي

بحسب إحصاءات وزارة التربية والتعليم العالي، "هناك (٣,١٩٠) مدرسة في الأراضي الفلسطينية، منها (٢,٣٩٤) مدرسة في الضفة الغربية و(٧٩٦) مدرسة في قطاع غزة، منها)٤٤٢(مدرسة حكومية، و)٢٨٤(مدرسة تابعة لوكالة الأونروا، و)٧٠(مدرسة خاصة".[١]

يبلغ إجمالي عدد الطلبة في مدارس القطاع) ٦٠٨,٣٦٤(طالباً/ة، منهم (٢٩٣,٧٠١) طالب/ة في المدارس الحكومية، و(٢٩٣,٤١٦ طالباً/ة في مدارس تابعة لوكالة الأونروا، و(٢١,٢٤٧) طالباً/ة في مدارس خاصة.[٢]

بلغ إجمالي عدد المعلمين والمعلمات في قطاع غزة)٢٥,٩٢٥(معلماً/ة، فيما بلغ عدد المعلمين/ات في المدارس الحكومية (١٤,٢٩٥) معلماً/ة، أما في المدارس التابعة لوكالة الأونروا فبلغ (١٠,٠٤١) معلماً/، و(١,٥٨٩) معلما/ة في مدارس خاصة.[٣]

تعطلت منذ بدء العدوان العملية التعليمية في قطاع غزة، نتيجة القصف المستمر والغارات العنيفة على القطاع وتدمير البنية التحتية في عدد من المدارس، وحُرِم نحو ٦٢٠ ألف طالب/ة من حقهم في التعليم المدرسي خلال العام الدراسي ٢٠٢٤/٢٠٢٣.

بلغ عدد الشهداء من الطلبة الملتحقين في المدارس في فلسطين ٦٤٧٧ شهيداً/ة، بواقع ٦٤١٧ شهيداً/ة في قطاع غزة و٦٠ شهيداً/ة في الضفة الغربية. فيما بلغ عدد الجرحى من الطلبة الملتحقين في المدارس في فلسطين ١٠,٧٤٦ جريحاً/ة، بواقع ١٠٤٠٥ جرحى/ات في قطاع غزة و٣٤١ جريحاً/ة في الضفة الغربية. وبحسب بيانات وزارة التربية والتعليم العالي، فقد بلغ عدد المعتقلين من الطلبة الملتحقين في المدارس ١١٦ طالباً جميعهم من الضفة الغربية.[٤]

أشـار المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، إلى أن إسرائيل دمرت ٨٠٪ من مدارس قطاع غزة بشكل كلي أو جزئي في هجومها العسكري منذ السابع تشرين الأول، وهو ما وصفه خبراء الأمم المتحدة في بيان مشترك صدر في ١٨ نيسان الماضي، بأنه يمثل إبادة تعليمية ويحرم جيلاً آخر من الفلسطينيين من مستقبلهم.[٥]

بحسب المرصد، حوّل الجيش الإسرائيلي مدارس ومرافق تعليمية إلى قواعد عسكرية، في إطار هجومه العسكري المستمر على قطاع غزة، منتهكاً القانون الدولي وقواعد الحرب.

تظهر إحصاءات وزارة التربية والتعليم العالي أن العملية التعليمية تعطلت في ٢٨٦ مدرسة حكومية، إضافة إلى (٦٥) مدرسة تابعة لوكالة الأونروا، كما تشير إلى أن عدد الشهداء في القطاع من المعلمين والإداريين بلغ ٢٩٦ معلماً.[٦]

وبينما تتجه كل الأنظار إلى غزة، تعطلت في الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، إمكانية الحصول على التعليم الآمن وسط تصاعد العنف في الأشهر الأخيرة في (٦٨) مدرسة. فيما تأثر ما لا يقل عن ٧٨٢ ألف طالب بالقيود المفروضة على الحركة، وتزايد العنف، والخوف من مضايقات المستوطنين والقوات الإسرائيلية منذ تشرين الأول الماضي.

في اليوم ٢٢٨ من العدوان الإسرائيلي، قتلت قوات الاحتلال في محافظة جنين المعلم علام جرادات (٤٨ عاماً)، بينما كان متوجهاً إلى عمله في مدرسة وليد أبو مويس الأساسية للبنين، كما أعدمت الطالب في الصف التاسع من مدرسة ذكور الكرامة الأساسية الثانية محمود أمجد حمادنة (١٥ عاماً).[٧]

تظهر الأرقـام والإحصاءات أعلاه حجم الخسائر البشرية والمادية التي لحقت بقطاع التعليم المدرسي جراء العدوان المتواصل على فلسطين، الأمر الذي يثير العديد من التساؤلات حول مستقبل العملية التعليمية في قطاع غزة خاصة بعد أن تضع الحرب أوزارها.

التعليم الجامعي في ظل العدوان

يبلغ عدد مؤسسات التعليم العالي المعتمدة والمرخصة في فلسطين (٥٣) مؤسسة، (٣٤) مؤسسة في الضفة الغربية و(١٧) مؤسسة في قطاع غزة، أما التعليم المفتوح فتوجد جامعتان: جامعة القدس المفتوحة تتوزع مراكزها بين الضفة وغزة بما مجموعه ١٨ مركزاً، (١٣) مركزاً في الضفة و(٥) مراكز في غزة، والجامعة الثانية هي الجامعة العربية المفتوحة في رام الله.[٨]

لم تكن الحرب التي اندلعت في السابع من تشرين الأول الماضي، بعيدة عن بداية العام الدراسي في الجامعات الفلسطينية، فأدت إلى تعطل العملية التعليمية في أكثر من ١٩ مؤسسة

تعليم عالٍ في قطاع غزة، حيث استهدفت صواريخ الاحتلال ١١ مؤسسة منها، وحرم أكثر من ٨٨٠٠٠ طالب من تلقي تعليمهم.

أشار المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان إلى أن الجيش الإسرائيلي قتل ٩٤ من أساتذة الجامعات الفلسطينية، إلى جانب مئات المعلمين وآلاف الطلبة منذ ٧ تشرين الأول الماضي.[٩]

بيّن الأورومتوسطي أن القائمة التي وثقها تضم ١٧ شخصية يحملون درجة بروفسور، و٥٩ يحملون درجة الدكتوراه، و١٨ يحملون درجة الماجستير، مؤكداً أن هذه الحصيلة غير نهائية؛ إذ هناك تقديرات بوجود أعداد أخرى من الأكاديميين المستهدفين، وكذلك من حملة الشهادات العليا، لم يتم حصرهم نتيجة صعوبات التوثيق الناجمة عن تعذر الحركة بحرية وانقطاع الاتصالات والإنترنت ووجود آلاف المفقودين ممن لم يتم حصرهم بعد.

في الضفة الغربية والقدس، استباح الاحتلال المؤسسات التعليمية، مما أدى إلى توقف التعليم الوجاهي في مؤسسات التعليم العالي كافة البالغ عددها ٣٤ مؤسسة، وتحوله إلى التعليم الإلكتروني، باستثناء بعض المساقات العملية، نتيجة الإغلاقات والتضييقات على الطلبة والاقتحامات التي تعرضت لها عدد من الجامعات، كجامعة الخليل وبيرزيت وفلسطين التقنية وغيرها.

تراجعت نسب التسجيل في الجامعات، لا سيما الجامعات الخاصة، واضطرت الجامعات إلى استخدام التدريس الإلكتروني عوضاً عن الوجاهي، ليس فقط بسبب إغلاقات الاحتلال فحسب، وإنما بسبب الظروف الاقتصادية، وهو ما انعكس سلباً على جودة العملية التعليمية برمتها.

يُقدِر الأورومتوسطي أنّ الخسائر المادية التي لحقت بالجامعات جراء التدمير وحده تفوق حد ٢٠٠ مليون دولار.

دمرت الحرب الخطط المستقبلية للطلبة الناجين من صواريخ الاحتلال، فالطالبة دينا عدوان التي كانت على موعد مع التخرج والحصول على شهادتها الجامعية في تخصص "تكنولوجيا المعلومات التطبيقية" من جامعة الأقصى بمدينة غزة، تقول: إن "الحرب أكلت سنة من عمري، ودمّرت خططي المستقبلية لمواصلة تعليمي العالي، لكنني من المحظوظين لأنني على قيد الحياة، فالكثير من زميلاتي وصديقاتي في الجامعة استشهدن، كما استشهد عميد كليتنا خالد شرف مع جميع أفراد أسرته".[١٠]

التعلم عن بُعد في سياقه التاريخي

يعرف التعليم عن بُعد بأنه "نظام تعليمي متكامل ينفصل فيه المتعلمون عن المعلمين جغرافياً. ويقوم هذا النظام على أساس إيصال المحتوى التعليمي للمتعلمين في مواقع إقامتهم أو عملهم عبر وسائل الاتصال المتاحة

كالبريد العادي والبريد الإلكتروني والإنترنت. فالتعلم هنا هو تعلم ذاتي نشط يستند إلى أساليب متعددة، وقد يستخدم تقنيات التعليم الإلكتروني، لكنه غير مرتبط بها ولا يشترط الاعتماد عليها". [١١]

في العام ٢٠٢٠ ولمواجهة جائحة كورونا، وفي إطار سياساتها الاحترازية لمنع تفشي الوباء، أعلنت حالة الطوارئ في جميع الأراضي الفلسطينية بقرار رئيس مجلس الوزراء الفلسطيني رقم ١ لسنة ٢٠٢٠، فأغلقت المؤسسات التعليمية من مدارس ومعاهد وجامعات ومراكز أخرى أبوابها.

لجأت المؤسسات التعليمية في محاولة لتعويض الطلبة ومنع ضياع العام الدراسي إلى خيار التعليم عن بُعد عبر شبكة الإنترنت كبديل مؤقت لنظام التعليم الاعتيادي الوجاهي، وذلك باستخدام جملة من البرامج والتطبيقات الإلكترونية.

يعد التعليم عن بُعد في المدارس الفلسطينية - التي تضمّ نحو مليوناً و٢٥٠ ألف تلميذ في الضفة الغربية وقطاع غزة- حديث النشأة؛ لذا يفتقر العديد من الأساتذة والطلاب إلى المعرفة الكافية بأبجدياته، لذا سارعت وزارة التربية والتعليم العالي عبر "المعهد الوطني للتدريب التربوي" إلى تنفيذ دورات تدريبية عن بعد للمدرسين؛ لتمكينهم من ممارسة هذا النوع من التعليم.[١٢]

عمدت مؤسسات التعليم العالي في فلسطين خاصة الجامعات إلى إنشاء منصات إلكترونية؛ حيث كانت تعمل الجامعة على إعداد المحاضرات وتسجيلها ومن ثم رفعها على موقعها ليتمكن الطلبة من مشاهدتها مرة أخرى.

واقع التعليم الإلكتروني في ظل الحرب

في اليوم التالي للسابع من تشرين الأول، قررت وزارة التربية والتعليم العالي تعليق الدوام الوجاهي في المدارس والتحول إلى التعليم عن بُعد، نظراً للظروف الميدانية التي تشهدها الأراضي الفلسطينية في قطاع غزة والضفة.

مع استمرار الحرب وفي ظل التصعيد الإسرائيلي في الضفة الغربية وتزايد اعتداءات المستوطنين، تحولت عشرات المدارس إلى التعليم عن بُعد باعتباره الحل الذي يكفل الحفاظ على حياة الطلبة التعليمية في ظل الاقتحامات المتكررة من جهة، ولتخفيف الأعباء المالية على المعلمين الذين لم تعد الحكومة قادرة على دفع رواتبهم.

صرح الناطق باسم وزارة التربية والتعليم العالي صادق الخضور لـ "الجزيرة نت" بأن "الوزارة اضطرت مع بدء العدوان على غزة إلى التحول للتعليم عن بُعد، في آخر شهرين من الفصل الدراسي الأول (نهاية ٢٠٢٣). وأضاف إن "التجربة مستمرة بالكامل مع نحو ٣٠ ألف طالب وطالبة، في نحو ١٠٠ مدرسة تقع في مناطق التماس، بهدف توفير الأمان للطلاب وإبعادهم عن مناطق الاحتكاك مع جيش الاحتلال والمستوطنين"."[١٣]

وفق معطيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني للعام ٢٠٢٢، فإن نحو ٩٣٪ من الأسر الفلسطينية في الضفة تصلها خدمة الإنترنت، فيما بلغت نسبة الأفــراد الذين يستخدمون الإنترنت من عمر ١٠ سنوات فأكثر وفي أي مكان نحو ٨٩٪.[١٤]

على الرغم من الأرقام الصادرة من الجهاز المركزي للإحصاء فإن الواقع وظروف الحرب وما صاحبها من انقطاع في شبكات الاتصال إضافة إلى الأزمة الاقتصادية الصعبة التي لحقت بالشعب الفلسطيني، تظهر أن الطلبة، يعانون من صعوبات في الوصول إلى التكنولوجيا الضرورية للتعلم عن بُعد، ومتابعة دراستهم بشكل فعّال، مما أثر على جودة التعليم.

يشير الخضور إلى أن "عدالة التعليم لا تتحقق في التعليم عن بُعد كما في التعليم الوجاهي، نظرًا لارتفاع نسبة الغياب."[١٥]

العملية التعليمية (سبل الإنقاذ):

انتهى العام الدراسي في فلسطين في ظروف استثنائية، فآلاف الطلبة لم ينالوا شهاداتهم المدرسية، بل نالوا "الشهادة"، كما حرم الكثير ممن حالفهم الحظ بالنجاة، من الجلوس إلى مقاعد الدراسة، في حين قاوم البعض الوضع الحالي فالتحق بالتعليم الإلكتروني.

تحاول الحكومة الفلسطينية ممثلة بوزارة التربية والتعليم العالي، دعم وإغاثة طلبة التعليم العالي في فلسطين؛ خاصةً في قطاع غزة، عبر إطلاق المنصة العربية للتعليم الرقمي، بحيث يتمكن طلبة غزة من استكمال تعليمهم بعد أنْ انقطعوا عن الدراسة بسبب عدوان الاحتلال المتواصل.[١٦]

طرحت الوزارة مبادرة تقضي باستيعاب طلبة التعليم العالي في غزة في جامعات الضفة الغربية وكلياتها، مع العلم أن عدداً من طلبة غزة سجَّل فعلياً في جامعات الضفة كطلبة زائرين. [١٧]

مبادرات فردية يقوم بها الغزيين لتعويض انهيار منظومة التعليم وسط العدوان المستمرّ، ففي خيم النازحين ومدارس الإيواء، يلتحق الطلبة بمدارس بديلة تطوع للعمل فيها معلمون، فعلى سبيل المثال لا الحصر تطوّعت أسماء الأسطل في المدرسة البديلة التي أُنشئت في خيمة بالقرب من ساحل قطاع غزة، تحديداً في منطقة المواصي، أواخر نيسان الماضي.[١٨]

يواجه عشرات الآلاف من سكان غزة الذين عبروا الحدود إلى مصر تحديات أيضا. وعلى الرغم من شعورهم بالأمان النسبي، فإنهم لا يملكون الوثائق اللازمة لتسجيل أطفالهم في المدارس، لذلك سجل البعض للحصول على التعليم عن بعد في مدارس الضفة الغربية.

انطلقت امتحانات شهادة الثانوية العامة في ٢٢ حزيران دون قطاع غزة لأول مرة منذ عشرات السنين، دون أن يتمكن نحو ٤٠

ألف طالب من سكان قطاع غزة من التقدم للامتحانات بسبب استمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة.

وبحسب وزارة التربية والتعليم العالي، فقد جرى تسجيل ٨٠٠ من طلبة غزة لتقديم امتحان التوجيهي في مصر بإشراف السفارة الفلسطينية في القاهرة.[١٩]

اتجهت الحكومة الفلسطينية في الضفة الغربية إلى سياسة التعليم المدمج القائم على المزاوجة بين التعليم عن بعد والتعليم الوجاهي، وذلك لتخفيف من الفاقد التعليمي.

عينت الأمم المتحدة معلمين إضافيين من المناطق المجاورة للمدارس نظرا لأن العديد من الموظفين غير قادرين على الوصول إلى أماكن عملهم، وقامت الأمم المتحدة أيضاً بتنشيط التعليم عن بعد في الأيام التي لا تعمل فيها المدارس.

الخلاصة

- يشكل العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، ونيله من المنظومة التعليمة بقطاعاتها المختلفة ومراحلها المتعددة، انتهاكاً للقوانين الدولية التي تكفل للفرد الحق في التعليم.
- على الرغم من أن هيئات الأمم المتحدة في فلسطين تعتبر أن التعليم حق أساسي من حقوق الإنسان وشريان حياة بالغ الأهمية لملايين الأطفال والشباب المتضررين من الحرب، فإن إسرائيل لا تزال تمعن في استهداف العملية التعليمية من خلال ملاحقة الكوادر التعليمية والطلبة وقتلهم.
- أظهرت الأرقام والإحصاءات الصادرة من وزارة التربية والتعليم العالي، حجم الخسائر البشرية التي لحقت بالقطاع التعليمي، وفي المقدم منها الشهداء من الطلبة والمعلمين وأساتذة الجامعات.
- نتيجة القصف الإسرائيلي على قطاع غزة، دمرت المدارس وقصفت الجامعات ولحقت بالبنية التعليمية خسائر مادية فادحة تبدو فيها صورة المشهد المستقبلي للعملية التعليمية قاتمة.
- حالت سياسات الاحتلال في الضفة الغربية - المتمثلة بالاقتحامات وإقامة الحواجز العسكرية، إضافة إلى عربدة المستوطنين - دون انتظام العملية التعليمية في المدارس والجامعات الفلسطينية.
- يبدو وضع سبل لمواجهة تداعيات العدوان الإسرائيلي على العملية التعليمية خاصة في قطاع غزة صعباً في ظل استمرار الحرب، باستثناء بعض المبادرات التي قد تساهم في إنقاذ القليل من العام الدراسي كمبادرات إنشاء منصة تعليمية رقمية أو الالتحاق بالتعليم عن بعد.

هوامش

* اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب المؤرخة في ١٢ آب ١٩٤٩.

١ وزارة التربية والتعليم.٢٠٢٣، الكتاب الإحصائي التربوي السنوي للعام الدراسي .٢٠٢٣/٢٠٢٢ رام الله – فلسطين

٢ المصدر السابق.

٣ المصدر السابق.

٤ موقع وزارة التربية والتعليم العالي، انتهاك الاحتلال حق التعليم، تاريخ الدخول للموقع ٢٠٢٤/٥/٢٢

٥ غزة: إسرائيل تتعمد عسكرة الأعيان المدنية وتحويل مدارس إلى قواعد عسكرية، المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان.

https://euromedmonitor.org/ar/article/6291/%D8%-:BA%D8%B2%D8%A9

٦ موقع وزارة التربية والتعليم العالي، انتهاك الاحتلال حق التعليم،

٧ وكالة معاً الإخبارية، الاحتلال يواصل عدوانه على جنين ومخيمها لليوم الثاني، تاريخ النشر ٢٠٢٤/٠٥/٢٢.

٨ وزارة التربية التعليم العالي والبحث العلمي (٢٠٢٢). الكتاب الإحصائي السنوي لمؤسسات التعليم العالي الفلسطينية للعام الأكاديمي /٢٠٢١ ٢٠٢٢م، رام الله، فلسطين

٩ إسرائيل قتلت عشرات الأكاديميين ودمرت جامعات غزة. المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان. تاريخ النشر ٢٠٢٤/١/٢٠

https://euromedmonitor.org/ar/article/6106/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D984-%8A%D9%

١٠ إسرائيل تشن حرباً «ممنهجة» على التعليم في غزة للتجهيل والتهجير. رائد موسى. الجزيرة نت، ٢٠٢٤/١/٢٤

١١ تفيدة الجرباوي. التعليم عن بعد: النشأة والتطور، صحيفة «الأيام» ص٣، تاريخ ٢٠٢٠/٤/٥.

١٢ التعليم عن بعد في فلسطين. وكالة وفا الإخبارية. https:// info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=c2xypma27836871744ac2xypm

١٣ التعليم عن بُعد ملاذ الفلسطينيين في الضفة في ظل التصعيد الإسرائيلي، الجزيرة نت، عوض الرجوب. تاريخ النشر ٢٠٢٤/٢/١٨. https://www.aljazeera.net/politi 84%D8%AA%D8%D8%A7%D9%/18/2/cs/2024 85-%8A%D9%84%D9%%B9%D9

١٤ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الإحصاء الفلسطيني ووزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات يصدران بياناً صحافياً مشتركاً. تاريخ النشر ٢٠٢٣/٥/١٧.

١٥ التعليم عن بُعد ملاذ الفلسطينيين في الضفة في ظل التصعيد الإسرائيلي، مصدر سابق.

١٦ «التعليم العالي» تبحث ترتيبات إطلاق المنصة العربية للتعليم الرقمي لإغاثة طلبة غزة، تاريخ النشر ٢٠٢٤/٥/٢٢ .

١٧ «التعليم العالي» تبحث آليات التعاون والتنسيق بين الكليات التقنية في الضفة وغزة، تاريخ النشر ٢٠٢٤/٥/١٦.

١٨ حرب إسرائيل دمّرت منظومة التعليم في غزة. العربي الجديد، تاريخ النشر ٢٠٢٤/٥/١٣.

١٩ https://www.omandaily.om/العرب-والعالم/na/ منظومة-التعليم-دمرتها-الحرب-طلاب-غزة-يكافحون-لإنقاذ-عامهم-الدراسي

توظيف الدين في الخطاب السياسي الإسرائيلي: تحليل خطاب نقدي لخطابات بنيامين نتنياهو خلال العدوان على قطاع غزة

أ. معين فتحي الكوع*
أ. سامية بشار بني شمسة**

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة كيفية توظيف رئيس وزراء دولة الاحتلال الإسرائيلي بنيامين نتنياهو الخطابَ الديني في خطاباته السياسية خلال العدوان على غزة ٢٠٢٣/٢٠٢٤. اعتمدت الدراسة على نظرية تطبيع الحرب، وعلى أسلوب تحليل الخطاب النقدي، للكشف عن الرسائل الظاهرة والضمنية التي وردت في خطاباته السياسة الدينية. وقد توصلت الدراسة إلى أن نتنياهو اعتمد بشكل أساسي في خطابه السياسي على السياق الديني واستحضار نصوص توراتية بالاستناد إلى العناصر الخطابية الثلاثة: التسمية، التأطير، الاستعارة. معتمداً على بعض استراتيجيات نظرية خطاب تطبيع الحرب، خاصة مبدأ الشرعية لشرعنه الحرب دينياً وتبرير عمليات الإبادة والتهجير، وكذلك على مبدأ الإبادة الرمزية لطمس معالم القصف العشوائي. أوصت الدراسة بضرورة إجراء المزيد من الدراسات حول توظيف دولة الاحتلال الدين في الخطاب السياسي من خلال تحليل خطابات قادة سياسيين آخرين مثل وزير جيش الاحتلال، والمتحدث باسمه، وعقد المقاربات بينها.

المقدمة

عاشت دولة الاحتلال الإسرائيلي بجميع مكوناتها وشرائحها منذ السابع من تشرين

* جامعة القدس، أبو ديس، فلسطين.
** جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

الأول ٢٠٢٣، وهو تاريخ انطلاق "عملية طوفان الأقصى" حالة من الصدمة والهلع وعدم الاستقرار، بعد هجوم المقاومة الفلسطينية على مستوطنات "غلاف غزة".

شكلت عملية "طوفان الأقــصى،" ضربة مفاجئة للمنظومة الأمنية والعسكرية والسياسية في دولة الاحتلال الإسرائيلي، ما دفعها إلى القيام بالعديد من الإجراءات لضمان تهدئة جبهتها الداخلية ومحاولة إظهار القوة، وإعادة الشعور بالأمن، لاسيّما بعد أسر المقاومة أكثر من ٢٥٠ شخصاً. شملت محاولات حكومة الاحتلال، من بين أمورٍ أخرى، توجيه خطاباتٍ سياسية للجبهة الداخلية، والخارج أيضاً، سواء على لسان رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، أو وزير الجيش يوآف غالانت، وغيرهما من كبار المسؤولين، وقد عمد نتنياهو إلى تضمين سياقات دينية في عدد من خطاباته أمام وسائل الإعلام، خاصة فقرات من العهد القديم في سفر التثنية وسفر إشعياء (Boufteh, 2023).

تكمن أهمية الخطاب السياسي المبني على الخطاب الديني في قدرته على توجيه الرأي العام، وإحداث تأثير على السياسات والقرارات، حيث يعد من أكثر الوسائل فعالية للتواصل مع الجمهور المؤدلج وتحقيق التغيير في المجتمع، وتحفيز الناس على تأييد القرارات السياسية والاجتماعية، وتشكيل توجهات الرأي العام (Koa, 2018).

يتضح لمتتبعي إعلام الاحتلال، عمله الدؤوب على توظيف الخطاب الديني، ذي المدلولات الأمنية والعسكرية والتاريخية في الخطاب السياسي والاتصالي (الكوع ومصطفى، ٢٠٢٣)، حيث قدّم الخطاب السياسي باختلاف أدواته، منذ نشوء الحركة الصهيونية في مؤتمرها الأول في بازل عام ١٨٩٧، دوراً نفسياً مسانداً للقوة العسكرية الصهيونية (Dwaikat, 2020).

يشكل الخطاب السياسي الديني أهمية كبيرة بالنسبة للاحتلال، بهدف التأثير والإقناع، وتصعيد الكراهية ضد الفلسطينيين، وكسب التأييد الداخلي والخارجي، ويكتسب هذا الخطاب قوّته من تضمينه سياقات دينية بهدف إكسابه شرعية تستند إلى معتقدات دينية "غير قابلة للتشكيك" (Boufteh, 2023).

كشف عدوان الاحتلال خلال حربه الخامسة على قطاع غزة (٢٠٢٣/٢٠٢٤)، متغيرات كثيرة مر بها مجتمع دولة الاحتلال، خاصة في ما يتعلق بالتعبئة الأيديولوجية الدينية لحكومة اليمين المتطرف، حيث أظهر جانباً جديراً بالدراسة وهو استحضار الدين في الخطاب السياسي الرسمي لدولة الاحتلال أثناء عدوانها على الشعب الفلسطيني، وتبرير إبادتها الجماعية للمواطنين الفلسطينيين في قطاع غزة ضمن استراتيجية التطهير العرقي التي تمارسها حكومة اليمين المتطرف.

مشكلة الدراسة

بناء على ما سبق، تتمثل مشكلة الدراسة في معرفة كيفية توظيف رئيس وزراء دولة الاحتلال بنيامين نتنياهو الدينَ في خطاباته السياسية في وسائل الإعلام الرسمية المختلفة، وكيف حاول من خلال هذا الخطاب تطبيع الحرب وإعطاءها الشرعية منذ بدء ما سماها جيش الاحتلال عملية "السيوف الحديدية" رداً على التسمية الفلسطينية للمعركة "طوفان الأقصى،" حيث تعتمد الدراسة على أداة تحليل الخطاب النقدي، ونظرية خطاب تطبيع الحرب، وهي نظرية حديثة تُعنى بمعرفة كيفية استخدام الخطاب كأداة استراتيجية لجعل الحروب جزءاً من الحياة اليومية وجزءاً من الحياة الطبيعية. وعليه يمكن صياغة سؤال الدراسة الرئيس بما يأتي:

كيف وظّف رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو الدينَ في خطاباته السياسية على وسائل الإعلام الرسمية المختلفة، خلال العدوان على قطاع غزة ٢٠٢٣/ ٢٠٢٤ وفقاً لمبادئ نظرية تطبيع خطاب الحرب؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة بشكل رئيس إلى معرفة كيفية توظّيف رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو الدين في خطاباته السياسية على وسائل الإعلام الرسمية المختلفة، خلال العدوان على غزة ٢٠٢٣/٢٠٢٤.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في أنها تبحث في مضامين خطاب دولة الاحتلال السياسي الرسمي، وكيفية توظيف الدين في خدمة الأهداف السياسية والعسكرية وفقاً لنظرية تطبيع الحرب خلال الحرب الخامسة على قطاع غزة ٢٠٢٣/ ٢٠٢٤، وبالتالي تُضيف هذه الدراسة إلى الدراسات القليلة التي تدرس خطاب تطبيع الحرب من خلال بحثها في كيفية توظيف الدين في خدمة خطاب تطبيع الحرب، وعليه قد تفتح هذه الدراسة الباب للمزيد من الدراسات في هذا الحقل، علماً أن هذه الدراسة هي الدراسة العربية الأولى التي توظف هذه النظرية في إطارها النظري.

حدود الدراسة

الحدود الزمانية

تم حصر مشكلة الدراسة في نطاق زمني محدد، وهو ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣، تاريخ عملية "طوفان الأقصى"، حتى تاريخ ٦ نيسان ٢٠٢٤، وهو تاريخ إجراء هذه الدراسة. وعلى الرغم من أن العدوان على قطاع غزة ما زال مستمراً حتى التاريخ أعلاه إلا إن فترة ستة شهور كافية للاستدلال، خاصة أن معظم الخطابات الرسمية التي وظفت الدين تركزت في الشهرين الأولين من الحرب.

الحدود المكانية

خطابات رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو السياسية الرسمية خلال الفترة الزمنية المذكورة، التي بثت على وسائل الإعلام المختلفة.

الإطار النظري

الخطاب السياسي

الخطاب السياسي هو مفهوم متعدد التخصصات يثير اهتمام علماء اللغة، وعلماء السياسة، وعلماء الاتصال، فضلاً عن علماء علم الاجتماع، وعلماء الثقافة، وعلماء النفس، ويعرف بأنه جميع الأفعال اللفظية التي تستخدمها الحكومة في المناقشات السياسية، وهو "التعبير اللغوي للممارسة العامة في مجال الثقافة السياسية، التي تعتمد على استخدام مهني للغة، يستند إلى الوعي الوطني والاجتماعي والتاريخي لمتحدثيها" (Valerevna & Rakhmatovna, 2022, p. 88).

يمكن أن يشير مصطلح الخطاب السياسي بطرق عدة إلى مجموعة من أنواع الحديث أو النصوص المختلفة، فمثلاً قد يشير إلى نوع من الخطاب الذي يعد إنتاجاً سياسياً – خطاباً، مناظرة، مقابلة سياسية، وثيقة سياسية، وما إلى ذلك (Fairclough & Fairclough, 2013)، أو يمكن أن يشير إلى أي حديث أو نص أو المخرجات التي تتعلق إما بموضوع سياسي أو ذي دوافع سياسية (Hayward & O'Donnell, 2011)، ترى تامار ليبيس وريفكا ريباك أن الحديث العائلي عن الأحداث السياسية يمكن أن يكون أيضاً خطاباً سياسياً، حيث إن موضوع الحديث يدور حول "أحداث أو قضايا سياسية" (Liebes & Ribak, 1991). ويرى جون جوزيف أن كل اللغات هي بطبيعتها سياسية، وبالتالي يمكن اعتبار كل استخدامات اللغة تقريباً بمثابة "خطاب سياسي" (Joseph, 2006).

يُعرف الباحثان في هذه الدراسة الخطاب السياسي إجرائياً بأنه التصريحات الصحافية والخطابات التي قدمها رئيس وزراء دولة الاحتلال لوسائل الإعلام خلال الحرب الخامسة على قطاع غزة ٢٠٢٣/٢٠٢٤.

الخطاب الديني في الصراعات السياسية والعسكرية

ظهر عامل الدين في الصراعات السياسية بصورة مركّبة فاعلة خالفت توقعات التوجهات الأيديولوجية العلمانية، بما في ذلك التوجهات الليبرالية والماركسية. والمفارقة أن حضور الدين في السياسة بشكل عام، وفي الصراعات العنيفة على وجه الخصوص ازداد بعد الحرب الباردة لأن الحرب الباردة مكنت دولاً من إدارة الصراعات المسلحة والتحكم بإيقاعها خلال عقود الحرب، وكان عامل الدين أحد العوامل التي لم تعد الدول قادرة على التحكم بدوره في الصراعات (Mustafa, 2014).

وأشار Mustafa (٢٠١٤) إلى أن الأدبيات السياسية في العقود الأخيرة بدأت تهتم بتأثير عامل الدين على الصراعات المسلحة، وهنا لدينا ثنائية في التأثير: إما أن يقوم الدين بدور تعميق الصراعات العنيفة، أو قد يساهم في السلام، ويتعلق اتجاه تأثيره بالسياق والكيفية الذي يجري استحضاره فيهما مما يجعله أداة لخدمة أهداف أيديولوجية.

يميز جوناثان فوكس بين أربعة توجهات في دراسة العلاقة بين الدين والصراعات والثروة: التوجه الأول يتعلق بجوهر الأديان والأيديولوجيات نفسها التي تدفع إلى الانخراط في الصراع، التوجه الثاني يتمثل بالبيئات السياسية الاجتماعية بين المؤسسات التي يندلع فيها الصراع، أما التوجه الثالث فيتمثل بالتوجه البنيوي للعلاقة بين المؤسسة الدينية والمؤسسات الحكومية، أما التوجه الأخير فيُجادل بأن الدين يؤثر على الصراع. ويدعي فوكس أن هذه الأطر الأربعة لا تقدم تفسيراً ملائماً وجيداً للدور الذي يقوم به الدين في الصراعات. حيث لا يحمل أيّ منها تفسيراً شاملاً وديناميكياً في الوقت نفسه. في المقابل، يحاول فوكس بناء إطار نظري لفهم العلاقة بين الدين والصراع يكون شاملاً وديناميكياً، ويعتقد أن تعريف دور الدين كلاعب في الصراعات الإثنية يتعلق بوظائف اجتماعية باعتبار الدين يتعلق بوظائف اجتماعية، حيث يزود تابعيه بمنظومة معان لفهم العالم (Fox, 1999).

توضح هذه الدراسة العلاقة بين السياق الديني اليهودي الذي يستحضره رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، في خطاباته السياسية أمام وسائل الإعلام خلال الحرب على غزة ٢٠٢٣/٢٠٢٤، ومحاولة إعطاء الشرعية العسكرية للحرب والقتل والتدمير بالاستعانة بنصوص دينية.

نظرية خطاب تطبيع الحرب
War Normalizing Discourse Theory

يعرف التطبيع بأنه تحويل الأمور والأفكار والأفعال غير الطبيعية إلى طبيعية وعادية، وعرف قاموس أكسفورد التطبيع بأنه جعل الشيء مناسباً لظروف الحياة الطبيعية وعادياً، وتكييفه مع الشروط الطبيعية (قاضي، ٢٠١٧).

أما في ما يتعلق بالحالة الدراسية التي تعتمد على نظرية خطاب تطبيع الحرب، فيُشير المفهوم إلى محاولة القائم بالاتصال تصويرَ الحرب على أنها أمر طبيعي وجزء من الحياة اليومية والتقليل من الآثار السلبية للحرب، فالنظرية تركز على السؤال كيف يمكن جعل الحروب أمراً وحدثاً عادياً بالنسبة للأفراد؟ (Gavriely-Nuri, 2008)، وتُستخدم النظرية مجموعة من الأدوات اللغوية والخطابية والثقافية التي تهدف إلى تجميل الطابع الشاذ للحرب من خلال تحويلها إلى حدث يُنظر إليه على أنه جزء "طبيعي" من الحياة (Gavriely-Nuri, 2008).

مبادئ نظرية خطاب تطبيع الحرب

وفقاً لما ورد في كتاب داليا جافريلي نوري:) تطبيع الحرب في الخطاب الإسرائيلي، ١٩٦٧-٢٠٠٨(الذي تمحور حول تطبيع الحرب في الخطاب السياسي الإسرائيلي في الحروب التي شنها الاحتلال خلال الفترة المذكور، ارتكزت النظرية إلى أربعة مبادئ، وهذه المبادئ هي: الطبيعية، التلطيف، الشرعية، والإبادة الرمزية (Gavri-ely-Nuri, 2012)، واعتمدت ثلاثة منها على دراسة لجون طومسون، بعنوان: (الأيديولوجيا والثقافة الحديثة) (Thompson, 1993)، والرابع تم توظيفه من دراسة لجورج جيربنر، بعنوان: (العنف في الدراما التلفزيونية: الاتجاهات والوظائف الرمزية) (Gerbner, 1972).

المبدأ الأول: مبدأ التلطيف Euphemization: يقوم هذا المبدأ على إضفاء مظهر إيجابي للحرب مثل الشجاعة والفداء، حيث يتم تصوير الحرب على أنها فرصة لإظهار الشجاعة بطريقة لا يمكن إظهارها في أيام الحياة اليومية العادية، وضمن الحوار الملطف ينظر للحرب على أنها تعيد مرحلة الشباب للدولة وتعطي هدفاً للحياة. وتتحقق وظيفة التلطيف في الخطاب الذي يظهر أن المشاركة في الحرب هي عملية صعبة بحد ذاتها، لكنها تعطي شعوراً بقيمة الذات ورفعة المكانة الاجتماعية للمشارك في الحرب (Gavriely-Nuri, 2012).

المبدأ الثاني وهو الشرعية Legitimization: يهدف هذا المبدأ إلى تمثيل الحرب على أنها عادلة وأخلاقية وتستحق الدعم مع طمس ثمنها الباهظ (Gavriely-Nuri, 2008).

المبدأ الثالث الطبيعية Naturalization: يصور الحرب ويظهرها على أنها طبيعية وحتمية لقوانين الطبيعة، مما يؤدي إلى تقليل مشاركة الفرد في صنع القرارات المتعلقة بالحرب، حيث يستند الخطاب الذي يبرر هذا المبدأ إلى أن الأمور ومجريات الحرب طبيعة، ويخفي الجانب البشري في قرار الحرب وحدوثها، وبالتالي يتم تصويرها كحدث طبيعي ونتيجة حتمية لقانون "الطبيعية" (Gavriely-Nuri, 2012).

المبدأ الرابع الإبادة الرمزية Symbolic Annihila-tion: هو إخفاء معالم الحرب أو بعض مكوناتها من خلال الخطاب، من خلال طمس معالم التدمير التي تُخلفها الحرب وحجم الأضرار الأخلاقية والعاطفية، بالإضافة للتدمير البيئي والموت والأضرار الاجتماعية (Gavriely-Nuri, 2008).

استخدمت الدراسة الحالية هذه المبادئ الأربعة في تحليل خطاب نتنياهو الديني، حيث اعتمد الباحثان عليها في تفسير عناصر الخطاب.

الدراسات السابقة

بحثت دراسة الكوع والزماري (٢٠٢٣) في الدور الذي تلعبه الدراما في التأثير على الرأي العام حول قضية التطبيع مع دولة الاحتلال،

وتأثيره على العلاقة بين الجماهير العربية والشعب الفلسطيني، وتناولت الدراسة مسلسل (أم هارون) كحالة دراسية، وأسلوب الخطاب النقدي حسب نموذج فيركلو الثلاثي كأداة للتحليل، وبالمثل استخدمت دراسة نصيري ٢٠٢٣ أسلوب تحليل الخطاب النقدي لدراسة تغطية الصحف العربية خبر وفاة رئيس دولة الاحتلال السابق شمعون بيريس، وأظهرت نتائج الدراسة أن وفاة بيريس جرى تناولها وفقاً لأيدولوجيات الصحف المدروسة. وباستخدام الأداة نفسها حلل الخزرجي (٢٠٢٣) خطاب الرئيس الأميركي جو بايدن حول انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان بالاعتماد على المربع الأيديولوجي لـ Van Dijk (١٩٩٨)، حيث تشابهت نتائجه مع دراسة Al-Saeedi (٢٠٢٠) التي درست غطرسة القوة والإمبريالية كما تجلت في حديث الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب الإعلامي، حيث بينت الدراستان أن الخطاب الأميركي يتميز بغطرسة القوة الإمبريالية التي تُعد السمة البارزة للسياسة الخارجية الأميركية التي تقدم أميركا على أنها الدولة العظمى والأقوى في العالم.

تتقاطع هذه الدراسات مع الدراسة الحالية في استخدام أسلوب تحليل الخطاب النقدي للكشف عن المعنى الكامن في الرسائل الاتصالية، وبالتالي استفادت الدراسة الحالية من طريقة معالجة هذه الدراسات الخطابَ.

أما في ما يتعلق بخطاب تطبيع الحرب، فقد حللت دراسة (Khan et al., 2023) شعر الحرب في أفغانستان، حيث بينت الدراسة أن الانتقال من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الجسدي يُعد جزءاً أساسياً من الصراع القيمي، حيث يركز هذا الشعر على التناقض بين الأيديولوجيات المتعارضة: حرية الشرق مقابل قيم الغرب السلبية. أما دراسة Hall (٢٠٢١) فقد درست العلاقة بين الجمهور الأميركي والحروب التي شُنت باسمهم، حيث تتبعت خطاب تطبيع الحرب من حرب كوريا إلى عام ٢٠٢١، حيث بينت أن الحروب في كثير من الأحيان يتم ترتيبها بدلاً من تشريعها.

أما دراسة Krzyżanowski (٢٠٢٠) فقد سلطت الضوء على المفاهيم المتعلقة بتطبيع عمليات العنف التي تكون ذات أهمية خاصة لتحليل ديناميتها ومساراتها في الخطاب العام، حيث بينت تشابك العلاقة المعقد بين القواعد والطبيعة والتطبيع في الخطاب، وأوضحت اتجاهين رئيسين في البحوث حول تطبيع العنف والانحراف كانا مؤثرين بشكل خاص في تصميم النظريات وتحليل عمليات التطبيع، ووضحت دور التبرير والشرعية في الخطابات، فضلاً عن إدخال وتبرير مسبق للقيم الجديدة أو إعادة سياقها وتصورات ما هو مقبول وغير مقبول في السياسة ووسائل الإعلام والمؤسسات وما وراءها.

وفي ما يخص خطاب تطبيع الحرب في دولة الاحتلال، فقد حللت Gavriely-Nuri (٢٠٠٩) الخطاب الذي استخدمه السياسيون في دولة الاحتلال خلال السنوات ١٩٦٧-١٩٧٣، وهي فترة شارك خلالها جيش الاحتلال في ما لا يقل عن ثلاث حروب. بينت الدراسة استخدام قادة الاحتلال استعارات تطبيع الحرب، وهي استعارات تحتوي على إمكانية تطبيع استخدام القوة العسكرية وشرعنتها من خلال خلق تشبيه منهجي بين الحرب والأشياء البعيدة عن ساحة المعركة، وأن الاستخدام المنهجي لاستعارات تطبيع الحرب يضع الحرب كظاهرة "طبيعية" تشكل جزءاً من الطبيعة البشرية والحياة العادية وموقفاً لا يتطلب أي تدخل أو تغيير، وعلى هذا النحو، فإن استعارات تطبيع الحرب هي "ألغام أرضية خطابية" تلحق الضرر بثقافة السلام ويجب إزالتها من أي خطاب سياسي .(Gavri-ely-Nuri, 2009, p. 154)

وفي دراسة أخرى للباحثة نفسها فقد بينت Gavriely-Nuri (٢٠٠٨) التي درست الخطاب السياسي لقادة دولة الاحتلال خلال ٣٣ يوماً من حرب لبنان الثانية في صيف عام ٢٠٠٦، فقد بينت الدراسة أن الإبادة المجازية لحرب لبنان الثانية تم إنجازها من خلال تطبيق أربع استعارات مهيمنة: الحرب هي "عمل المرأة"، الحرب هي "علاج"، الحرب هي "تجارة"، والحرب هي "رياضة". فعلى سبيل المثال تم ربط الحرب في لبنان بـ"عمل المرأة" النمطي أو الأنشطة المرتبطة تقليدياً بالنساء، مثل الطبخ والتنظيف ورعاية الأطفال، من خلال استخدام كلمات مثل: "بدلاً من رعاية والد طفل جامح" في إشارة إلى دولة لبنان، "وجدنا أنفسنا نركض خلف الطفل – حزب الله" (Gavriely-Nuri, 2008, p. 11).

وفي حين ركزت هذه الدراسات على خطاب تطبيع الحرب بشكل عام، فإن الدراسة الحالية تختلف عنها في البحث في كيفية توظيف الخطاب الديني في خدمة تطبيع الحرب، وبذلك تقدم إضافة علمية جديدة لم يسبق التطرق إليها في النظرية.

منهجية الدراسة

مجتمع وعينة الدراسة

يتمثل مجتمع الدراسة الحالية في جميع الخطابات السياسية لرئيس وزراء الاحتلال، بنيامين نتنياهو، خلال الحرب الخامسة على قطاع غزة ٢٠٢٣/٢٠٢٤، حيث تم أخذ مسح شامل للخطابات السياسية لنتنياهو، ابتداء من تاريخ ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣ وهو أول خطاب رسمي ظهر فيه على وسائل الإعلام الرسمية الإسرائيلية، حتى تاريخ ١٢ كانون الثاني ٢٠٢٤، ومن ثم تم الاعتماد على العينة القصدية وهي انتقاء خطابات نتنياهو السياسية التي تم استحضار الدين فيها وعددها تسعة خطابات؛

حيث تم اختيارها بسبب قدرتها على الإجابة عن أسئلة الدراسة وتحقيق أهدافها.

المنهجية والأسلوب

لا يمكن معالجة مشكلة هذه الدراسة بطريقة تحليل تقليدية مثل أسلوب "تحليل المحتوى" أو غيره من التحليل التقليدي؛ أذ إن لها تداعيات سياسية مهمة تحتاج إلى أن تفسر تفسيراً صحيحاً، ولذلك تم استخدام تحليل الخطاب النقدي الذي يحمل بعداً تطبيقياً ونظرياً في الآن نفسه، وليس دراسة سطحية للمضامين. ووفقاً لـ "فيركلو" يُعد تحليل الخطاب النقدي برنامج بحث متعدد التخصصات ذا توجه مشكلاتي يحتوي على مجموعة من المقاربات تهدف إلى كشف العلاقات بين استعمال اللغة كبنيات اجتماعية، وبعد ذلك يتم النظر في طبيعة الاستعمال هل هو مكرِّس لعلاقات سلطة غير متساوية (بكار، ٢٠٢١). ويُعد هذا البرنامج تأسيساً على "تبصر مفاده أن النص والحديث يؤديان دوراً أساسياً في الحفاظ على اللامساواة والظلم والاضطهاد الاجتماعي في المجتمع وإضفاء الشرعية عليها، وبالتالي يوظَّف تحليل الخطاب النقدي من أجل إظهار كيفية حدوث ذلك (Van Leeuwen, 2008, p. 6). وهذا ما تسعى إليه الدراسة الحالية، وهو معرفة وكشف وتحليل مدى توظيف بنيامين نتنياهو السياق الديني في خطاباته السياسية خلال الحرب الخامسة على قطاع غزة ضمن عمليتها المسماة "السيوف الحديدية،" وكيفية توظيف الدين من أجل إعطاء الشرعية للحرب والقتل والتدمير والتهجير القسري والإبادة.

تتبنى الدراسة تعريف فان دايك لتحليل الخطاب النقدي وهو "نمط من بحوث الخطاب التحليلية التي تدرس طرق تنفيذ سوء استخدام السلطة استمرارها ومقاومتها والهيمنة الاجتماعية وعدم المساواة، بوساطة النص والحديث في السياق الاجتماعي والسياسي" (Koa & Zammari, 2022, p. 347).

النتائج ومناقشتها

حرص نتنياهو على استحضار فقرات من العهد القديم باللغتين العبرية القديمة والإنجليزية في خطاباته السياسية أمام وسائل الإعلام الرسمية المختلفة، حيث ضمنها إشارات ورموزاً من اللاهوت اليهودي والمسيحي، وظهر ذلك جلياً عندما قال في بداية الحرب: "سيكون هذا انتصاراً للخير على الشر، والنور على الظلام. والحياة على الموت... هذه هي مهمة حياتنا وهي أيضاً مهمة حياتي" (خطاب نتنياهو بتاريخ ١٦ تشرين الأول ٢٠٢٣)، والعبارات التي كانت تشير بوضوح إلى اعتماده بالفعل على اللاهوت اليهودي هي "القوى المشتركة"، "الإيمان العميق بعدالة قضيتنا بخلود إسرائيل"، "سنحقق نبوءة

إشعياء ضد حماس" (خطاب نتنياهو بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ٢٠٢٣). استغل نتنياهو السفر الخامس والأخير من التوراة "سفر التثنية" وهو جزء من العهد القديم (المكون الأول للكتاب المقدس) عند اليهود والمسيحيين، حيث أشار إلى مصطلح "عماليق" من خلال استخدامه نصاً من العهد القديم: "اذكر ما فعله بك عماليق في الطريق عند خروجك من مصر" (تثنية ١٧:٢٥)، حيث عمد نتنياهو ربط الذهنية اليهودية بأن الفلسطينيين هم العماليق وأن الحرب العسكرية الإسرائيلية على غزة هي تنفيذ لإرادة الرب في العهد القديم.

يعتبر العماليق العدو اللدود لليهود، وهم السكان الذين سكنوا جنوب فلسطين وبعض من الأراضي السورية، وهم قبائل بدوية ذوات بأس شديد والأجــداد الأوائل لأهالي منطقة الشام وفلسطين. وبحسب المراجع التاريخية التوراتية فإن قبائل العماليق كانت تتصدى بشكل مستمر لبني إسرائيل، وتشكل خطراً على الوجود اليهودي. وأن شعب العماليق خصهم الله بقدرات خاصة وجهزهم منذ بدء الخليقة للتصدي لليهود وسيطرتهم على الأرض المقدسة، لكن خلال حقبة من الزمن استطاع يوشع بن نون الانتصار على العماليق والتقدم عليهم، لذلك ورد في سفر صموئيل (عبد الفتاح، ٢٠٢٣): "فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا" (١ صموئيل ١٥: ٣)، وقد استحضر نتنياهو هذا النص حرفياً في خطابه بتاريخ ٢٩ تشرين الأول لشرعنة الإبادة كما فعل يوشع بن نون بالعماليق.

وأشار نتنياهو في موضع آخر إلى الفقرة ١٩ من الإصحاح ٢٥ سفر التثنية في خطابه "فَمَتَى أَرَاحَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ حَوْلَكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، تَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ تَنْسَ" (سفر التثنية، ٢٥: ١٩)، وبذلك يحاول نتنياهو تبرير الغرض العسكري وهو إبادة ممثلي العماليق في فلسطين على حسب الرواية اللاهوتية في خطابه (خطاب نتنياهو بتاريخ ٢٧ تشرين الأول ٢٠٢٣)، فقد ورد أيضاً في سفر الخروج: "فَهَزَمَ يَشُوعُ عَمَالِيقَ وَقَوْمَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ" (سفر الخروج ١٧: ١٣)، وبذلك يرى نتنياهو أن لا حل سلمياً مع الفلسطينيين مطلقاً، وإنما الأمر لا يتم إلا "بحد السيف" أي القوة العسكرية، وبالتالي لا راحة ولا هدوء إلا بالقضاء التام على الفلسطينيين، وهذا ما يفسر نسف المربعات السكنية بأكملها، وقصف المستشفيات، وإعدام كل من تطوله الآليات العسكرية، والقصف العنيف والعشوائي بلا أهداف محددة، فالهدف هو القتل والتدمير والإبادة، وهو ما ورد أيضاً في سفر الخروج: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي

الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ" (سفر الخروج ١٧: ١٤).

يُعد العماليق، وهم عدو اليهود الأبدي، هدفاً للحركات اليهودية الأصولية مثل حركة غوش إيمونيم، حيث إن قادة هذه الحركات الدينية المتطرفة يؤمنون بضرورة القضاء على كل من يشكل خطراً على اليهود، خاصة الفلسطينيين منهم الذين وقفوا في كل من غزة والضفة الغربية كأضخم عائق أمام السيطرة الكاملة على أرض الميعاد وإنشاء إسرائيل الدولة الدينية الموعود بها، فهذه الحركات تُعرف "العرب والفلسطينيين" بأنهم "العماليق الذين أمرت التوراة اليهود بإبادتهم" (طاش، ٢٠٢٣).

تفسير النتائج ومناقشتها وفقاً لنظرية خطاب تطبيع الحرب

١. التلطيف Euphemization

ركز نتنياهو على مبدأ "التلطيف" في ثنايا ومضامين خطابه واستند إليه كاستراتيجية خطابية، حيث كان جل تركيزه على الدور "البطولي، والشجاعة، والإقدام" لجيش الاحتلال في غزة، ووصفهم بأنهم أبطال "دولة إسرائيل" والمدافعون عنها من "قوى الشر والظلام" وتحديداً من سماهم بـ "دواعش حماس" وهي التسمية التي يكررها دائماً، واستدلت الباحثان على اعتماده على هذا المبدأ من خلال بعض المصطلحات والعبارات مثل: "يدافعون عن البيت بكل حزم وثبات"، "المقاتلون الأبطال"، وادعائه أن "الجيش، الشاباك، الموساد والشرطة جميعاً لديهم القوة والروح المعنوية العالية، والإيمان، ويعملون بنبل كبير لتحقيق الهدف بالقضاء على الشر والظلام".

لم يقتصر المبدأ على إظهار الجيش بدور البطولة والإقـدام وإنما شمل أيضاً أسرى الاحتلال، الذين يسميهم "الرهائن والمخطوفين،" فقد وصف إحدى الرهائن التي خرجت ضمن صفقة تبادل الأسرى "بالبطلة" التي خرجت من "الظلام إلى النور، ومن العبودية إلى التحرر،" ووصفها بالقوية على الرغم من تعرضها لصدمة نفسية وجسدية بحسب زعمه.

٢. الشرعية Legitimization

وظف نتنياهو في خطاباته السياق الديني لإعطاء الشرعية الكاملة للحرب، من خلال استخدامه مصطلحات مثل: "حرب عادلة، لأنها حرب على البيت،" "المهمة مقدسة،" "العملية العسكرية جزء حيوي،" و"نحارب حيوانات مفترسة".

صور نتنياهو الحرب على أنها عادلة تستحق الدعم، وكان يبرر بشكل دائم أمام العالم والدول الداعمة لجيشه أنه يحارب من أجل النور وعودة الحياة والأمل، ليس فقط "لإسرائيل" وإنما للمنطقة كلها، والعالم، وأن هذه الدول شركاء في تحقيق الهدف بالقضاء على "دواعش

حماس" الذين يشكلون خطراً كبيراً على الإنسانية حسب تعبيره، كذلك اعتمد "نتنياهو" على نصوص من العهد القديم "الكتاب المقدس" كما ذكرنا سابقا لإعطاء الشرعية للحرب وأنها أمر إلهي للقضاء على من يقف في وجه اليهود، حيث وصف المقاومة الفلسطينية "بالعماليق" الذين تم ذكرهم بسفر التكوين في الكتاب المقدس ويجب على اليهود القضاء عليهم واستشهد بالنص الديني في كتاب صموئيل من يؤيد "إسرائيل فإنه خالد" ومن خلال قوله أيضا "نحن أبناء النور وهم أبناء الظلام" وحماس تمثل قوى "الظلام والشر والبربرية،" وعدوة النور، التي يجب محاربتها والقضاء عليها، من أجل استمرار الحياة والأمل، كذلك حاول إعطاء الشرعية من خلال قوله: "هذه العملية العسكرية جزء حيوي وأظهرت أن حماس البربرية، تسعى لإعادة الشرق الأوسط للظلام" وأن إسرائيل التي وصفها بالنور سوف تقضي عليهم، وتعيد الحياة والأمل للمنطقة وليس فقط لدولة الاحتلال.

لم يكتفِ نتنياهو بذكر "العماليق" وإنما قرنهم بضرورة القيام بفعل، حيث ورد في سفر الخروج "فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً في الكتاب وضعه في مسامع يوشع؛ فإنني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء" (سفر الخروج ١٧: ١٤). وهنا يربط نتنياهو بين محو العماليق، ومحو الفلسطينيين، وفي ذلك إعطاء الشرعية للعمليات العسكرية والإبادة التي تشمل الإنسان والحيوان، وتم تبرير ذلك من خلال قول نتنياهو إن الإبادة يمكن تبريرها في حال مواجهة مجموعة من الإرهابيين والقتلة الذين لا يفهمون الإنسانية، وسعي دولة الاحتلال إلى تشبيه حماس بداعش لتبرير الإبادة وإعطاء الشرعية للحرب دفاعاً عن البيت، وسحق الشر والظلام وعودة الأمل والحياة، حسب نتنياهو.

وينتقل نتنياهو إلى استدعاء فقرات من أسفار الأنبياء وبالتحديد "سفر إشعياء" بعد انتهائه من استدعاء فقرات التوراة وربط تاريخ العماليق بالتاريخ الفلسطيني. وفي "سفر إشعياء" أشار إلى أن دولة الاحتلال تمثل النور والحياة والأمل وأن "حماس" بشكل محدد والفلسطينيين على وجه العموم يمثلون الظلام والشر، معتمداً على الفقرتين الأولى والثانية من الإصحاح التاسع من السفر، التي تقول:

وَلَكِنْ لَا يَكُونُ ظَلَامٌ لِلَّتِي عَلَيْهَا ضِيقٌ. كَمَا أَهَانَ ٱلزَّمَانُ ٱلْأَوَّلُ أَرْضَ زَبُولُونَ وَأَرْضَ نَفْتَالِي، يُكْرِمُ ٱلْأَخِيرُ طَرِيقَ ٱلْبَحْرِ، عَبْرَ ٱلْأُرْدُنِّ، جَلِيلَ ٱلْأُمَمِ. اَلشَّعْبُ ٱلسَّالِكُ فِي ٱلظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. ٱلْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلَالِ ٱلْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ.

حيث عقب على ذلك بأن هناك قوى ظلام يجب محاربتها والانتصار عليها، تكررت العديد من العبارات التي تحمل المعنى نفسه؛ حيث لاحظ الباحثان أنه كان يستدعي هذه

النصوص في كل خطاب ظهر فيه على وسائل الإعلام وبطرق وتعبيرات مختلفة وفي أحيان كثيرة يكرر الاقتباسات من نصوص العهد القديم وسفر التكوين في كل خطاب "عودة النور من أجل استمرار الحياة" مثلا هذه العبارة كانت في خطابه بتاريخ ١٦ تشرين الأول ٢٠٢٣ وتكررت في خطاباته المتتالية، كذلك خطابه بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ٢٠٢٣ استحضر السياق ذاته بالاعتماد على الإصحاح التاسع بقوله "صراع ما بين محور الحرية والتقدم وبين محور الشر، نحن أبناء النور بينما هم أبناء الظلام، وسينتصر النور على الظلام". وفي أحد خطاباته ردد أيضا نصاً من "سفر إشعياء" وهو "سنحقق نبوءة إشعياء، لن نسمع بعد خراباً في أرضك، سنمنح المد لشعبك، سنقاتل معاً وسننتصر،" وهو ما يتم رده إلى الإصحاح ٦٠ من السفر، وعنوانه "إشراق نور الرب"، الذي يقول "لا يُسْمَعُ بَعْدُ ظُلْمٌ فِي أَرْضِكِ، وَلاَ خَرَابٌ أَوْ سَحْقٌ فِي تُخُومِكِ، بَلْ تُسَمِّينَ أَسْوَارَكِ: خَلاَصًا وَأَبْوَابَكِ: تَسْبِيحًا" (سفر إشعياء - إصحاح ٦٠: ١٨).

نبوءة أشعياء ذكرت في الكتاب المقدس – العهد القديم (التوراة) في سفر إشعياء الذي يحتوي ٦٦ إصحاحاً، وذكرت فيه نبوءات عدة، ويُعد إشعياء نبياً يهودياً لمملكة يهوذا الجنوبية، وهو كاتب هذا السفر، حيث كانت كتابته بشكل شعري عدا إصحاحات عدة، وهذا ما ميّزه عن غيره، فعده اليهود أعظم أنبياء العهد القديم (الجزيرة، ٢٠٢٣).

يتضح من النصوص التوراتية السابقة محاولة نتنياهو شرعنه الحرب والإبادة ، وإكساب قتل الفلسطينيين وتهجيرهم هالة دينية تضفي على ذلك الشرعية المزعومة، ويتعدى الأمر ذلك إلى محاولة اكتساب الشرعية في الولايات المتحدة الأميركية، حيث إن ٤٩٪ من الجمهور الأميركي لا يثقون بنتنياهو ولا يريدون استمراره في الحكم خاصة "الليبراليين المعتدلين" المنتمين إلى الحزب الجمهوري، الذين بدأوا يفقدون التعاطف مع دولة الاحتلال لصالح القضية الفلسطينية، لذلك يعود سبب استدعاء نتنياهو الدين إلى محاولة إيجاد قاسم مشترك مع المسيحيين الأميركيين خطابياً من أجل التأثير على نسبة الحياد التي تتراوح بين ٢٢٪ إلى ٣٠٪ وهي تمثل قطاع المعتدلين الليبراليين في الحزب الجمهوري، فالدين يعد مكونا أساسيا في تشكيل الوعي السياسي لدى الجمهوريين في أميركا. لذلك في ٢٩ تشرين الأول ٢٠٢٣، أي بعد أربعة أيام على خطاب نتنياهو اللاهوتي، قال دونالد ترامب، الرئيس الأميركي السابق، وهو من الإنجيليين المتطرفين إن "إسرائيل تناضل من أجل الحضارة ضد الهمجية" حيث اعتمد على تعبيرات نتنياهو نفسها (محسن، ٢٠٢٣)، وهو بذلك يحاول إكساب

هذه الحرب شرعية من خلال جعلها جزءاً من الحرب "الديمقراطية" على "الإرهاب."

٣. الإبادة الرمزية Symbolic Annihilation

استبعد نتنياهو في خطاباته السياسية الدينية كل ما يتعلق بالجوانب غير المرغوب فيها من الحرب، مثل ارتقاء أعداد هائلة من الشهداء الفلسطينيين الذين قتلهم جيش الاحتلال، فضلاً عن عشرات آلاف المصابين، والدمار الهائل الذي ألحقه جيشه في البنى التحتية، وبيوت العبادة، والمستشفيات والعيادات الصحية والمستوصفات وسيارات الإسعاف، ومسح مناطق سكنية عن الوجود، فضلاً عن تشريد مئات آلاف الفلسطينيين، إلى جانب الدمار الاقتصادي والاجتماعي في محاولة منه لطمس معالم الحرب وهويتها "الدينية" التي أظهرتها اقتباساته من التوراة.

لم يبالِ نتنياهو في جميع خطاباته بهذا الدمار، كما لم يبال بقوانين حقوق الإنسان ولا أخلاقيات الحرب، فجُلّ تركيزه موجه نحو تحقيق أهداف حربه الخفية التي أظهرتها الاقتباسات الدينية التي شرعت الإبادة كما ذكرنا سابقاً.

وبذلك يمكن القول إن كل الرسائل والمضامين والمعاني في خطاباته السياسية الدينية تمحورت حول محورين أساسيين: وهي إعطاء الشرعية وتبرير العمليات العسكرية في القضاء على "العماليق" والظلام مستنداً إلى نصوص سفر التكوين والكتاب المقدس اليهودي، وإحياء بطولات يوشع بن نون، وهذا يرجع إلى أن نتنياهو يحاول كسب الرأي العام في دولة الاحتلال وكسب الشرعية للبقاء في الحكم أطول فترة ممكنة، كل ذلك في سياق تعرضه لهجوم متزايد من مواطنيه، بعد عملية "طوفان الأقصى" وتحميلهم إياه مسؤولية تعرض المنظومة الأمنية والعسكرية لدولة الاحتلال للاختراق.

٤. الطبيعية Naturalization

تعتبر التسمية في خطاب تطبيع الحرب استراتيجية خطابية أساسية، خاصة عند ربطها بالطبيعة. أطلق الاحتلال على العمليات العسكرية التي يقوم بها في حربه الخامسة على قطاع غزة اسم "السيوف الحديدية" رداً على التسمية الفلسطينية للمعركة "طوفان الأقصى،" يُشير مصطلح "السيوف الحديدية" إلى سيف "داود". أشار نتنياهو إلى أنه حان الوقت لإخراجه من غمده، لكن هذا الربط كان في بداية المرحلة، وبحكم أهداف نتنياهو الخفية التي ذكرها الباحثان بالتحليل أعلاه، فقد اقترح نتنياهو على أعضاء الكنيست تغيير اسم الحرب إلى "حرب التكوين" وكذلك اقترح اسما آخر وهو "عيد الفرح". وفي كل الأحوال فإن تسمية "السيوف الحديدية" تُشير إلى وضع الحديد

مقابل الحديد أي النار بوجه النار وأن الحديد لا يفله إلى الحديد، وفي ذلك إشارة إلى الطبيعة، كما إن ربط التسمية بسيف "داود" الذي حان الوقت لإخراجه من غمده لمواجهة الشر والظلام فيه إشارة إلى الطبيعة وتعاقب الليل والنهار إذ إن بعد الظلام يأتي الفجر.

وبحسب Gavriely-Nuri (٢٠١٢) فإن استخدام الأسماء ذات الطبيعة الميدانية الدلالية يحول الممارسة العسكرية إلى ظاهرة عادية شائعة، كأنها جزء لا يتجزأ من سلسلة الأحداث الطبيعية. على سبيل المثال، استخدم جيش الاحتلال سابقاً اسم عملية "المطر الأول Geshem Rishon " لإعطاء الانطباع بأن هذه العملية هي جزء من دورة الفصول الأربع، وقد استخدم اسم "عملية ضربة البرق Makat Barak" للإشارة إلى مهارة وحدات القوات الخاصة أثناء تنفيذ سلسلة ما اعتبر في ما بعد "عمليات قتل مستهدف" مثيرة للجدل في قطاع غزة، حيث يؤكد الاسم على قوة الجيش ويصور العملية على أنها حدث طبيعي لا مفر منه وليس حدثاً يستحق الفحص العام.

الخاتمة

استعارات تطبيع الحرب هي استخدام منهجي لسلسلة ثابتة من نطاقات المصدر لطمس الخصائص الأساسية للحرب مع التركيز على خصائص أخرى، وتستخدم لشحن الروح المعنوية للجيش وإضفاء الشرعية على المعارك والإبادة الرمزية (Gavriely-Nuri, 2008, 2010, 2012). استخدم نتنياهو عنصر الاستعارة بشكل متكرر، واعتبر الحرب "رياضة" من خلال قوله "لن تنتهي جولات الحرب إلا بتحقيق الهدف" و"الحرب موجهة نحو تحقيق هدف محدد يجب علينا إتمامه،" في محاولة منه لتحويل الحرب بشكل رمزي عن الخطاب النقدي السائد. تتشابه هذه النتيجة مع دراسة Gavri-ely-Nuri (٢٠٠٩) التي تشير إلى أنه خلال الفترة ١٩٦٧-١٩٧٣، استخدم القادة في دولة الاحتلال الاستعارات المأخوذة من عالم الرياضة للتأكيد على الجوانب غير العنيفة للحرب مثل مقارنتها بالشطرنج أو لعبة الداما، وبالجري وليس بالملاكمة، فطوال حرب الاستنزاف، التي اندلعت بين دولة الاحتلال من جهة ومصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وسورية من جهة أخرى من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠ مع استمرار الاشتباكات على الحدود السورية واللبنانية لغاية ١٩٧٣، صاغت قيادة الاحتلال سياستها الحربية باستخدام استعارات الفائزين والخاسرين من أجل تقليل التصور العام لحرب ربما لا نهاية لها بلا هدف. وللتوضيح، في كتاب كتبه في منتصف حرب الاستنزاف، وصف وزير جيش الاحتلال آنذاك، موشيه ديان، التصعيد المتزايد الذي أدى إلى اندلاع حرب الأيام الستة كما لو كان جولة في كرة قدم أو مباراة:

يمكننا وصف العملية بأسلوب يشبه تعليق مذيع رياضي أثناء مشاهدة هدف...: [أليكسي] كوسيجين [رئيس الوزراء السوفييتي] يمرر الكلمة إلى أتاسي [الرئيس السوري] الذي ينقلها إلى ناصر [الرئيس المصري] الذي يمررها بعد ذلك للحسين [ملك الأردن]: مهلا، هذه حررررب!' (Dayan, 1969).

يُشير التوافق في نتائج الدراسات إلى استخدام خطاب الاحتلال استعارات الرياضة في الحرب على كونها استراتيجية خطابية مهمة في خطاب تطبيع الحرب.

استخدم نتنياهو الاستعارة أيضاً لشيطنة الفلسطينيين، حيث قال في خطابه بتاريخ ١٢ تشرين الأول ٢٠٢٣ إن جيشه يحارب "حيوانات بشرية" في قطاع غزة، ووصف حماس بأنها "داعش" وتكررت عبارات في السياق نفسه مثل "نسحق الشر،" "وباء،" "نسحق الفظاعة والتطرف،" و"استئصال الوحوش الدموية والبربرية." لقد استخدم نتنياهو الاستعارة هنا لاكتساب الشرعية للحرب، وتبرير قتل الفلسطينيين، حسب نظرية خطاب تطبيع الحرب. تتشابه هذه النتيجة مع دراسة الكوع ومصطفى (٢٠٢٣) التي بينت أن خطاب الاحتلال يعتمد على إظهار صورته بأنه محارب "للإرهاب الذي يمارسه الفلسطينيون،" وأن جيشهم يلاحق "الإرهابيين" من أجل إحلال السلام والأمــان في العالم، ووضع النضال الفلسطيني في إطار ما يسمى "الإرهاب العالمي" وتسويغ قتل الاحتلال الفلسطينيين، في إطار محاربة العالم "للإرهاب"، وهذا أخطر ما تقوم به الاستعارات من خلال وضع الأحداث ضمن سياقات تجعلها أكثر تقبلاً لدى مجتمعات قد تكون بعيدة عن المشهد الأصلي.

يُذكر أن وصف الطرف الآخر باستعارات وتشبيهات تحط من قيمته وتنزع الطابع الإنساني عنه غالباً ما تُستخدم في إطار الحرب لتبرير سحق العدو وقتله دون أي وازع أخلاقي، فقد استخدم الحلفاء في الحرب العالمية الثانية تشبيهات تتضمن حيوانات أو حشرات تعيش تحت الأرض لوصف اليابانيين، مثل "الفئران الصغيرة المتعصبة." وغالباً ما كانت دعاية الحلفاء تصف اليابانيين بـ"الجرذان" و"الحشرات" (Koa, 2018)، لذلك عندما قصفت الولايات المتحدة الأميركية مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين في نهاية الحرب العالمية الثانية في آب ١٩٤٥، بالقنبلة الذرية، بعد رفض رئيس الوزراء الياباني سوزوكي تنفيذ إعلان مؤتمر بوتسدام، الذي كان ينص على أن تستسلم اليابان استسلاماً كاملاً دون أي شروط، لم يحرك الرأي العام ساكناً، فالقتلى هم "حشرات، ونمل، وفئران، وجراذين". وهنا تبرز خطورة تشبيه نتنياهو للفلسطينيين بـ"الحيوانات البشرية" لتبرير إبادتهم و"محوهم من تحت السماء" كالعماليق.

يعتبر التأطير من الأدوات الفعالة في توجيه الأشخاص لمشاهدة وملاحظة حدث محدد لتفسيره بطريقة معينة. من منظور نظرية تطبيع الحرب، كان التأطير السائد للجنود الجرحى في الحرب بحسب ما وصفهم نتنياهو في خطاباته السياسية الدينية بالإبطال وأهل النور الذين يحاربون الشر والظلام؛ حيث استند إلى نصوص من العهد القديم وصور جرحى الاحتلال برمز الضحية، وقرنها برمز البطولة، بالاستناد إلى مبدأ التلطيف من خلال إظهار شجاعة الجندي وتحمله صعوبات الحرب ومحاربته "دواعش حماس" و"العماليق الفلسطينيين،" الذين توعدهم الرب بالإبادة حسب النصوص التوراتية، في الوقت نفسه يستند إلى مبدأ الإبادة الرمزية الذي طمس ملامح الحرب والدمار التي أحدثتها آلة الحرب الاحتلالية.

يدرس معظم "الإسرائيليين"، المتدينين والعلمانيين على حد سواء، الكتاب المقدس مدة عشر سنوات على الأقل، بدءاً من رياض الأطفال، كمادة دراسية إلزامية، ويتم اختبار المعرفة بالكتاب المقدس في امتحان القبول الوطني (Shapira, 2004)، لذلك من الواضح أن هذا المجال الدلالي يستغل موردا ثقافيا مشتركا على نطاق واسع في مجتمع دولة الاحتلال، وبذلك من الواضح أن نتنياهو قد استخدم هذا المورد الثقافي المشترك في خطاباته لكسب التأييد وإعطاء الشرعية لإبادة الفلسطينيين العزل.

إن نتنياهو ليس الوحيد الذي يتبنى أو يسير وفقاً "للقيم اليهودية المتطرفة،" حيث تناول الحاخام الأميركي، مانيس فريدمان، وهو حاخام بمعهد "بياس تشانا" للدراسات اليهودية بولاية مينيسوتا في الولايات المتحدة الأميركية، قيم التوراة أو الطريقة اليهودية التي تسوغ "الحرب الأخلاقية" التي تقوم على تدمير المقدسات الدينية للفلسطينيين وقتلهم كافة، فهي الدرع الأول والحقيقي، حسب فريدمان لكسر ثبات الشعب الفلسطيني، وكسر المقاومة المستمرة؛ لذلك يرى أن العيش وفقاً لقيم التوراة سيجعل دولة الاحتلال "النور" الذي يضيء الأمم التي تعاني من الهزيمة، حيث يرى الحاخام فريدمان أن أول رئيس وزراء في دولة الاحتلال يعلن أنه يتبع العهد القديم سيجلب السلام للمنطقة، وهذه الفكرة تبناها الكثير من قادة الاحتلال السياسيين والعسكريين، مثل ديفيد بن غوريون رئيس وزراء دولة الاحتلال الأول في قوله "لابد من وجود استمرارية من يوشع بن نون إلى جيش الدفاع الإسرائيلي." وكما سبق فيوشع بن نون، مارس الإبادة بحسب نصوص العهد القديم، ونتنياهو وضع الحرب الخامسة على قطاع غزة في سياق تاريخي ديني يمتد إلى ٣٠٠٠ سنة (الخطيب، ٢٠٢٣).

يُعد الحاخام فريدمان من الصهاينة المتطرفين حيث دعا سابقاً إلى قتل العرب رجالا ونساء وأطفالا، وتدمير مقدساتهم، ففي رده

على سؤال في عدد أيار - حزيران ٢٠٠٩ من مجلة (Moment) الأميركية في قسم بعنوان "اسألوا الحاخامات،" على سؤال عن الكيفية التي يجب على اليهود أن يعاملوا بها جيرانهم العرب: "أنا لا أومن بالأخلاقيات الغربية التي تقول لا تقتلوا المدنيين أو الأطفال، ولا تدمروا الأماكن المقدسة، ولا تقاتلوا أثناء الأعياد ولا تقصفوا المقابر ولا تطلقوا النيران حتى يبدؤوا هم بذلك، مضيفاً "الطريقة الوحيدة لخوض حرب أخلاقية هي الطريقة اليهودية: دمروا مقدساتهم، واقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم ومواشيهم... فعند تدمير مقدساتهم سوف يتوقفون عن الاعتقاد بأن الرب إلى جانبهم" (الجزيرة، ٢٠٠٩)، ويتضح مما سبق أن نتنياهو يتبنى هذه الرؤية المتطرفة ويطبقها في حربه على الفلسطينيين.

التوصيات

- إجراء المزيد من الدراسات حول توظيف الدين في الخطاب السياسي لدولة الاحتلال من خلال تحليل خطابات قادة سياسيين آخرين مثل وزير جيش الاحتلال، والمتحدث باسمه وعقد المقاربات بينها.
- يمكن للباحثين المستقبليين توظيف نظرية خطاب تطبيع الحرب في السياق الفلسطيني، وفحص مدى توظيف عناصرها في الخطاب السياسي.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

- بكار، سعيد. (٢٠٢١). خطاب الحقيقة وحقيقة الخطاب: مقاربة نقدية للخطاب السياسي. مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٠(٢)، ١٩٢-١٩٦.
- الجزيرة (٤ حزيران ٢٠٠٩). حاخام أميركي يدعو لتدمير مقدسات العرب. تم الاسترجاع من https://aja.me/z40wk9
- الجزيرة (٤ كانون أول ٢٠٢٣). نبوءة إشعياء التي بشر بها نتنياهو.. الخراب لمصر والظلام لفلسطين والنور لإسرائيل. تم الاسترجاع من https://aja.me/vpiakz
- قاضي، أحمد. (١١ آب ٢٠١٧). التطبيع بتعريفاته المتعددة. تم الاسترجاع من https://n9.cl/ia74h
- الكوع، معين؛ والزماري، عبد الله. (٢٠٢٢). الغرس الثقافي في الدراما التطبيعية: دراسة في تحليل الخطاب النقدي لمسلسل أم هـارون. دراسـات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٤٩(٦)، ٣٤٥-٣٦٠. https://doi.org/10.35516/hum.v49i6.3756
- الكوع، معين؛ ومصطفى، هبة. (٢٠٢٣). توظيف المنظمات الصهيونية لتقنيات الدعاية باللغة العربية على الفيسبوك: دراسة تحليلية لصفحة "قف معنا". مجلة الجامعة العربية الأميركية للبحوث، ٩(١)، ٢٧-٦٩.
- نصيري، روح الله. (٢٠٢٠). التحقيق في تغطية خبر وفاة "شيمون بيريس" في الصحف العربية المختارة، استنادا إلى أنموذج تحليل الخطاب النقدي. مجلة اللغة العربية وآدابها، ١(٣١)، ١٤٧-١٨٠.
- عبد الفتاح، بشي. (١١ كانون أول ٢٠٢٣). تديين الإبادة الإسرائيلية للفلسطينيين. تم الاسترجاع من https://n9.cl/3tt8c
- طاش، نوح. (١٩ تشرين ثاني ٢٠٢٣). العماليق عدو إسرائيل الأبـدي: العرب والفلسطينيون. تم الاسترجاع من https:// www.turkpress.co/node/99723
- محسن، شادي.(١٣ تشربن ثاني ٢٠٢٣). توظيف الدين: دوافع نتنياهو" لاستدعاء العهد القديم في حربه على غزة. تم الاسترجاع من https://ecss.com.eg/38200

المراجع باللغة الانجليزية

- Al-Saeedi, M. (2020). The Arrogance of Power and Imperialism as Manifested in Trump's Media Talk: A Critical Discourse Analysis. *College of Education/ University of Al-Qadissiyah*, 4(41), 523546-.

- Gavriely-Nuri, D. (2009). Friendly fire: war-normalizing metaphors in the Israeli political discourse. *Journal of Peace Education*, 6(2), 153169-.
- Gerbner, G. (1972). Violence in television drama: Trends and symbolic functions. In J. P. R. Murray, Eli Abraham
- Comstock, George A. (Ed.), *Media Content and Control*: Television and Social Behavior (Vol. 1, pp. 28187-).
- Hall, J. (2021). *The normalisation of war: from the Korean War to the War on Terror* London School of Economics and Political Science].
- Hayward, K., & O'Donnell, C. (2011). *Political discourse and conflict resolution*. Routledge
- Joseph, J. E. (2006). *Language and politics*. Edinburgh University Press.
- Khan, F., Haidar, S., & Masroor, F. (2023). Strategies of Legitimization through Axiological Proximization in War Poetry. *Pakistan Journal of Humanities and Social Sciences*, 11(3), 31313140-.
- Koa, M. (2018). Techniques of strategic political communication: The Egyptian Muslim Brotherhood's persuasive devices. *International Journal of Strategic Communication*, 12(5), 571-598. https://doi.org/10.1080155311/8X.2018.1467914
- Koa, M., & Zammari, A. (2022). Cultivation in Normalization Drama:
- Boufteh, T. (2023, November 15). *These are the motives for Netanyahu's use of religion and the language of the Old Testament in his Gaza war speeches*. Retrieved April 2 from https://www.hespress.com/12656151265615-.html
- Dayan, M. (1969). *New map, different relationships Sifriat Maariv* [Hebrew].
- Dwaikat, S. (2020). *The Arab-Israeli Conflict In The political Discourse Of The Spokesman Of The Israeli Army* An-Najah National University]. Nablus, Palestine. https://hdl.handle.net/20.500.1188816510/
- Fairclough, I., & Fairclough, N. (2013). *Political discourse analysis: A method for advanced students*. Routledge.
- Fox, J. (1999). The influence of religious legitimacy on grievance formation by ethno-religious minorities. *Journal of peace research*, 36(3), 289307-.
- Gavriely-Nuri, D. (2008). Themetaphorical annihilation'of the Second Lebanon War (2006) from the Israeli political discourse. *Discourse & Society*, 19(1), 520-.
- Gavriely-Nuri, D. (2010). Rainbow, Snow, and the Poplar's Song: The ''Annihilative Naming''of Israeli Military Practices. *Armed Forces & Society*, 36(5), 825842-.
- Gavriely-Nuri, D. (2012). *The normalization of war in Israeli discourse*, 1967–2008. Lexington Books.

- Shapira, A. (2004). The bible and Israeli identity. *AJS review*, 28(1), 1141-.
- Thompson, J. B. (1993). Ideology and modern culture. South African journal of philosophy, 12(1), 1218-.
- Valerevna, P. N., & Rakhmatovna, K. F. (2022). The Concept of "Political Discourse". *European Scholar Journal*, 3(3), 8891-.
- Van Dijk, T. A. (1998). Opinions and ideologies in the press. *Approaches to media discourse*, 21(63), 132-.
- Van Leeuwen, T. (2008). *Discourse and practice: New tools for critical discourse analysis*. Oxford university press.

A Critical Discourse Analysis of Um Haroun Series. *Dirasat: Human and Social Sciences*, 49(6), 345360-.
- Krzyżanowski, M. (2020). Normalization and the discursive construction of "new" norms and "new" normality: Discourse in the paradoxes of populism and neoliberalism. In (Vol. 30, pp. 431-448): Taylor & Francis.
- Liebes, T., & Ribak, R. (1991). A mother's battle against TV news: A case study of political socialization. *Discourse & Society*, 2(2), 203222-.
- Mustafa, M. (2014). *The presence of religion in the war on Gaza: from religiosity of Zionism to religiosity of the conflict*. Mada al-Carmel: Arab Center for Applied Social Research.

العدوان على غزة: توصيفات مغلوطة، وقائع متكشّفة وخلاصات

أ. عبد الغني سلامة*

مقدمة

في توصيف العدوان الإسرائيلي على غزة، الذي بدأ بعد السابع من تشرين الأول ٢٠٢٣، فإن أول خطأ نقترفه هو تسميته "حرب"؛ إذ إنَّ الحرب تُشن عادة بين دولتين، أو بين جيشين، حتى لو كان الخلل في موازين القوى بينهما كبيراً.. ما يجري في غزة هو عدوان غاشم تقترفه دولة متخمة بالقوة، لديها جيش مدجج بأعتى الأسلحة يهاجم ويعتدي على شعب أعزل، يضرب ويقصف أهدافا مدنية، ويقترف مجازر فظيعة بحق المدنيين، فجميع الضحايا من المدنيين، ٧٠٪ منهم أطفال ونساء، والبقية مسنون وآباء وشبان وعائلات كانت آمنة في بيوتها.. وفي الوقت ذاته ثمة حركة مقاومة، عبارة عن مجموعات مسلحة تدافع عن نفسها، وعن شعبها بأسلحة خفيفة عبارة عن رشاشات وقذائف هاون وصواريخ "أر.بي.جي" وغير ذلك، بما لا يُقارن بأي شكل مع أسلحة العدو الفائقة والمتطورة والفتاكة وقدراته.. إذاً، هي حرب عدوانية وليست حربا بالمفهوم الكلاسيكي للحروب، والتسمية الصحيحة هي حملة أو حرب إبادية تطهيرية.

حتى لو وردت كلمة "حرب" في سياق هذه المقالة، فهذا من باب التسهيل على القارئ، مع التأكيد أن الحروب التي شنتها إسرائيل على الشعب الفلسطيني، ينطبق عليها المفهوم ذاته، وبالتالي هي جميعها حروب وحملات

* كاتب رأي.

عدوانية غاشمة من الطرف الغاصب المتفوق بقدراته العسكرية.

مزاعم إسرائيل وأهدافها المعلنة

تزعم إسرائيل أنها تدافع عن نفسها، وهو ادعاء زائف ومضلل، لأن القانون الدولي لا يمنح حق الدفاع عن النفس إلا للدولة التي تتعرض لعدوان من دولة أخرى.[١] وبما أن غزة ليست دولة - بل هي أرض محتلة، والهجوم الذي تعرضت له إسرائيل في السابع من تشرين الأول نفذته مجموعة مسلحة تقع تحت الاحتلال - فإن حق الدولة المحتلة في الدفاع عن نفسها في المناطق الخاضعة لاحتلالها يسقط، وما تفعله إسرائيل لا علاقة له بالدفاع عن النفس، بل هو قمع واضطهاد وحشي تمارسه بحق الشعب الذي تحتل أرضه وتصادر حقه في العيش.. وهذا الشعب هو صاحب الحق الطبيعي والقانوني في الدفاع عن نفسه، وليس الاحتلال.

تزعم إسرائيل أنها تستند إلى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة، التي تعطي "الحق للدول للدفاع عن نفسها إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة، وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي.."[٢] بيد أنها في عدوانها الغاشم، واستخدامها القوة المفرطة، ومواصلة عدوانها واستهدافها المدنيين والبنية التحتية، ومحاولاتها تنفيذ التهجير القسري، وتعطيلها المتعمد أي دور لمجلس الأمن.. فإنها فعليا لا تدافع عن نفسها، بل تنفذ مخططات عدوانية مسبقة، بأسلوب انتقامي.

وبمجرد أن رفضت محكمة العدل الدولية رد الدعوى التي تقدمت بها إسرائيل، ووافقت على قبول دعوى جنوب إفريقيا، واعتبارها أن القضية من اختصاص المحكمة الدولية وصلاحياتها (كانون الثاني ٢٠٢٤).. فإن هذا إقرار ضمني من المحكمة بمضمون دعوى جنوب إفريقيا، المتعلق بالطابع الإبادي لحرب مارست فيها إسرائيل كل أنواع الجرائم بلا شفقة، ودون أي اعتبار للقوانين الدولية، والقيم الإنسانية.

تزعم إسرائيل أنها تحارب حماس فقط، وتصفها بالإرهابية، وهذا أيضا خداع وتضليل، فتحتَ هذا الغطاء تواصل عدوانها على الشعب الفلسطيني بكل مكوناته، لتدمير مقدراته، والقضاء على مقومات الحياة والبقاء حتى يتحول القطاع إلى مكان غير صالح للعيش، بما يدفع سكانه للهجرة، ليتضح أن هدفها الحقيقي هو قتل المدنيين، وأن هؤلاء الشهداء والضحايا ليسوا أعراضا جانبية للصراع؛ بل هم الهدف بحد ذاته.

وفي حربها العدوانية لا تستهدف إسرائيل البشر فحسب، وإنما تهدف أيضاً إلى تدمير كل ما يتصل بحياة الفلسطينيين وتخريبه، بما

في ذلك التراث الثقافي والحضاري الفلسطيني، حيث استهدفت بالتدمير المواقع الأثرية، والمباني التاريخية والدينية من جوامع وكنائس، والمتاحف والمسارح والمكتبات، والمؤسسات الثقافية والأكاديمية عامة بما فيها الجامعات، وبالتخريب المشهد الثقافي. دمرت إسرائيل نحو ٢٠٠ موقع أثري في غزة. رغم حصولها على إحداثيات هذه المواقع الأثرية من اليونسكو التي طالبت إسرائيل بعدم استهدافها.. [٣]

وهذا التدمير جزء أصيل من أهداف الحرب؛ فهذه المؤسسات والصروح الحضارية والمواقع الأثرية الفلسطينية هي النقيض الأساس للرواية الصهيونية المزعومة للصراع؛ التي أثبت الحفريات الأثرية تهافتها. فحرب الراوية هي جوهر الصراع الأساس.. والباقي مجرد تفاصيل وعوامل مساعدة.

الهدف الحقيقي من وراء كل ذلك التخريب هو القضاء على الذاكرة الفلسطينية، فهي تستهدف المكان بحد ذاته، وعلاقته بالناس، والماضي، والمستقبل.. تستهدف كل مكوناته وعناصره لتشويه معالمه أو إلغائه كلياً..

أرادت إسرائيل كل ذلك، فعلته عن سبق إصرار وترصد.. أرادت محو المكان، وطمس معالمه، والقضاء على كل ما يتصل به من علاقات وتفاعلات وذاكـرة وتاريخ.. حتى لا تعود غزة التي نعرفها.. وحتى لا يعود مجتمعها، وناسها.. إنها حرب عدوانية ممنهجة استهدفت الإنسان أولا.. وكل ما حوله. أرادت تحويل الفلسطيني إلى مجرد نازح، يسكن خيمة، وينتظر المساعدات، ويقضي جل يومه في طوابير الذل.. وقد أصبح كل همه مغادرة هذا الجحيم.

وهذه هي النكبة بأقسى معانيها.

وهذه الحرب الإبادية تسير في مسارات متوازية ومتقاطعة مع بعضها البعض في قطاع غزة والضفة الغربية، من قتل الإنسان الفلسطيني، ومحاولة هزيمته نفسياً، واستهداف الأسرى والتضييق عليهم، والتنكيل بهم، إلى تدمير البنيان والبنى التحتية والاقتصادية، وصولاً إلى هدم وتدمير الآثار الشاهدة على اندحار الاحتلالات السابقة لأرض فلسطين وهزيمتها.

توصيفات صارت متلازمة مع العدوان

من جانب آخر، وفي توصيف مجريات العدوان وأحداثه المهولة يكثر استخدام وصف "غير مسبوق"، وكأنها صارت متلازمة، مثلا: لأول مرة في تاريخ الصراع يتم مهاجمة العدو في "أرضه"، " وهذا حدث غير مسبوق.. وفي توصيف شجاعة المقاومين يُقال: شجاعة غير مسبوقة، لم نعهد مثلها من قبل، استبسال غير مسبوق، الضرب من المسافة صفر..

وفي وصف همجية العدو يُقال: عنف غير مسبوق، قصف لم يحدث مثله في التاريخ،

همجية غير معتادة، الحرب فضحت عنصرية إسرائيل وهمجيتها..

وفي وصف تخاذل الموقف العربي وضعفه، يُقال: العرب تخلوا عنا، الحرب كشفت التخاذل العربي.. وكذلك يُقال في وصف موقف الدول الغربية المتواطئ وعوار المجتمع الدولي، ويتم الحديث عنها كما لو أنها تحدث أول مرة، وكأنَّ الغرب لم يعودنا على ازدواجية معاييره، وكأننا كنا ننتظر منه موقفا مغايرا وعادلا! وبالنمطية نفسها، يتم الاستغراب والتفاجؤ من الانحياز الأميركي السافر.

ومع ذلك، لم يكن استخدام هذه التوصيفات أثناء الحرب العدوانية خطأً، باعتبارها أسلحة إعلامية فعالة في مواجهة آلة العدوان، كما لم يكن من الحكمة الاعتراض عليها أثناء العدوان، لكن هذا لا يعني أنها توصيفات دقيقة، خاصة أنَّ البعض يكثر من استخدامها لأغراض سياسية، لبث رسائل ضمنية توحي أن تاريخ الكفاح الفلسطيني بدأ مع هذه الحرب، أو في سياق الخطاب الشعاراتي الذي اعتدنا عليه..

وفي حقيقة الأمر، لم يكن هجوم السابع من تشرين الأول حدثاً غير مسبوق في تاريخ العمل الفدائي يهاجم فيه العدو في عقر داره، فلدينا عشرات الأمثلة عن عمليات فدائية في قلب المدن الإسرائيلية.. أما عن شجاعة مقاتلي القسام والجهاد الإسلامي فهي موضع تقدير وإجلال، بيد أنها ليست حالة فريدة ومنقطعة في تاريخ النضال الفلسطيني، وليست غريبة عن شعبنا، ففي كل مراحل الثورة، وفي المعارك والمواجهات السابقة على مدى العقود الماضية كنا نرى أمثلة رائعة للشجاعة والإقـدام واستبسال الفدائي الفلسطيني، حتى المسافة صفر ليست جديدة، ففي معركة الكرامة التحم الفدائي مع الدبابة من المسافة صفر، بل وبالسلاح الأبيض والحراب، وفي حرب بيروت كان حتى الأطفال يقصفون الدبابات بالـ "أر.بي.جي"، وكان الفتى فارس عودة قد واجه الدبابة بحجارته من المسافة صفر في انتفاضة الأقصى..

وكذلك في ما يتعلق بالحصار والجوع والمعاناة والتضحيات، فـدون أدنـى شك تعرض أهلنا في غزة لحصار ظالم وخانق، وعانوا الأمرين، وتألموا وجاعوا وخافوا، وخسروا أحبتهم، وتهدمت بيوتهم، وتقطعت أطرافهم.. وهذه مأساة كبرى وفاجعة أليمة يصعب وصفها أو اختزالها بالكلمات، وستظل محفورة في ذاكرة الأجيال.. لكن أيضا تعرض شعبنا سابقاً لأهوال ومآس ومجازر وحصار وجوع ونكبات.. ولا يتسع المجال لذكر أمثلة، لكن شعبنا يعرفها تماما (تكفي الإشارة لتل الزعتر، وحرب المخيمات، وحصار مخيم اليرموك)، وفي كل مرة كنا نقول هذه أخطر مرحلة، وهذه أصعب مأساة.. النكبة، اللجوء، النكسة، أيلول الأسود، تل الزعتر، الليطاني، حصار بيروت، صبرا وشاتيلا، طرابلس، حرب

المخيمات، الانتفاضة الأولى والثانية، حصار المقاطعة، جنين... من غير اللائق مقارنة مأساة بأخرى، فهي سلسلة متصلة من العذابات والآلام عاشها الشعب الفلسطيني طوال العقود السبعة الماضية في الوطن والشتات.

على الرغم من الأحزان العميقة، وفداحة الخسائر وشدة الألم، فإنها ليست المرة الأولى التي يتعرض فيها شعبنا للظلم والقتل والتهجير والتجويع، وليست المرة الأولى التي تتخاذل فيها الأنظمة العربية، وليست المرة الأولى التي يتعامل معها العالم بازدواجية وعنصرية مقيتة؛ ومن الغريب بعد كل هذه العذابات والحروب والحصار والتشريد والمؤامرات ضد الثورة الفلسطينية أننا لم نعرف بعد طبيعة الأنظمة العربية، وارتباطاتها، ودورها الوظيفي، ثم نتفاجأ! ونستغرب من خذلان الدول العربية.. ولم نعرف بعد طبيعة النظام العالمي وتركيبة المجتمع الدولي، وطبيعة التحالف الأميركي الصهيوني لنتفاجأ كل مرة بازدواجية المعايير، ونشعر بمرارة الظلم والخذلان وكأننا لم نختبره عشرات المرات!

أما عن صورة إسرائيل فهي ليست المرة الأولى التي يعرف فيها العالم أن إسرائيل كيان غاصب ومعتد وظالم ويمارس العنصرية ويرتكب المجازر وجرائم الحرب، وينتهك حقوق الإنسان، ويخالف القانون الدولي، ويقتل ويدمر.. وقد سبق للأمم المتحدة أن أصدرت قراراً بأغلبية ساحقة في العام ١٩٧٥ يعتبر أن الصهيونية حركة عنصرية.[٤]

سمات جديدة ومخالفة لهذا العدوان

مع كل ما سبق ذكره، وفي الوقت ذاته، وللدقة والموضوعية يتوجب الإقرار بما اتسمت به هذه الحرب؛ فقد تميز هجوم السابع من تشرين الأول بكونه أول مرة في تاريخ الصراع يتم فيها مهاجمة العدو بهذا العدد الكبير من المقاتلين، في هجوم واسع وشامل ومتعدد الجبهات، كبّد العدو أكبر عدد من القتلى والجرحى في يوم واحد منذ تأسيس الكيان.. وهذه أول مرة يتم فيها أسر هذا العدد الكبير من الأسرى الإسرائيليين، وبالتالي هذه أكبر إهانة يتعرض لها جيش الاحتلال.

وهذه أول مرة ليس في تاريخ الصراع العربي الصهيوني، وإنما في تاريخ الحروب كلها يتم فيها تصوير الحرب يوماً بيوم وساعة بساعة ومن قلب الميدان وفي بث مباشر ومتابعة حثيثة ومتواصلة على القنوات العربية والأجنبية كافة، ويتم متابعتها في كبريات الصحف العالمية، ومختلف وسائل الإعلام، وأضيف لكل ذلك وسائل التواصل الاجتماعي التي جعلت كل فرد في العالم يتابع الحرب ويطلع على مجرياتها أولاً بأول بالصوت والصورة.. لذا كان الفلسطينيون يأملون من الدول والشعوب

والعالم أن ينصفهم، ويدرأ عنهم العدوان، ويوقف المجازر الدموية الفظيعة، لاسيما أن الجميع يراها مباشرة.

في هذه الحرب العدوانية، وهي الأطول في تاريخ الصراع، خسرنا أكبر عدد من الشهداء والجرحى في تاريخ الصراع، بأرقام فاقت تضحيات النكبة ١٩٤٨ بكثير. وفي هذه الحرب استشهد أكبر عدد من الأطفال في تاريخ النزاعات المسلحة حول العالم. كما استشهد أكبر عدد من الصحافيين، ومن العاملين في القطاع الصحي والإعلامي مقارنة بجميع الحروب الأخرى. وهذه أول حرب يكون هدفها وعقدتها وعنوانها الأبرز "المستشفيات" ومراكز إيواء النازحين. وقد شهدت هذه الحرب أكبر قدر من التدمير الممنهج، لذا لا نجازف بالقول: إن هذا العنف غير مسبوق في أي مكان آخر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وبسبب التغطية الإعلامية الشاملة لأول مرة ينكشف النفاق الغربي، أو بتعبير أدق هذه المرة انكشف بوضوح وجلاء، لدرجة أن شعوب العالم باتت تشك في مصداقية القيم الغربية، وباتت متأكدة أن الدول الكبرى والمنظمات الدولية متواطئة أو عاجزة.

هذا هو العالم الذي نعيش فيه، وهذا عدونا بكل بشاعته وجبروته وبطشه.. وهكذا يحصل عندما نقاتله عسكريا، ومع ذلك، ليس أمامنا سوى مواصلة الكفاح والصمود، حتى تشرق شمس الحرية يوما ما.. ولعله بات قريبا..

سمات العدوان وسيرورته

١.أكدت هذه الحرب العدوانية سمة متأصلة في المجتمع الإسرائيلي وهي أن التهديد الأمني يشكّل له بوتقة صهر، ويجعله في حالة توحد في مواجهة التهديد الخارجي، تدفع إلى إسكات الأصوات المعارضة وتكبح التصدعات الداخلية وتعيد اللُّحمة إلى المجتمع الإسرائيلي. فقد حصل الهجوم في فترة كانت تشهد الانقسام السياسي الأكبر داخل إسرائيل، وهو انقسام حزبي أولاً، بالإضافة إلى كونه انقساماً مجتمعياً هوياتياً، وانقساما حول صورة إسرائيل بين أن تكون يمينية محافظة، أو ليبرالية ديمقراطية، وانقساماً في المشروع ما بين دعاة الإصلاحات القضائية والهوية الدينية التوراتية للدولة ودعاة الدولانية وفصل السلطات والهوية الحداثية للدولة.

وقد أكدت الحرب أن إسرائيل قادرة على تجاوز (على الأقل مؤقتاً) هذه الانقسامات والتصدعات الداخلية على الأقل في الحيز العام والإعلام. فعلى الفور، تم توسيع الائتلاف الحكومي ليضم الفرقاء السياسيين. [٥]

٢.هناك عوامل عدة أثرت على سير العدوان ومدته وصلاحيات الحكومة الإسرائيلية لتحقيق أهدافها، أولى هذه العوامل: طبيعة شخصية نتنياهو وتشبثه المستميت بالسلطة، وخشيته من محاكمته بتهم

الفساد والتقصير بعد انتهاء الحرب، وبالتالي هذا عامل دفع إلى إطالة أمد الحرب بحجة القضاء على حماس، لكنه ليس العامل الحاسم والأهم. وثانيها: طبيعة الائتلاف الذي قاد الحرب وقدرته على الاستمرار في تجانسه الداخلي وتماسكه، وهو تماسك هش، بيد أنه تمكن من البقاء طوال تلك المدة. وثالثها: الأزمة الاقتصادية المتدحرجة وتعطل قطاعات واسعة من الاقتصاد الإسرائيلي، التي وضعت إسرائيل أمام تحديات داخلية يصعب الاستمرار في ضبطها، ومع ذلك ما زالت إسرائيل قادرة اقتصاديا على الصمود والمواصلة. ورابعها: ضرورة رد الاعتبار الأمني والعسكري للحفاظ على مكانة إسرائيل الجيوسياسية التي صارت على المحك، وبالتالي ضرورة تحقيقها إنجازاً كبيراً. وخامسها: تداعيات تفاعل الشارع الإسرائيلي مع استمرار الحرب وقضية الأسرى، مع أنها لم تصل إلى درجة مؤثرة بشكل جدي؛ وأخيرا الموقف الدولي وتفاعلاته.

٣. قبل البدء بالهجوم البري، وظفت إسرائيل كل إمكانياتها وطاقاتها لإعداد الجبهة الداخلية لوضعية الحرب الطويلة، وهيأتها نفسيا لتقبل عدد كبير من القتلى أثناء الحرب. لذلك، وخلافا للحروب السابقة فإن حجم الخسائر البشرية التي منيَ بها الجيش الإسرائيلي لم تشكل عاملاً أساسياً يساهم في تقصير عمر الحرب، وتحديد تداعياتها الداخلية، وطبيعة أهدافها، فقد تم تحضير المجتمع الإسرائيلي لتلقي ضربات موجعة وقاتلة بشكل يومي مدة طويلة. بل إن ارتفاع عدد الجنود القتلى صار عامل دفع لاستمراريتها، لذا كانت الحرب الإسرائيلية الأطول زمنيا. [٦]

٤. انقسام العالم بين مؤيد ومعارض للحرب، فبينما أعربت الولايات المتحدة ومعها أغلب الدول الغربية عن تضامنها مع إسرائيل وإدانة حماس.. بيد أنها بدأت تغير موقفها ولو قليلا، خاصة بعد تعمق الخلاف حول أمدها وطبيعة أهدافها السياسية، وشراسة الهجوم.. في المقابل، أعربت الدول العربية والإسلامية وأغلبية الدول في أفريقيا وأميركا اللاتينية عن دعمها للفلسطينيين وانتقادها الاحتلال الإسرائيلي باعتباره السبب الجذري للهجوم، داعية إلى إنهاء العدوان.

لكن الأهم هو تحول العدوان إلى قضية رأي عام عالمي لصالح الفلسطينيين، وقد شاهد العالم عنف جيش الاحتلال المفرط، وانتهاكاته القوانين الدولية، وارتكابه مذابح وجرائم حرب، وأيضا إدراك العالم بنية إسرائيل القائمة على الاستعمار واحتلال أراضي الغير. وهذا التغير في الموقف العالمي فاق قدرة إسرائيل على ضبطه، أو استيعاب تشعباته، وهو أمر سيضع صورة إسرائيل مستقبلا على المحك.

إضافة إلى تشوه صورة إسرائيل "الأخلاقية" أمام العالم، فقد وضعت هذه الحرب إسرائيل في مأزق سياسي، خاصة في ما يتعلق باليوم التالي لنهاية الحرب؛ فهي تعارض بشدة عودة السلطة الفلسطينية إلى قطاع غزة، على الرغم من الضغط الدولي والإقليمي من أجل إعادة تأهيل السلطة الفلسطينية لتولي زمام الأمور في غزة. فعودة السلطة ستعني إنهاء الانقسام ووضع إسرائيل أمام استحقاقات العملية السياسية وقد يؤدي هذا إلى إجبارها على البدء بالمفاوضات، وبالتالي القبول بدولة فلسطينية، كما تخشى إسرائيل من أنّ إعادة السلطة الفلسطينية قد تمهد الطريق لإعادة نمو حماس وسيطرتها في نهاية المطاف على النظام السياسي الفلسطيني.

حول النتائج الأولية للعدوان

في سياق الحرب العدوانية التي تشنها على شعبنا، تلقت إسرائيل ضربات موجعة على جبهتها الشمالية من حزب الله، الذي استخدم قوته بطريقة مقننة ودقيقة، وتمكن من ضرب أهداف عسكرية نوعية، وأعطى رسائل ذات قيمة معنوية استهدفت خفض معنويات العدو، وحرمانه الشعور بتفوقه النوعي. (مع استبعاد تطور هذا الشكل إلى حرب شاملة ما دام الطرفان يتقاتلان ضمن قواعد الاشتباك بالمستوى القائم).

ومع استمرار العدوان فترة طويلة (تكاد تنهي عامها الأول)، أُنهك جيش الاحتلال خاصة مع تلقيه ضربات متتالية من المقاومة في غزة، وصار بحاجة لفترة راحة وتعاف قبل أن يفكر بخوض حرب أكبر، لكن من الخطأ المراهنة على إنهاك الجيش.

وإذا أضفنا حرب أوكرانيا إلى حرب غزة، فسنجد أن التصورات المسبقة عن دور التكنولوجيا العسكرية الحديثة والمتطورة في حسم الحروب تضمنت الكثير من المبالغة، خاصة بشأن إمكانية تقليص العامل البشري وعدد الجنود والقوات البرية، وهذا يعني أنه لن يكون ممكنا لإسرائيل لو قررت خوض حروب كبيرة أمام جيوش حقيقية تحقيق تفوق وانتصار سريع كما حدث في نكسة حزيران، وبالتالي إذا شعرت بخطر وجودي، أو أخذت قرارا متهورا بخوض حرب (في ظل حكومة يمينية متهورة ومتطرفة) فلن يكون أمامها أي حل سوى استخدام أسلحة الدمار الشامل التي تمتلكها.

وحتى لا تصل إلى هذه النقطة الخطيرة، سيكون عليها طوال الوقت اتخاذ إجراءات وقائية وخطوات استباقية بهدف تفكيك الجيوش وحتى الدول العربية نفسها، بما فيها الدول التي ترتبط معها باتفاقيات سلام. (د. فضل عاشور، غزة).

ماذا خسرت إسرائيل؟

ما سبق ذكره من متغيرات من شأنه تعميق مأزق إسرائيل الوجودي، ودفع الولايات المتحدة لإعادة ترتيب علاقتها بإسرائيل، خاصة إذا أضفنا المتغيرات الآتية:

خسرت إسرائيل الكثير من صورتها ومكانتها، وحتى من هيبتها العسكرية، تجاه ذاتها أولا؛ حيث خسرت طبيعتها كدولة ليبرالية ديمقراطية بالنسبة لمواطنيها من اليهود، كما خسرت احتكارها مكانة الضحية في الضمير العالمي. وخسرت صورتها تجاه يهود العالم كدولة تمثل ملاذاً آمناً لهم، وتمثل ضحايا الهولوكست، أو حتى تمثل يهود العالم.

وخسرت ثانيا تجاه الدول الغربية، التي صارت تراها دولة مارقة تحكمها حكومة يمينية متطرفة ومناهضة لتوجهات المجتمع الدولي بوقف الحرب، وتجنب استهداف المدنيين. وصارت بالنسبة لهم تشكل عبئا سياسيا وأمنيا واقتصاديا وأخلاقيا، ودولة مثيرة للاضطراب وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط.

وثالثا: خسرت أمام العالم، الذي بات يراها دولة استعمارية واستيطانية وعنصرية ودينية متزمتة، تمارس حربا إبادية، وتتعامل بوقاحة وعنجهية مع الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية.

بالمحصلة، خسرت إسرائيل كثيراً من رأسمالها الرمزي والمعنوي والتاريخي، وفقدت تلك الصورة الأثيرة التي ظلت تروجها في العالم، أي صورة الضحية، وصورة الدولة الديمقراطية، بانكشافها على حقيقتها كدولة استعمارية وعنصرية ودينية وعدوانية،.. ولم يبقّ لديها سوى أميركا تقف معها، وتغطيها. [٧]

كل هذه الخسارات بسبب جرائمها وقتلها الأطفال والنساء والمدنيين، ودلالات تلك الخسارات، تمثلت في قرارات محكمة العدل الدولية، ومطالبة محكمة الجنايات الدولية باعتقال قادة إسرائيل، والمظاهرات الشعبية والطلابية التي اجتاحت مدن العالم وعواصمه، وتزايد الدول التي تدين إسرائيل، وتعترف بالدولة الفلسطينية، وإحداثها تصدعات عديدة في علاقتها بالدول الغربية، ومن ضمنها الولايات المتحدة، وتصدعات داخل تلك الدول بين الرأي العام فيها وحكوماتها.

إضافة إلى حجم التعاطف الكبير مع الفلسطينيين، إلى درجة صارت القضية الفلسطينية ورموزها (العلم والكوفية) جزءاً من المعركة على الحرية والعدالة وحقوق المواطنة في الدول الغربية ذاتها، بل وصارت معياراً للأخلاق والقيم الإنسانية ضد قيم العدوان والعنصرية التي تجسدها إسرائيل.

ولكن، في مقابل هذه الصورة الإيجابية، وما يُقال عن عملية "طوفان الاقصى" في يومها الأول أنها كشفت هشاشة النظام الأمني والعسكري الإسرائيلي، فإنه مع استمرار العدوان كل هذه

المدة اكتشفت إسرائيل نقاط قوة إضافية، وكسرت حواجز وتخوفات ما كانت لتكسرها سابقا، وطالما شكلت خطوطا حمراء كانت تحاول عدم تجاوزها، وهي إمكانية خوضها حربا طويلة الأمد، وإمكانية تحديها وتجاهلها الرأي العام العالمي.

فمثلا، حاولت إسرائيل تكذيب قصفها مستشفى المعمداني في بداية العدوان، ولكنها بعد ذلك، وبعد أن رأت الصمت العالمي والعربي، أو الاكتفاء بالمظاهرات، أصبحت لا تكلف نفسها عناء التبرير والتلفيق. وبالتالي ستكون أكثر خطرا وإجراما في حروبها المقبلة. لكن السؤال، إلى متى يمكنها الاستمرار في ذلك؟ وهل سيصبر حلفاءها كثيرا على تعنتها وجرائمها؟

ومع أهمية تلك المتغيرات، يتوجب الحذر من الوقوع في شرَك الإفراط في التفاؤل، أو التعويل عليه، بأنها كفيلة بتفكيك المشروع الصهيوني وإنهائه خلال فترة قصيرة، أو حتى الاعتقاد بأنها قادرة على وقف العدوان.

عندما تقاتل إسرائيل عسكرياً

بعد أن أُهين جيشها، وقُتل عدد كبير من مستوطنيها وجنودها، بدأت إسرائيل تروّج للعالم أنها تتعرض لخطر كبير وتهديد وجودي.. وعلى الفور حركت أميركا حاملات الطائرات الأضخم في أسطولها، مصحوبة بالبوارج الحربية والطائرات المقاتلة، تبعتها بريطانيا، وحضر الرئيس الأميركي إلى تل أبيب، ومعه شيك مفتوح بمليارات الدولارات، تبعه وزير الخارجية ووزير الدفاع وقادة أركان الجيش، ثم تبعهم رؤساء الحكومات في أغلب الدول الأوروبية.. ثم أصدرت عشرات الدول بيانات تؤيد إسرائيل، وتدعم "حقها في الدفاع عن النفس"، وانعقدت البرلمانات، والمؤتمرات الصحافية المنددة بحركة حماس والمتضامنة مع إسرائيل..

حتى مجلس الأمن، وسائر منظمات الأمم المتحدة بدت مستسلمة لأميركا وإسرائيل واللوبي الصهيوني، وصار كل همها إدانة حماس، وتبرير المذابح الإسرائيلية بحق المدنيين العزل.

ثم انبرت الوكالات الإعلامية والفضائيات وكبريات الصحف وعدد من المؤثرين والإعلاميين للدفاع عن إسرائيل، وتشويه صورة فلسطين ودعشنة حماس، وشيطنة كفاحها الوطني.

فيما انبرت محركات البحث وسيرفرات الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي: فيسبوك، انستجرام، تيك توك.. وصارت مسخَّرة لخدمة الدعاية الإسرائيلية ومحاربة المحتوى الفلسطيني، والتضييق عليه.

ثم أعلنت كبريات الشركات والمصانع والمؤسسات عبر العالم دعمها لإسرائيل؛ أكبر الشركات التكنولوجية، وأهم مصانع الأغذية،

وأشهر المشروبات الغازية، وأكبر سلاسل المطاعم، وبعض المؤسسات الحقوقية، وكبريات مصانع الأحذية والملابس، والعطور وغيرها.. وقدمت مساعدات عينية ومعنوية ودعائية لإسرائيل.

وفي كبريات المدن الأوروبية والأميركية أُضيئت الساحات العامة والبنايات الرمزية بعلم إسرائيل، حتى مبنى الأمم المتحدة أضيء بصور الأسرى الإسرائيليين والأجانب الذين تحتجزهم حماس.

في أوروبا حاولت الشرطة منع المسيرات الشعبية المنددة بإسرائيل، وصار التعاطف مع الفلسطينيين قرينا باللاسامية، وحمل العلم الفلسطيني أو الكوفية جريمة، أما من يطالب بوقف الحرب وينتقد إسرائيل ولو تلميحا فبات تحت طائلة المساءلة والعقاب..

هكذا كانت الصورة في الأسابيع الأولى من اندلاع الحرب، بدا العالم بأكمله مؤيدا لإسرائيل، ومنددا بـ"إرهاب" حماس.. وفي حقيقة الأمر، فإن الذي دافع عن إسرائيل ودعمها وبرر جرائمها هي الولايات المتحدة، والدول المنضوية تحت حمايتها أو ضغوطاتها، والمؤسسات والشركات المصانع ووكالات الأنباء التي يملكها ويديرها اللوبي الصهيوني.. ولا شك في أن ذلك كله يشكل قوة كبيرة ومهمة ومؤثرة يجب عدم الاستهانة بها.. قوة عسكرية وسياسية وإعلامية واقتصادية وقوة ناعمة..

لكن العالم الحر كانت له كلمة أخرى.. فبعد انكشاف زيف الدعاية الصهيونية، وانتشار صور المذابح وقتل الأطفال في غزة، بالتزامن مع حركة فلسطينية نشطة دبلوماسية وإعلامية.. بـدأت الصورة تتغير، فخرجت المسيرات الشعبية الحاشدة في أغلب مدن العالم ترفع عَلم فلسطين، حتى صار العلم الأشهر في العالم، وخرج برلمانيون وإعلاميون ومشاهير ومؤثرون ينددون بالجرائم الإسرائيلية، ويبدون تأييدهم لفلسطين، وقضيتها العادلة، حتى إن جماعات يهودية مناهضة للاحتلال نظمت مسيرات داعمة لفلسطين، وبدأ العالم يتفهم أكثر جذور القضية، وحقيقة وجود الاحتلال، ومدى بشاعته وعنصريته، وبدأت بعض الدول تغير مواقفها، حتى إن ١٥٣ دولة صوتت لصالح فلسطين في الجمعية العامة، ودول أخرى سحبت سفراءها من إسرائيل، أو قطعت علاقاتها معها (جنوب إفريقيا، بوليفيا، كولومبيا، هندوراس، تشيلي، الأردن، البحرين، البرازيل)،[٨] كما قامت ماليزيا بمنع السفن التي تحمل علم إسرائيل من الرسو في موانئها، في حين قدمت جنوب إفريقيا شكوى ضد إسرائيل للمحكمة الجنائية الدولية، وكذلك إلى محكمة العدل الدولية من أجل التحقيق في الإبادة الجماعية التي ارتكبتها إسرائيل في قطاع غزة، [٩] حتى أوروبا وأميركا نفسها بدأت تعدل وتغير في مواقفها.. ما يؤكد أن العالم ليس صامتاً كما يُشاع في الخطاب الشعبي، بل هو

متضامن مع الفلسطينيين، وأيضا يقف الشارع العربي مع الحق الفلسطيني بكل قوة.

مع أهمية هذا الحراك الشعبي العالمي، وضرورة استمراره، فإن إسرائيل لم توقف عدوانها، وظل الجرح الفلسطيني ينزف بغزارة، وظل شعب فلسطين مكشوفا أمام تحديات جمة ومخاطر جسيمة: سحق المقاومة، أو النجاح في شيطنتها ودعشنتها، وبالتالي نزع الشرعية عن كل الكفاح الفلسطيني، وتدمير غزة بالكامل، وتهجير سكانها إلى سيناء، ومن ثم نقل الحرب إلى الضفة، وتهجير سكانها أيضا إلى الأردن، وصولا إلى تصفية القضية الفلسطينية نهائيا.

خلاصة القول، إن قوى العالم العسكرية والاقتصادية والإعلامية والسياسية تجندت بكامل أسلحتها وعتادها للدفاع عن إسرائيل حين أوحت للعالم أنها تتعرض لخطر وجودي.. وهذه القوى (أو بعضها) تراجعت بعض الشيء حين تبين لها أن إسرائيل لا تتعرض لخطر وجودي، بل إنها تخوض حربا عدوانية غير متكافئة ضد مدنيين، وتمارس جرائم حرب.. لكنها ستعود لتتجند مرة ثانية إذا كانت إسرائيل فعلاً تحت تهديد خطر وجودي.. وعلينا أن نتذكر أن وسائل الإعلام الغربية ظلت طوال الحرب منحازة للعدوان، وتحاول إخفاء الصورة الحقيقية، أو تشويه صورة الفلسطيني.

بمعنى آخر، محاربة إسرائيل عسكريا تعني مواجهة منظومة دولية متكاملة، وليست مجرد حرب ضد الجيش الإسرائيلي، وهذه المنظومة الاستعمارية ستدافع عن إسرائيل بشراسة (عسكريا، واقتصاديا، وسياسيا، وإعلاميا)، لأنها مشروعها الأهـم الـذي أنفقت عليه تريليونات الدولارات، ورعته منذ مائة سنة.. وهذه الدول مستعدة لتعويض خسائر إسرائيل الاقتصادية.. وفي ضوء هذه المعطيات فإن تفكيك المشروع الصهيوني وتحرير فلسطين يتطلب أدوات وأساليب مختلفة، ويحتاج عناصر قوة ليست متوفرة لدى الفلسطينيين، فهي متوفرة لدى الدول العربية (النفط والغاز والثروات الطبيعية والمضائق المائية والعلاقات الدولية والقوة الاقتصادية والعسكرية، والبشرية.. إلخ). ويحتاج شروطا دولية لها علاقة بالنظام الدولي ومن يسيطر عليه وطبيعة تحالفاته، وتغيير هذه الشروط أيضا ليس بيد الفلسطينيين.. فهذا النظام لم يعد مقتصرا على توازن القوى العسكرية، وقد دخلت فيه عناصر مهمة وعديدة (الموانئ، الطرق التجارية، الأمن السبراني، القوة التكنولوجية والصناعية، مصادر الطاقة وطرق تدفقها، التجارة الدولية، الردع النووي، الأساطيل البحرية).

يتطلب الوصول إلى مرحلة الانتصار التي تتيح توجيه الضربة القاضية للمشروع الصهيوني توظيف عناصر القوة التي أشرنا

إليها، لذلك فالطريق ما زال طويلا، وهذه مرحلة الصمود والثبات، وممارسة المقاومة لإبقاء القضية الفلسطينية حاضرة في الأجندات الدولية.. وهذه القوة الأهم التي يمتلكها الفلسطينيون. وهي من الأهمية بحيث تفرض نفسها مركزا للصراع العالمي، والعقدة الأصعب في المعادلات الكونية، لأن فلسطين مفتاح الحرب والسلام في الإقليم والعالم.

مسألة أخرى ذات صلة، تحرير فلسطين ليس بمقدور الفصائل الفلسطينية وحدها على الأقل في المرحلة الحالية، والسبب ليس فقط تفوق إسرائيل، وموازين القوى وعناصر القوة الفاعلة والمؤثرة التي أشرنا إليها، بل لأن القوى المعنية بوجود إسرائيل في العالم، وفي العالم العربي خصوصاً، لا تسمح بذلك، كما لم تسمح سابقاً بأخذ لبنان لصالح القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية (١٩٧٦)، ولم تسمح بأن يصبح العراق قوة إقليمية، ولم تسمح باحتلاله الكويت (١٩٩٠)، ولم تسمح لبوتين بأخذ أوكرانيا (٢٠٢٢)، وحتى لم تسمح بإسقاط نظام الأسد طوال الأزمة السورية. (ماجد كيالي).

خلاصة أولية

مع دخول العدوان شهره الحادي عشر، تبدو الصورة مختلفة عما كانت عليه في بداياته: أداء المقاومة، وتيرة القصف، تفاعل الناس، ردود أفعال المجتمع الدولي.. حتى المفاجآت التي انتظرناها لم تظهر، وتقريباً اتضحت الصورة.. مع الأخذ بالاعتبار أن الحروب تتضمن دوماً مفاجآت غير متوقعة.

لنبدأ بإسرائيل؛ كنا نعتقد أن إسرائيل لن تتحمل حرباً طويلة الأمد (هكذا قال الخبراء العسكريون)، وأنّها لن تتحمل خسائر بشرية، ولن تسمح لدباباتها أن تتعرض للقصف، وأن الخلافات الداخلية ستُسقط الحكومة، وستشطر المجتمع، وستُضعف الدولة، وأن المجتمع الدولي لن يسمح بالتهجير، وإذا حدثت مذبحة كبيرة فسيسارع العالم لإدانة إسرائيل، وسيجبرها على إنهاء الحرب.

تبين أن إسرائيل قادرة على خوض حرب طويلة، وأنها هيأت جمهورها لتقبل خسائر باهظة في الأرواح، وأنها غير مهتمة بالرهائن، وقادرة على تحمل ضغوط أهاليهم، وقادرة على تسويق أكاذيبها ببراعة ووقاحة، وقادرة على تجاوز الضغوط الدولية (التي لم تتحقق أصلاً) وجعل العالم منقاداً لها، وقادرة على تحمل خسائرها الاقتصادية مهما بلغت (لأنها تضمن التعويضات)، وأنَّ الأمن وقوة الردع أهم عندها من صورتها الإعلامية، وأنها قادرة على ضرب كل قرارات الشرعية الدولية والرأي العام العالمي عرض الحائط.

أما أميركا، فتبين أن كل ما يعنيها من الحرب هو أمن إسرائيل، وضمان تفوقها، وتحرير مواطنيها المحتجزين لدى المقاومة، وكل ما

يتصل بذلك ويؤثر على الانتخابات الأميركية.. لذا ستظل تراوح مكانها، وتدير الأزمة، وتقدم وعوداً سرابية، وستظل توفر الحماية السياسية لإسرائيل، وتمدها بما تحتاجه من أموال وأسلحة وذخائر، وتجر أوروبا إلى موقفها.

أما عربياً، فربما كان من الخطأ أساسا الرهان على الموقف العربي، أو توقع فعل عربي رسمي قوي ومؤثر، حتى إن هشاشة الموقف العربي لم تتمثل في ضعفه السياسي أو الإستراتيجي، وإنما أيضاً في عجزه عن إدخال قنينة ماء إلى غزة دون موافقة وإذن إسرائيل وبالتنسيق معها، وبالطريقة التي تحددها (إنزال المساعدات جواً مثلاً).

الموقف الشعبي (عربيا، وإسلاميا، وعالميا) مع أنه متقدم وجيد وإيجابي ومهم، بما في ذلك خروج التظاهرات الحاشدة في عموم مدن العالم وعواصمه، فإن ذلك كله، وعلى أهميته، لم يوقف العدوان، وفي أحسن الأحوال قد يغير مواقف الحكومات على المدى البعيد، وحتى حالة التغيير في الوعي، وكشف حقيقة إسرائيل العنصرية والمتوحشة، وانحياز الغرب لها، وإعادة القضية إلى الواجهة.. كل هذا سيعطي ثماره بعد أمد بعيد.. وطبعا، دون ضمانات أكيدة بتحقق ذلك.

كما إن العالم بعد قرابة السنة لم يعد يتابع العدوان بالاهتمام نفسه، فهناك عشرات الحروب وبؤر التوتر والصراع المتفجرة في مختلف أنحاء العالم، وبالتالي فإن الإعلام يبحث عن كل ما هو جديد ومثير.

أما ما يعرف بمحور المقاومة، والرهان على وحدة الساحات، ومشاركة حزب الله في الحرب بكامل قوته.. فهذه كلها كانت مجرد أمان وخطابات إنشائية، وتهديدات، واستخدام لقوى محلية لأغراض متصلة بأجندات وتوازنات إقليمية، وتأثيراتها على مجريات الحرب لحد الآن محدودة. وكل ما قيل عن اتساع رقعة الحرب، وتحولها إلى حرب عالمية.. مجرد فزاعة، استخدمتها أميركا لإعادة مكانتها وسيطرتها على المسرح الدولي.

نأتي إلى الساحة الفلسطينية، بات معروفا أن جماهير الضفة الغربية وفلسطينيي الداخل لم يتفاعلوا مع العدوان بالدرجة المأمولة، فقد كان راسخا في وعيهم الباطني أن إسرائيل تتربص بهم، وتنتظر منهم ردة فعل قوية لتكرار ما حدث في غزة في الضفة، ولوضع كل شعب فلسطين على حافة الهاوية، وتهيئة الظروف للتخلص منهم وترحيلهم.. فضلا عن قلة إمكانياتهم ومحدودية خياراتهم، في ظل الهجمة الإسرائيلية الشرسة والمتأهبة والمختلفة عن كل ما سبق.

في غزة، وبعد اجتياح كامل القطاع، تبين أن المقاومة غير قادرة على ردع العدوان، ولا عن صد الجيش، أو إعاقة تقدمه، أو التحصن في مكان ما يصعب على الجيش وصوله.. وتقريبا

توقفت الصواريخ، ودمر الاحتلال أغلب الأنفاق، ولم يتبق سوى جيوب مقاومة تستبسل في الدفاع عن مواقعها، وفي استهداف ما يمكنها من دبابات وآليات العدو، والورقة الأخيرة لدى حماس هي الرهائن، التي اتضح أن إسرائيل غير مكترثة بها.

مفاوضات الهدنة أو التوصل إلى وقف إطلاق النار تراوح مكانها، ومتعثرة، وإسرائيل متمسكة بشروطها، وتحاول جر حماس إلى مزيد من التنازلات، ومن الواضح أن أميركا غير جادة بإيقاف الحرب.

الحاضنة الشعبية بدأت تضعف وتذوي، فبسبب سياسة التجويع والتعطيش والإفقار ومنع وصول المساعدات، ومع انهيار المنظومة الصحية، وتدمير المنظومة التعليمية، والاقتصادية، وتخريب البنية التحتية، وتفشي الأوبئة، واقتراب الناس من المجاعة وانتشار أمـراض سوء التغذية.. وكل ما ينجم عن الحروب من أمراض وظواهر اجتماعية سلبية كالاستغلال وجشع التجار والتعديات وسرقة البيوت، وسوء توزيع المعونات.. كل هذا خلق ظروفاً بيئية وصحية واجتماعية بالغة السوء وفي منتهى القسوة..

بعد كل هذا الدمار والخراب حققت إسرائيل أهم أهدافها.. وبقي عليها حسم موضوع اليوم التالي للحرب، أي تحديد من سيحكم غزة.. وهي من القضايا المستعصية والمعقدة، وربما تكون حماس الجهة الوحيدة القادرة على إيجاد حل لها، وبالتالي إيقاف الحرب؛ وبحسب ما كتب الدكتور تيسير عبد الله من غزة، لدى حماس خياران: وقف الحرب وحقن ما تبقى من دماء الأبرياء، وهذا يتطلب منها التضحية بنفسها (أي التخلي عن حكم غزة) لإنقاذ شعبها. والخيار الثاني استمرار الحرب، بكل ما تعنيه من استمرار سحق المدنيين. وفي هذا الخيار ستحاول حماس الإبقاء على أمل استمرار حكمها والمحافظة على نفسها. وهي محاولة ليست مضمونة في ظل حجم التدمير الاحتلالي، وقد تخسر في هذا الخيار نفسها والشعب معا. ولذلك لا داعي للتركيز الشديد في البحث عن الكرة في أي ملعب الآن، أو أن تأتي المفاوضات بمعجزة.

ما كان غامضا في بداية الحرب، بات أقرب للوضوح.. والأهداف الكبيرة التي سعينا لها صارت أبعد وأبعد.. وصار منتهى الطموح أن تتوقف الحرب، ونحقن دماء من ظل على قيد الحياة، وانتظار جولة صراع جديدة، على أمل أن نستفيد من هذه التجربة القاسية واللعينة.

الهوامش

١ أكد المندوب الروسي الدائم لدى الأمم المتحدة فاسيلي نيبينزيا، أن إسرائيل ليس لها الحق في الدفاع عن النفس في الصراع الحالي لأنها دولة احتلال ٢-١١-٢٠١٣، روسيا اليوم.

٢ نص ميثاق الأمم المتحدة، الصفحة الرسمية لهيئة الأمم المتحدة، https://www.un.org/ar/about-us/un-charter/full-text

٣ إسرائيل تعمدت استهداف ٢٠٠ موقع تراثي وأثري في غزة، جريدة الشرق الأوسط، ٣٠،١٢،٢٠٢٣، https://2u.pw/RTrG7Z8

٤ بتاريخ ١٠-١١-١٩٧٥ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم «٣٣٧٩» الذي يعتبر أن الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وطالب القرار جميع دول العالم بمقاومة الأيدولوجية الصهيونية التي اعتبرها تشكل خطرا على الأمن والسلم العالميين.

٥ وليد حباس، مجريات الحرب على غزة منذ ٧ أكتوبر، ملتقى فلسطين، ٢٨،١٢،٢٠٢٣، https://2u.pw/MVIt7Dq

٦ وليد حباس، مجريات الحرب على غزة، مصدر سبق ذكره.

٧ ماجد كيالي، خسارات إسرائيل في حرب الإبادة ضدّ قطاع غزّة، النهار العربي، ١-٦-٢٠٢٤.

٨ الدول التي أعلنت قطع العلاقات أو استدعاء السفراء من إسرائيل، قناة الحرة، ٤،١١،٢٠٢٣، https://2u.pw/Gte-6hd3

٩ جنوب إفريقيا تقدم شكوى ضد إسرائيل للجنائية الدولية، وكالة روسيا اليوم https://2u.pw/4s-qH92y، 2023، 16،11، RT

تسليح المستوطنين.. والإضرار بحقوق المرأة المقدسية بموجب قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥

أ. نادين قرط*

تحدثت القنوات الإخبارية الإسرائيلية والغربية عن تقدم ٢٥٠ ألف مستوطن للحصول على رخصة سلاح بعد شهرين فقط على بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ووفقاً لتصريحات مسؤولين إسرائيليين وتقارير إخبارية فإن عملية حصول المستوطن على تصريح حمل السلاح لا تستغرق أكثر من ٢٠ ثانية.

في ظل هذه المعطيات، وازدياد التوجهات العلنية والدعوات المتكررة التي أطلقها وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير لتوزيع السلاح بكثافة على عموم الإسرائيليين، والمستوطنين على وجه التحديد، وتسهيل عملية الحصول عليه بحجة أن هذا "السلاح ينقذ الحياة"، كون المستوطنين هم "خط الدفاع الأول" عن أمن دولة الاحتلال.

ووفقاً لهذه المعطيات، فإن ما شجع منظومة الاحتلال الأمنية على توزيع السلاح في المستوطنات بالأراضي المحتلة خاصة في مدينة القدس، هو التذرّع بالمخاوف من تكرار عملية "طوفان الأقصى" في الضفة الغربية، لكن بعد أربعة أشهر على اندلاع الحرب تبين أن هذه المخاوف ما هي إلا أوهام وليست حقيقة.

في هذا السياق، وبعد مرور ٩ أشهر على انـدلاع الحرب مازالت هذه التصريحات والمساعي لزيادة عدد السلاح مستمرة، مما أدى إلى زيادة عدد هجمات وانتهاكات المستوطنين في

* كاتب في السياسات العامة..

الضفة الغربية وازدادت معها المطالبة بتوسيع الاستيطان.

الجدير بالذكر أن التسليح لم يبدأ بعد الحرب على غزة، وإنما سبقه بسنين كثيرة، وكل هذه المبررات المتعلقة بالحرب كانت فقط لزيادة عدد المسلحين بالسلاح الشخصي، حيث شهدت هذه العملية تصاعداً ملحوظاً مع زيادة تأثير المستوطنين على سياسات حكومة الاحتلال.

أشار تقرير نشره موقع (سيحا مكوميت) العبري ذو التوجهات اليسارية، إلى سياسة التعمية التي تنتهجها دولة الاحتلال بخصوص كمية السلاح الموجودة بين أيدي المستوطنين في الضفة الغربية، حيث لا تتوفر معلومات دقيقة حول عدد الأسلحة التي يمتلكونها وكل ما يتوفر هو تقديرات غير مؤكدة.

ومن المهم ذكره، أن عملية تسليح المستوطنين شهدت تطوراً ملحوظاً في العام ٢٠١٥ مع تولي غلعاد أردان وزارة الأمن الداخلي الإسرائيلي، بالتزامن مع ما عُرف إسرائيلياً بـ"هبة السكاكين". فقد طبق أردان تعديلات على سياسة منح تراخيص السلاح لتوسيع نطاق الأشخاص المؤهلين لحمله، مما أدى إلى تبسيط إجراءات استصدار التراخيص وزيادة تشجيع المستوطنين على حمل السلاح، وتشير بعض التقارير إلى أن نسبة حملة تراخيص السلاح في المستوطنات بالضفة الغربية تعتبر الأعلى بين المناطق الإسرائيلية الأخرى.

مع تولي حكومة الاحتلال السابعة والثلاثين بزعامة بنيامين نتانياهو وشريكيه بن غفير وسموتريتش مهامها، زاد عدد المستوطنين الذين يتقدمون للحصول على رخصة سلاح شخصي في عموم فلسطين المحتلة، وفي العام ٢٠٢١، تم إصدار نحو ١٠ آلاف رخصة سلاح جديدة، وفي العام ٢٠٢٢، ارتفع هذا العدد إلى نحو ١٣ ألف رخصة، أما في العام ٢٠٢٣، في ظل بن غفير، فقد تم إصدار نحو ٣٨ ألف رخصة سلاح جديدة قبل السابع من تشرين الأول، أما بعد السابع من تشرين الأول، فقد تضاعفت طلبات الحصول على رخص السلاح بشكل هائل، ووصل عدد الطلبات التي يتم تقديمها يومياً إلى ما بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف طلب، وتم تسهيل الإجراءات البيروقراطية لامتلاك الرخص وتخفيف شروط الحصول عليها، مما جعل المؤهلين لامتلاك الرخصة يشملون الجنود السابقين والأفراد من سن ٢١ فما فوق، وأولئك الذين أدوا الخدمة المدنية بدلاً من الخدمة العسكرية، وموظفي الإسعاف والإطفاء والإنقاذ والمتطوعين والمهاجرين الجدد فور وصولهم. وكذلك تم تيسير إجراءات تجديد الرخص القديمة وتحويلها إلى رخص دائمة.

تقدم أكثر من ٢٥٠ ألف مستوطن - خلال الفترة الواقعة بين تشرين الأول ونهاية العام ٢٠٢٣ - بطلب للحصول على رخصة سلاح، وحصل نحو ٢٦ ألف مستوطن على الرخصة،

بالإضافة إلى ٤٤ ألف مستوطن حصلوا على رخص مشروطة، ويعود هذا الارتفاع الكبير في الأعداد جزئياً إلى التسهيلات التي أدخلها بن غفير، حيث حصل بعض المستوطنين على الرخصة من خلال محادثة قصيرة لا تزيد على ٢٠ ثانية مع موظفي وزارة الأمن القومي.

بالإضافة إلى حملة تسليح المستوطنين بحجة "سلاح ينقذ الحياة" من ميزانية وزارة الأمن القومي، باشر بن غفير بحملة لإنشاء "وحدات التأهب"، التي كانت موجودة بالفعل في بعض المستوطنات والمدن، لكن زاد عددها بشكل كبير بعد الحرب على غزة، فقد أشرف بن غفير على تأسيس ٧٠٠ وحدة تأهب جديدة منذ ٧ تشرين الأول حتى تشرين الثاني في أنحاء الضفة الغربية.

تعتبر هذه الوحدات وحدات شبه عسكرية، كل منها تتكون من ١٠ إلى ٤٠ عنصراً من المستوطنين في كل مستوطنة، تحت إشراف شرطة الاحتلال في الأراضي الداخلية وجيش الاحتلال في الضفة. مهمتها تقديم الاستجابة الأولية في حالات التحديات الأمنية حتى وصول القوات المختصة. قد تلاقي مسألة انتشار السلاح الشخصي وتشكيل العصابات المسلحة تأييداً من المجتمع الإسرائيلي والقيادة السياسية والأمنية الإسرائيلية، بحجة التهديدات الأمنية، بينما تعارض بعض المؤسسات الحقوقية الإسرائيلية، مثل "بيتسيلم" و"السلام الآن" هذا الانتشار نظراً لتأثيره الخطير على المجتمع الإسرائيلي نفسه، إلا أن هذه المؤسسات تحظى بمركز طرفي في المجتمع الإسرائيلي، مما يقلل من تأثير معارضتها.

يأتي القلق الداخلي الحقيقي من تأثير انتشار السلاح على المجتمع نفسه، حيث يخشى المجتمع الإسرائيلي من استخدام السلاح في جرائم، وحالات عنف عائلي، وصراعات شخصية، وحالات انتحار، دون النظر إلى الخطر الحقيقي الذي يمثله هذا الانتشار على الشعب الفلسطيني سواء في إسرائيل نفسها أو في الضفة الغربية، لهذا عرضت مقالة على موقع "كلكليست" الاقتصادي الإسرائيلي تساؤلاً عن الهدف من وراء إغراق المجتمع الإسرائيلي بهذه الكميات من السلاح، حيث استهل المقال بالسؤال: "إلى مَن سيوجه هذا السلاح في اليوم التالي للحرب؟".

الموقف الدولي من تسليح المستوطنين في الأراضي الفلسطينية المحتلة

مما لا شك فيه أن موضوع قانونية وجود المستوطنين هو موضوع مثير للجدل لأنه بحسب ما جاء في المادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة: "لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحل أو تنقل جزءاً من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي

تحتلها". علماً أن عدد المستوطنين في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس، بلغ نحو ٦٠٠ ألف مستوطن.

اعتماداً على هذه المـــادة، يعتبر وجود المستوطنين غير قانوني بحسب الاتفاقيات الدولية، وأيضاً بحسب المادة ٥٣ من اتفاقية جنيف الرابعة: "يحظر على دولة الاحتلال تدمير أي ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد أو جماعات، أو بالدولة أو السلطات العامة، أو المنظمات الاجتماعية أو التعاونية، إلا إذا كانت العمليات الحربية تقتضي حتماً هذا التدمير".

يهدف هـذا المبدأ القانوني إلى حماية الممتلكات الخاصة وضمان حقوق الأفراد والمجتمعات في المناطق المحتلة، لكن مع زيادة تسليح المستوطنين الإسرائيليين بعد ٧ تشرين الأول في الأراضي المحتلة، يطرح هذا الموقف تساؤلات حول توافق هذا التسليح مع التزامات إسرائيل بالقانون الـدولي.

يعتبر تسليح المستوطنين تهديداً لأمن الفلسطينيين واستقرارهم في المناطق المحتلة، ويعتبر خرقاً للقوانين الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان والقوانين الإنسانية الدولية، ومما لا شك فيه، أن التسليح يعني زيادة القدرة على الانتهاك، حيث إن هناك أكثر من خمسة آلاف جريح إضافة إلى خمسمائة شخص قتلوا فعلاً على أيدي المستوطنين.[١]

ينظر المجتمع الدولي، بشكل عام، إلى وجود المستوطنين وتسليحهم بشكل سلبي نظراً لتأزم الصراعات، والتوترات الناجمة عن استخدام هذه الأسلحة للاعتداء على سكان المنطقة كما حدث في قرية المغير في الضفة الغربية حيث أدى اعتداء المستوطنين المسلحين على القرية إلى سقوط شهيد و٢٥ إصابة إضافة إلى إحراق عشرات المنازل والمركبات وأدى بالتالي إلى تصاعد العنف في مناطق أخرى في الضفة الغربية لعدم وجود رادع لهذه الاعتداءات.[٢]

التحديات النسوية أمام المرأة المقدسية: بين القرار ١٣٢٥ وتسليح المستوطنين

لقد جاء قرار الأمم المتحدة رقم ١٣٢٥ حول المرأة والأمن والسلام؛ نتيجة الجهود الدولية لتعزيز دور المرأة في بناء السلام والأمن العالمي. وقد أقر مجلس الأمن بالإجماع هذا القرار سنة ٢٠٠٠، ليؤكد أهمية إشراك المرأة في جميع جوانب الحياة والأمن والوقاية من النزاعات وبناء السلام بشكل شامل ومستديم.[٣]

ومن الجدير بالذكر أن القرار ١٣٢٥ جاء ليؤكد الحاجة إلى حماية حقوق المرأة في مناطق النزاع وفي أوقات الحرب، وتقديم الحماية اللازمة للنساء والفتيات من العنف الجنسي والتحرش ومن جميع أشكال الانتهاكات الجنسية في سياق النزاعات المسلحة، ويعتبر هذا القرار خطوة مهمة نحو تعزيز المساواة

بين الجنسين وتعزيز دور المرأة في بناء السلام والأمن الدولي.

أما في وضع المرأة الفلسطينية التي تعيش تحت الاحتلال في مدينة القدس في سياق مختلف عن مناطق النزاعات؛ لأنها تعيش في منطقة محتلة متوترة طوال الوقت مما يعني أنها تفتقر إلى وجود الأمن والسلام وهذا يعرضها إلى تحديات مختلفة عن أي امرأة تعيش في مناطق النزاعات، خاصة في ظل موضوع تسليح المستوطنين في القدس المحتلة، باعتبار أن هذا التسليح له تأثير كبير على المرأة المقدسية في العديد من الجوانب، بما في ذلك:

أولاً - الأمان الشخصي

ترفع زيادة التسليح من مخاطر التعرض للعنف والتحرش والاعتداء من المستوطنين، وهذا ما يهدد أمن المرأة المقدسية الشخصي، وقد قامت مؤسسة الإرشاد القانوني والاجتماعي النسوية بتوثيق قصص نساء وأصدرتها في كتاب تحت عنوان "أصوات النساء الفلسطينيات"، يوثق هذا الكتاب واقع الحياة في ظل الاحتلال، إلى جانب تأثير ذلك على النساء ومخاوفهن وقلقهن على عائلاتهن. فقصص النساء الواردة في هذا الكتاب لا تشهد على وحشية الاحتلال وما يمارسه من تمييز وعنف فحسب، وإنما تشهد أيضاً على قوة المرأة الفلسطينية وقدرتها على التحمل.

في هذا الصدد، تم توثيق قصة امرأة مقدسية (٧٧ عاماً) من حي البستان في بلدة سلوان بمدينة القدس المحتلة تعيش هي وزوجها المريض (٨٠ عاماً) بعد أن اقتحم مستوطنون منزلهما بحجة أنهم عمال في البلدية وهددوهما بإخلاء البيت وهدمه.

ثانياً - الأثر على الحريات والتنقل

استباح الاحتلال في الضفة الغربية والقدس المؤسسات التعليمية واقتحمها، مما أدى إلى توقف التعليم الحضوري في مختلف مؤسسات التعليم العالي البالغ عددها ٣٤ مؤسسة، وتحوله إلى التعليم الإلكتروني، بسبب إغلاق الطرق بالحواجز العسكرية، وهذا فتح المجال أمام المستوطنين للاعتداء على أي شخص وإصابته أو قتله،[٤] مثال ذلك ما يحدث في جامعات الخليل وبيرزيت وفلسطين التقنية وغيرها.[٥]

وثقت مؤسسة الإرشاد القانوني والاجتماعي للمرأة في كتاب "أصوات نساء فلسطينيات" حوادث عنف فردي تتعرض له نساء أثناء انتظارهن عند نقاط التفتيش أو سيرهن عائدات إلى المنزل من العمل، أو قد تكون عملية مستمرة حيث تعيش المرأة مع العنف أو التهديد بالعنف من المستوطنات المجاورة على مدى العديد من السنوات.

ففي هذه المجتمعات، كما يتبين من الشهادات الواردة في الكتاب من مدينة الخليل

وبلدة عصيرة القبلية، تضطر النساء للتعايش مع الاعتداءات التي تطالهن وتطال أسرهن وجيرانهن وممتلكاتهن وسبل رزقهن على مدى سنوات عديدة.

تقول سيدة من بلدة عصيرة القبلية في منطقة نابلس في شهادتها: "كثيراً ما يقوم المستوطنون بالهجوم على المنازل القريبة من المستوطنة التي تقع عند أطراف البلدة، وغالبا ما يحضر الجيش الإسرائيلي الذي لا يعمل شيئاً لمنع المستوطنين، بل يقوم بتوفير الحماية لهم...".

وتضيف في شهادتها: كانت الساعة نحو السادسة صباحاً. فجأة سمعت صوت المستوطنين عند باب المنزل يصرخون "الموت للعرب، الموت للعرب". كانوا يصرخون كلمات أخرى باللغة العبرية لكني لم أفهم معناها. بعدها بقليل أخذوا يرشقون الحجارة على الشبابيك ومحاولة تقطيع الشبك الذي كنا قد وضعناه لتوفير الحماية لنا. كما قاموا بتكسير الزجاج. أخذ أطفالي يصرخون ويبكون. خفت كثيراً ولم أعرف ماذا أفعل. كنت قلقة جداً على أطفالي".

ثالثاً - الأثر النفسي

وثق كتاب "أصوات نساء فلسطينيات"، أيضاً أثر عنف المستوطنين من الجانب النفسي، مشيراً إلى أن أثره لم يتوقف عن كونه اعتداء ملموساً، وإنما امتد أيضاً ليكون له أثر نفسي على النساء، وقد تبين ذلك من خلال توثيق شهادات وقصص تؤكد زيادة الانفعال نتيجة الخوف والقلق بسبب اعتداءات المستوطنين والجنود الإسرائيليين.

وأفادت بعض النساء بأنهن لم يكن قادرات على الاستمرار في حياتهن الطبيعية بسبب الخوف من الانتهاكات والاعتداءات المتكررة.

تقول إحدى النساء: "في كل مرة أرى جنوداً ومستوطنين أو أسمع أصواتاً أصاب بالهلع وأشعر بأنني أريد أن أترك المنزل وأذهب لأعيش في مكان آخر".

رابعاً- الحياة الاجتماعية والاقتصادية

تبين من توثيق حكايات النساء أن تسليح المستوطنين في المناطق المحتلة له تأثيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة على الفلسطينيين، من بين هذه التأثيرات:

الآثار الاقتصادية

- اعتداءات المستوطنين المسلحين تؤدي إلى تدمير ممتلكات الفلسطينيين الزراعية والصناعية والتجارية، مما يتسبب في خسائر مالية كبيرة ويؤثر سلباً على مصادر الرزق.
- المستوطنون المسلحون يسيطرون على الأراضي والمياه والموارد الطبيعية الأخرى، مما يحد من قدرة الفلسطينيين على الوصول إلى هذه الموارد واستغلالها.

- وجــود المستوطنين المسلحين والعنف المرتبط بهم يعوق تنفيذ المشاريع التنموية والاستثمارات في المناطق الفلسطينية، مما يؤثر على النمو الاقتصادي وفرص العمل.

يضاف إلى ذلك أن الفلسطينيين يضطرون إلى إنفاق موارد إضافية على تأمين أنفسهم وممتلكاتهم ضد اعتداءات المستوطنين، مما يزيد من الأعباء المالية على الأفراد والمجتمع.

الآثار الاجتماعية

تسليح المستوطنين يؤدي إلى زيادة التوتر والخوف بين الفلسطينيين، مما يؤثر على النسيج الاجتماعي ويعزز الانقسامات داخل المجتمع.

العنف المستمر والتهديدات المرتبطة بتسليح المستوطنين يؤثران سلباً على صحة الفلسطينيين النفسية، مما يزيد من حالات القلق والاكتئاب والصدمات النفسية.

كما إن الاعتداءات المسلحة وتهديدات المستوطنين تؤدي إلى تعطيل حياة الفلسطينيين اليومية، بما في ذلك التعليم والعمل والحركة الحرة، مما يؤثر على جودة الحياة والاستقرار الاجتماعي.

العنف وعدم الأمان يعيقان الوصول إلى التعليم، حيث يتخوف الأهالي من إرسال أبنائهم إلى المدارس، مما يؤثر على تحصيل الأطفال والشباب الفلسطينيين العلمي.

نتيجة العنف والضغوط المستمرة، قد يضطر العديد من الفلسطينيين إلى النزوح من مناطقهم أو الهجرة بحثاً عن الأمان والفرص الأفضل، مما يؤدي إلى تغييرات ديموغرافية واجتماعية كبيرة.

باختصار، يؤثر تسليح المستوطنين بشكل كبير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المناطق المحتلة، ويفاقم من التحديات التي يواجهها الفلسطينيون ويعقد الجهود الهادفة إلى تحقيق السلام والاستقرار في المنطقة.

هل من خيارات للتعامل مع المشكلة؟

الخيار الأول - تشكيل لجنة دولية لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥. يأتي هذا المقترح في سياق حماية المرأة المقدسية من انتهاكات تسليح المستوطنين في القدس، ويشمل الخطوات الآتية:

١. تشكيل لجنة دولية ذات صلاحيات واسعة لمتابعة تنفيذ القرار في ما يتعلق بحماية المــرأة المقدسية من تأثيرات تسليح المستوطنين. وتكون من صلاحيات هذه اللجنة تتبع تنفيذ القرار وتقديم التوصيات للجهات المعنية.
٢. ينبغي على اللجنة الدولية تعزيز التعاون الدولي من أجل تعزيز حماية المــرأة وتعزيز تنفيذ القرار ١٣٢٥ بهدف تبادل المعلومات والخبرات مع

الجهات الدولية المعنية بحقوق الإنسان والمساواة.

٣. أن تقوم اللجنة الدولية بتقديم توصيات وإجـراءات فعالة للتصدي لتأثيرات تسليح المستوطنين على المرأة المقدسية، وتعزيز حقوقهن وتوفير الحماية اللازمة. يكون الدور الرئيس لهذه اللجنة حيوياً في تحقيق التغيير وتحقيق العدالة للنساء المتضررات.

الخيار الثاني - تطبيق اتفاقيات جنيف لإنهاء الاحتلال

في ظل تزايد عمليات تسليح المستوطنين في الضفة الغربية والقدس المحتلة، ومع تزايد اعتداءاتهم على الفلسطينيين خاصة النساء، يعد تطبيق اتفاقيات جنيف والالتزام بالقوانين الدولية مسألة حيوية لإنهاء الاحتلال وتحقيق السلام والعدالة في المنطقة.

يجب على المجتمع الدولي والمنظمات الحقوقية العمل بجدية لضمان امتثال إسرائيل لأحكام اتفاقيات جنيف والضغط على الجهات المعنية لوقف تسليح المستوطنين، واحترام حقوق الفلسطينيين وحرياتهم، كما هو منصوص عليه في القانون الدولي.

الخلاصة

تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥ في فلسطين وضمان الحد من تسليح المستوطنين في فلسطين خاصة في مدينة القدس المحتلة يمكن أن يسهم بشكل كبير في تحسين أوضاع النساء والفتيات، ويعزز من فرص تحقيق سلام مستديم واستقرار اقتصادي واجتماعي، وتحقيق ذلك يتطلب التزاماً قوياً من جميع الأطراف المعنية، بما في ذلك المجتمع الدولي ومنظمات المجتمع المدني.

هوامش

١ Slingshot - مقلاع. (n.d.). *Slingshot | Advocating for the Human Rights of Palestinians.* [online] Available at: https://slingshot.ps [Accessed 12 Jul. 2024].

2 WAFA Agency. (٢٠٢٤). شهيد و٢٥ إصابة وإحراق عشرات المنازل والمركبات في هجوم واسع للمستعمرين على قرية المغير. [online] Available at: https://wafa.ps/Pages/Details/93441 [Accessed 12 Jul. 2024].

٣ كتاب النساء والسلام والأمن: تنفيذ قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ١٣٢٥

٤ RT Arabic (٢٠٢٤). إغلاق للطرقات وإحراق للممتلكات.. المستوطنون يصعدون لليوم الثاني في الضفة الغربية. [online] RT Arabic. Available at: https://arabic.rt.com/middle_east/1555880- [Accessed 12 Jul. 2024].

٥ أبو زنيط, د. إياد (٢٠٢٤). انعكاسات العدوان 'الإسرائيلي' على التعليم الجامعي الفلسطيني. [[online] Vison for political development . Available at: https://vision-pd.org/ [Accessed 12 Jul. 2024].

غزة ما بين هول اليوم الأول والثالث

أ. بكر أبوبكر*

في الحدث المفصلي في القرن الحادي والعشرين المتمثل بكارثة القرن.. المذبحة اليومية في غزة وفلسطين دهمتنا من الشدائد والأهوال ثلاثة!

أولها هول اليوم الأول، يوم المباغتة والمفاجأة "الذي ما كان للتالي أن يحدث من حيث الحجم والشدة والشراسة إلا بسببه كما يقول الإسرائيليون"، وهو إذ كان طوفاناً ضد المحتل أفقده اتزانه كما أفقده وعيه، فإن حجم المتفجرات الذي أطلقه غلاة اليمين من قلوب قادة الاحتلال وعقولهم كان مهولاً حتى إنه قورن بما حصل في كثير من الأحداث الإجرامية في الحروب الأوروبية العالمية.

الهولُ الأول

مهد هولَ اليوم الأول وما أوقعه من مفاجأة ومباغتة لليوم الثاني، حيث الصدمة التي أخرجت أسوأ مكنونات النفس البشرية، مما جعل الفلسطينيين يعيشون في شهور تسعة "حتى الآن" أسوأ أيامهم منذ النكبة عام ١٩٤٨م.

لقد كانت مفاجأة هول اليوم الأول بداية، إلاّ أن هول الرد الصاعق كان مفاجأة أخرى، تحمل فزعاً وشدّة أكبر، دهم العالم هولُ اليوم الأول فكان الصراخ هو الجامع بين قابل ومهلّل لا يدرك العواقب، وبين رافضٍ مقدّر للمآلات الشنيعة.

كان الأمر في لحظته الأولى الداهمة بين مؤيد معلّل أو مبرّر، وبين مصدوم أو رافض أو مهزوم، ومما لا شك فيه أن صورة الكيان

* كاتب رأي.

النمطية قد تحطّمت كنمر من ورق، وبدأ العُريّ جلياً ولو لسويعات كانت في عُرف النكبة كتعويض مؤقت عن دهر حزن لم يتوقف.

هولُ اليوم الثاني

لم تكد تهدأ ثائرة الهول الأول حتى تم إطلاق النار عليه بهول اليوم الثاني الذي استمر حتى الآن، إنه الرد الذي ربما لم يكن متوقعاً؟

- هل كانت عملية كبيرة لكن ليست ضخمة؟ بحيث تتجاوز الحد؟
- هل كانت عملية محدودة لغرض محدد؟
- هل كانت فعلاً لتحرير فلسطين والأقصى ودارت الدوائر؟
- هل كانت خدعة من المحور أو وقائية له؟
- لم تكن الأسئلة الكثيرة في أشد التحليلات سوءاً تتوقع شراسة العدوان الصهيوني المكلّل بعار القتل المبرمج والتدمير والتهجير وقصف الأطفال تحديداً، الذي أدى إلى تدمير كل مظاهر الحياة.

وإن كانت الصدمة الثانية وهولها كارثياً لا يقارنان البتة باليوم الأول، فإن عقل الفاشية الكامن قد أعلن عن نفسه بكل وضوح بعد أن كان يحاول أن يمرّ في أجسادنا وبين دروب القوانين الأممية ضمن أغطية عمّت على عيون الناس.

هول اليوم الثاني في حده الأقصى شكّل رعباً يومياً لم يشاهد مثله أحد على شاشات الفضائيات!

لقد كانت (مجزرة صبرا وشاتيلا) تتكرر كل يوم! فلكل طفل بقي على قيد الحياة - أو صبي أو شيخ او امرأة في فلسطين خاصة في غزة - مجزرته الخاصة! صبرا وشاتيلا في أيامها الثلاثة أذهلت العالم ببشاعتها، فما القول بمثلها كل يوم أو بضع يوم!

ميزان الأهوال الثلاثة

كانت الأهوال ثلاثة في الحقيقة: هول اليوم الأول، ثم هول الكارثة والصدمة العدوانية المرعبة ومعدل القتل المهول والإبـادة غير المتوقعة، أما الهول الثالث فهو ما هو قادم، وهول ما أحدث من آثار على الجميع ليصبح لكل طرف هوله.

عاش الفلسطينيون على جناحي الدولة المستقلة القائمة (تحت الاحتلال) هول العدوان الفاشي الذي لم يسبق له مثيل، شهدت على ذلك بشاعة العدوان والمجازر اليومية التي ظهرت في البث الحيّ والمباشر على الوسائل الإعلامية كافة، وربما لأول مرة في التاريخ، شهد العالم تفاصيل الجريمة وهي تحدث، كل ذلك في عصر وسائط التواصل الاجتماعي. حيث ظهر هول السابحين بين حطام التحليلات المضللة والتهييج الانفعالي الذي خضع له أغلب الناس الذين لم يعرفوا الى أين يلجؤون، فلجؤوا إلى من يحلل لهم ما يريدونه ليفكّ أزمتهم الذاتية بالتضامن والدعوات، رغبة في مسار جديد

وتحول مختلف، كل يراه من زاوية مختلفة، لكن الجميع عينه على استمرار الحياة.

الهول الثالث

في أتون الهول الثالث، هول صراع النفس، دارت معركة بين النظرة إلى حقيقة ما يجري والتغيرات الداهمة غير المتوقعة التي تنشأ على الأرض، تواصل صراع النفس والعقل في ضرورات كشف الحقائق، أو الإمساك عن ذلك، لماذا لأن المفاهيم العامة والمشاعر طغت على الحقائق فأمسك البعض وتماهى مع السائد، بمعنى أن يسمع التيار السائد من الناس ما يريد، فكتب البعض منتشياً! والآخر لامبالياً بالثمن الإنساني المهول الذي لم يسبق له مثيل في تاريخنا، وكتب بعضهم ما يظنه استمراراً لفكرة وآخر وفق رغبته وخامس ضمن مقارنات بين ما سبق وحادث لا مثيل له في التاريخ ظاناً انطباقات ما كانت ولن تكون!

ظهر بشكل جلي جحيم الصراع بين النفس والانفعالات وبين العقل والتقييدات الموضوعية، فمن جهة هي مستفزّة للمشاعر، ومن جهة أخرى واضحة المآل بنظرة واقعية!

إلى ما سبق، رغب الكثيرون في إغماض العين عن حقائق الاختلال الفظيع في مستويات القوة، فنظروا إلى الكارثة والإبادة بعين الأسطورة والخرافة أو بصورة الرغبة المتخيلة وكأنها أصبحت أو ستصبح الواقع.

كيف تم التعامل مع العدوان على غزة؟

بين هول المباغتة والمفاجأة وهول الرد الصاعق ثم هول مراجعات العقل، خاض مجتمعنا صراعاً بين نشوة نتائج هول اليوم الأول، والآثار الكارثية لهول اليوم الثاني، ليتم التعامل مع الحدث الكارثي الأكبر في هذا العصر بمزيج من الخوف وعدم القدرة على التعبير الحر والوقوع في التعبير المختلط بين موقفين، مما أدى إلى التنقل بين الفكرة العامة، والتفسيرات المفتوحة، في ظل غياب تام لمراجعات تتضمن الاختلافات والنقد لتوسيع مساحة النظر وتنوع القراءات، مما يسهم في خلق وعي بالأهوال وما لنا وما علينا من آثارها، من التردد إلى وضوح فكري وأقل منه سياسي، ولكن ما زال التردد.

أولاً: الخوف

مما لا شك فيه أن الخوف شعور طبيعي أمام الخطر، فمواجهة الوحش الهائج أولاً تسبقها حالة من الخوف أو الذعر، وهذا رد فعل طبيعي كما هو الحال مع أنواع الخوف الأخرى، لكن المشكلة تكمن في القدرة على التغلب على المخاوف أو معالجتها.

وفي حالة العدوان الهمجي على القطاع، كان الخوف مرتبطاً بأجهزة الرقابة التي تترصد كل كلمة لك سواء من خلال تطبيق "فيسبوك" الاستعماري/ الاستخرابي أو من أدوات التنصت

العدائية الإلكترونية، ما يعني أن الحذر هو المقابل للتعامل مع هذا الخوف. والحذر يشمل طريقة التعبير عن الرأي من جهة واختيار الكلمات من جهة أخرى كما استخدام الجمل المفتوحة أو المشرعة على الاحتمالات، واللجوء إلى العموميات والأسانيد والمراجع والاستشهادات دون مبالغة. إن الخوف قد يؤدي إلى الإحجام أو الإمساك عن الكلام أو الكتابة وقد يتحول إلى عامل تحفيز، لكن بمنطق الاتزان والحذر وتقدير الموقف، حين تكون الكتابة من فلسطين وهي تحت الاحتلال، وعليه يصبح للحذر معنى في ظل نظام صهيوني لا يعترف بالرأي الآخر في حين يقتل الآخر يومياً. وهذا الحذر خاصة في الأيام الأولى للعدوان خلال تشرين الأول ٢٠٢٣ كان من المتوجب الانتباه إليه جيداً، فقد خرجت الأفعى من مخبئها غاضبة ثائرة وبدأت تنفث سمومها في كل مكان.

الخوف من رقابة العدو والحذر، ورقابة العالم الاستعماري في ظل الرغبة في التعبير عن الرأي الموزون الذي لا يدانيه إلاّ خوف المزاج الشعبي العام، خاصة أن التهييج الفضائي كان هو الغالب.

لم تكن المشاهد الكارثية إلا زيتاً يُصب على نار القلوب المحترقة أصلاً من احتلال استعماري له من السنوات ما يقارب المائة عام، وعليه لم يكن العربي الحرّ أو الأجنبي الحر أو الفلسطيني ليحتاج إلا لمثل هذا الزيت.

وما كان من أدوات التواصل الاجتماعي إلاّ أن حملت دلاء الزيت فأثارت في القلوب والنفوس الكثير من الحنق والكثير من الألم، فهناك من وجد ضالّته وهناك من ضلّ.

ثانياً: الإمساك المؤقت عن الكتابة

أمسك الكثيرون عن الكتابة كلياً لأنهم لم يستطيعوا كتابة كل ما يريدون، فليس كل ما تفكر به يجب أن يُكتب وليس كل ما يُعرف يقال، وليس كل ما يُقال، يقال باللهجة أو الجُمل نفسها في كل آن، وهناك من القول ما يخصّ وفيه ما يعمّ، وفيه ما وجب أن يكون مفتوحاً للتأويلات أو التفسيرات. ومن هنا كان الإحجام يتعارض مع فعل الإقدام ليأتي التوازن ولو على حساب عموم الفكرة وهو ما كان.

ثالثاً: التعبير المختلط بين موقفين

في التعبير المشوّش أو المختلط تذوب الفكرة الأصلية بين ثنايا النص الذي يأخذ المعنى الإجمالي أو معنى التعميم بعيداً عما يتوقعه الناس من الموقف المباشر (مع أو ضد) وفي التعبير المختلط يبرز النقد لأنني لم أكن أرغب حين النقد لأمر ما يحصل في غزة من بعض المواقف أن أنقده مباشرة، فلجأت إلى الأمثلة والنماذج التي سبق ذكرها ومقارنتها مع تأكيدي الدائم أن السياسة مياه جارفة أو هادئة لكنها أبداً تبقى متحركة قد لا تستجيب للأفكار إن تكلست أو تجمدت.

تشوشت أفكاري أحياناً حين أصبحت الفكرة واضحة جليّة لديّ، ولكن لا يمكنني التعبير هنا مع قناعتي بمعاكسة التيار الشعبي المنفعل، وضرورة عرضها وفي ذلك ربح وخسارة، لكني غالباً ما اخترت الإمساك والامتناع، أو التعميم كما ذكرت أو دخلت في فناء التشويش الخلفي.

رابعاً: التنقل بين المداراة، والفكرة العامة، والتفسيرات المفتوحة

ربما هذه النقطة بنيت على سابقتها أو نتيجة لها، وهي في ذلك إلى التعميم والفلسفة تتجه كما سبق أن ذكرنا، لأن بها نشدان السلامة وخصوبة التعبير دون الخوض في تفاصيل الموقف المتوجب اتخاذه وهو ما لا يلقى قبول الغالبية التي تم تجييشها.

خامساً: مراجعات متضمّنة الاختلافات والنقد، وتفكيك الثوابت وتوسيع مساحة النظر وتنوع القراءات

هنا في هذه المرحلة توضّح ثبات المنهج الكتابي بضرورة النقد والمراجعة. واعتبار ذلك قاعدة لا تنازل عنها، ولم يكن ذلك بشكل مباشر في كثير من الأمور في البداية، أو بتوجيه الاتهام المباشر لطرف معين، ثم بدأت الكارثة تكبُر والنقد يكبر. وفي هذه النقطة كان العامل الأساس هو النظر في الآتي:

- **نوع ردود الفعل بين قبول ورفض** وتقديس عاطفي ديني، وعدم الرغبة في قبول ما يجرح الفكرة للآخر! لاسيما أنها أدخلت في مساحة التنزيه الخطر والتقديس العجيب الذي يجب التصدي له.
- **حجم الفعل ورد الفعل**، حيث توارثت الأقلام المؤيدة لمعركة الطوفان كما أسميتها الدفاع عن الفعل الأول، وعن غياب النظر الواقعي لنتائج الفعل الكارثية المهولة وكأن الفعل مهما كانت نتائجه المهولة على البلد والناس يصبح حالة عصيّة على النقد!؟ ومَن قام بها، لسبب اتصاله مباشرة بالعدو! مع أن القائم بالفعل على شجاعة الفعل الأول، أي فصيل "حماس" له من الفكر السلطوي والسياسي ما يسعي لتحقيقه جاهداً، ولم يأخذ في أتونه لا الناس ولا احتلال القطاع وتدميره كلياً.
- **المقارنات الظالمة** حيث تم الاستناد الجزئي لدى البعض للاقتباس من ثورات حروب ماضية لم يكن الاقتباس صادقاً لاسيما مع اختلاف الظروف والعوامل الداخلية والخارجية كلها، خاصة أن الكارثة أو المقتلة لم تكن قد حصلت لنا منذ النكبة عام ١٩٤٨ والمقارنات هنا وصاعداً تبدأ بما يحصل الآن وليس بما حصل.
- **سقوط العقل بين براثن الانفعالات العاطفية**، ما جعل من قراءاتي تتعدّد وتتنوع لمحاولة الفهم الأعمق فوجدت من اقترب مع مأ أقول في ما يتعلق بالحرية والعقل والنقد والمراجعات وحق الاختلاف بلا إيذاء.

- **سوء الإدارة وفقدان القرار المتزن**، وفي خضم كتابتي هذه الورقة قرأت للكاتب صادق عبد الرحمن مقالاً عن الطغيان ومقاومته ما يثري الفكرة هنا إذ قال إن "حماس ليست «ردّ فعل طبيعي» على العدوان، بل هي تنظيم مسلّح لديه حلفاء ومشروع سياسي، وسلطة يمارسها على سكّان قطاع غزة منذ نحو ١٧ عاماً، ولديه قبل ذلك وبعده داخل غزة وخارجها شبكات وخطابات وسياسات، تعمل عليها قيادةٌ لديها مطامح ومصالح وتكتيكات أوصلتها إلى كسب الانتخابات، وإلى التأثير بقوة في المسارات السياسية لشعب بأكمله."

سادساً: من التردد إلى وضوح فكري وأقل منه سياسي

كانت البداية مع الخوف من التعبير المكتمل عن الرأي ما أدى في محطات معينة إلى الامتناع والإمساك، أو عدم القدرة على التعبير الحر، أو كان من التعبير أن اختلط أو تشوش بين موقفين، وربما اشتملت بعض الآراء والمقالات التي طرحتها على حالة من التنقل بين المداراة، والفكرة العامة، والتفسيرات المفتوحة.

أصبح الوضوح النسبي سمة خاصة في ما يتعلق بنقد بعض مواقف القيادات الوطنية عامة من جهة، ومواقف قيادات "حماس" الكارثية، واستغلالها عدداً من المفاهيم بشكل خطير وبعض المصطلحات في ثوب تقديس الذات! هذا الوضوح النسبي في مقالاتي وإن جاء على جناح الاحترام فقد لقي الهجوم والقباحة والهجوم الشخصي وليس لذات الموضوع المطروح، وإنما كما هي العادة بالشتم والخروج عن أدب الحوار والاختلاف المرتبط مع فريضة التفكر الإلهية.

ومع تواصل الحدث واستقرار الفكرة الملحة أي الحق في الحوار والنقد لأي كان ولأي موقف استجابة لمبدأ الحرية التي يجب عدم التفريط بها ومنها حرية الرأي ككاتب كانت المراجعات والنقد يتقدم بمواجهة مواقف حركة فتح كما الحال في مواجهة مَن قُدست مواقفهم حتى الخائبة أو البائسة أي فصيل حماس. وعليه كان النقد وحرية القول ضمن المراجعات أساساً فكك ما اعتبره البعض ثوابت وتم توسيع مساحة النظر حتى وصلنا بالنقطة السادسة إلى وضوح المنهج الفكري وفي مقدمة لوضوح الموقف السياسي.

سابعاً: المساهمة في تغيير الوعي

كان لابد للكاتب أن يتخذ قراره في سياق تواصل الجهالة، وتواصل افتراض البعض السياسي والإعلامي والجماهيري المنتشر امتلاك الحق المطلق والصواب الأوحد وتواصل التقديس! وكل يغذي الآخر. فكلما زاد عمق الضحالة الفكرية كانت الجهالة نعمة لدى هؤلاء المتحكمين بالعقول، فيرفعون أنفسهم فوق أعناق الناس ليتسيّدوا وكأنهم فصل من فصول النبوة، المحرم مراجعة أقوالها وأفعالها

حتى لو كانت فعلاً زاد على ١٠٠ ألف ضحية، وهنا تقع الخطورة وتبرز حالات استحمار الناس.

إن الفصل بين المفاهيم والمصطلحات والمواقف وتوضيحها ودرجاتها والفروق بينها أصبح واجباً. وهو ما ذكرته وتصديت له وتعرضت له في مقالاتي، التي جمعتها لاحقاً في كتابي الذي سيصدر قريباً بإذن الله عن النقد والتفكير في ظل الكارثة على أرضنا وشعبنا في فلسطين وغزة.

كان من المتوجب أن يتحدث أحدهم خارج نطاق السياسة اليومية القمعية، التي يفهمها الكثير ضمن منطق هل توافق على كذا أم ترفض؟ وعليه ناقشت النظرة السائدة والاستغفال في ما هو مثل مصطلحات الشهادة والثورة والمقاومة والتفكير والنقد... .

إن حالة تغيير الوعي السائد في ظل هيجان وتجييش إعلامي وفي ظل نفوس ثائرة وحالات غضب يصبح تعاملاً مع عكس التيار، كما إن النقد والمراجعات في أتون المعركة أو العدوان عند البعض يعتبر من المحرمات حتى لو مات كل الشعب، كما أضافوا للمحرمات منع مناقشة الإستراتيجيات والتكتيكات التي لا يقبل حين التعرض لها إلا التصفيق وإعلان البهجة!

لذا وجب التصدي لمناهج التفكير، والانتقال من حالة الخوف والإمساك إلى حالات التبيّن والتوضيح مساهمةً في ما هو حق لا يجوز قط التنازل عنه، أي الحرية النضالية، ومنها ممارسة النقد والنقد الذاتي والمراجعات التي كاد المؤدلجون والتقديسيون لأفعالهم يدفنونها تحت ركام غزة والدماء العزيزة التي نزفت حيث لا بواكي.

الهويات المتخيّلة والعنف الرمزيّ

أ. عبد الله زماري*

في مقهى شعبي بمدينة رام الله كنت أدخن نارجيلتي وتصلني أحاديث من بعض الطاولات المجاورة، حيث تفتقر هذه الأماكن غالباً إلى الخصوصية، فلا أحد يهمس، بل يتناقشون ويسردون بصوت عادي يمتد أمتاراً، على خلاف الكافيهات التي تكون الرؤوس فيها متقاربة تتبادل الهمس أو الحديث الهادئ. المهم أنني سمعت أحدهم يقول بنبرة تحدّ: "قلتلك بتقدروش علينا، هي جبنا فيكم ثلاث جوال، ولولا الحكم معكم كان صرن خمسة والّا ستة". سألت النادل: مع أي فريق يلعب الأخ إذا بتعرف؟ (وكنت لوهلة أعتقد أنه لاعب في إحدى أندية الدوري الفلسطينيّ). ضحك نادلنا البشوش، وقال: "بِلعبش، بس بشجع الريال". فغمزت إلى الشاب المتحدث بعيني وقلت له: "شكلكم كاينين محضرين فريقكم للمباراة مليح؟". فانتشى وقال": "آه، نزلنا فلان عالهجوم وعززنا خط الوسط بفلان، وضغطنا على فلان (وهذا الفلان طبعاً لاعب هداف في الفريق الخصم)، والسنة الدوري إلنا".

كيف أصبح مشجعٌ فلسطينيّ يتحدث بهذا الانخراط والانتماء إلى فريق إسباني؟ فلا أحد من لاعبيه يعرفه، أو سمع باسمه، ولو ذهب إلى الملعب لن يدخلوه، ما لم يشتر تذكرة المباراة.

البحث عن الهوية الاجتماعية

يتشكل جزءاً كبيراً من هويتنا من خلال المجموعات الاجتماعية التي ننتمي إليها، البلد

* باحث في الإعلام والرأي العام.

الذي نأتي منه، أو الطبقة الاجتماعية أو العائلة التي ننتمي إليها، الحزب السياسي الذي نؤيده، أو فريق كرة القدم الذي نشجعه، أو حتى ما نأكله (نباتيون، أم لحميون). هذه المجموعات هي مصدر فخر واحترام للذات، تجعلنا نشعر بالأمان، وأننا ننتمي إلى ذات أكبر، تعزز احترامنا لذاتنا، ونكون فخورين بعضويتها.

لسوء الحظ، نحن لا نتوقف عند الشعور بالانتماء إلى مجموعة، بل نميل إلى المضي قدماً في "التصعيد والمبالغة" ونبدأ رؤية مجموعتنا (نحن) على أنها أفضل، ونميز بين الأعضاء الخارجين عن المجموعة (هم) لتحسين صورتنا الذاتية، نقوم بتعزيز صورة مجموعتنا (الفصيل أو التنظيم الذي ننتمي إليه بأنه التنظيم الأفضل!)، ونشرع في التمييز ضد المجموعات الأخرى (التنظيمات والفصائل الأخرى ليس لها تمثيل حقيقي في المجتمع)

إذا واجهت تحدياً أو صراعاً صعباً، فربما شعرت بعقلية "نحن ضد هم". فمهما كان مصدر التوتر، فإنه يقودك لاتخاذ موقف دفاعي، ستشعر على الفور بالحاجة إلى تعزيز نفسك، من خلال تحديد الطرق التي تكون فيها أفضل مما تواجهه (المجموعة الأخرى)، وهذا قد يؤدي إلى تحيز عميق ضد الآخرين.

نحن نميل بشكل طبيعي إلى تصنيف الناس إلى فئات، وعندما نفعل، فإن ذلك يساعد عقلنا على معالجة أين وكيف نتلاءم مع المواقف الاجتماعية المختلفة، وتشمل الطرق التي نجمّع "نصنف" بها الأشخاص ما يلي: الدين، العرق، الموقع الجغرافي، الطبقة الاجتماعية، الحزب السياسي، مجموعات الرأي...، وتمر هذه العملية بثلاث مراحل حسب النظرية:

المرحلة ١: التصنيف الاجتماعي

نحن نرى العالم كمجموعات اجتماعية، ونرى الناس كأعضاء في هذه المجموعات، لاحظ فقط كيف نقدم أنفسنا عادة للغرباء: مرحباً، أنا يوسف من جنين، أنا روان من جامعة بيرزيت، أنا ربيع أستاذ تاريخ... .

المرحلة ٢: تحديد الهوية الاجتماعية

لأننا نرى العالم كسلسلة من المجموعات الاجتماعية المختلفة، فإننا نتماثل تلقائياً مع بعضها ولا نتماثل مع الآخرين، فنرى أنفسنا أعضاء في مجموعة اجتماعية (أو أكثر حسب الموقف) ونتصرف على هذا الأساس.

المرحلة ٣: المقارنة الاجتماعية

قارنّا هذه الفئات الاجتماعية، إذا كانوا مجموعات ننتمي إليها، فإننا نركز على الخصائص التي توحدنا، وإذا كانوا مجموعات لا ننتمي إليها، فإننا نركز على الميزات التي تميزنا عنهم، أو الميزات التي تجعلهم مختلفين.

كيف نستخدم "نحن ضد هم"؟

في أي وقت تشعر فيه بالتهديد، أو التوتر من شيء ما، فأنت تريد أن تشعر بالتفوق والقوة وأنك أفضل ممن تواجه، تريد أن تشعر بتحسن تجاه نفسك، علماً أن تصنيف الأشخاص ليس بالضرورة أمراً سيئاً، إلى أن تستخدم هذه التصنيفات لاستبعاد الأشخاص، حتى دون قصد من دائرتك.

أنت تضع نفسك في مجموعة واحدة و"عدوك" المتصوّر في مجموعة بديلة، ثم تقول لنفسك إن المجموعة التي أنت فيها هي الأفضل والمجموعة "الأخرى" هي التي تسبب المشاكل، أو أنها أقل قدراً، (مثال مشجع الريال في بداية المقال)

حتى الأشخاص الذين تم تقسيمهم إلى مجموعات بناءً على ميزات غير مهمة مثل لون العين، أو حوادث عشوائية مثل رمي العملة المعدنية، يبدؤون على الفور في إظهار سلوكيات تفضل أعضاء المجموعة والتمييز ضد الأعضاء خارج المجموعة.

يدفعنا تأثير تجانس المجموعة الخارجية إلى إدراك أن أعضاء المجموعة الخارجية أكثر تشابهاً وأكثر تجانساً من أعضاء "مجموعتنا".

التحيز رقم ١: الصورة النمطية

في المواقف القصوى، لأن مكسيكياً سرق متجراً مرة واحدة، فهذا يعني أن "هم" جميعاً لصوص، أو أن جميع المسلمين إرهابيون انطلاقاً مما يعرف بالإسلاموفوبيا، فقد فجر مسلمٌ ما مكاناً قبل سنوات، وهذا يعني أن "هم" جميعاً إرهابيون.

التحيز رقم ٢: المبالغة والأحكام المسبقة

الأمثلة المذكورة أعلاه هي بالطبع أمثلة على الصور النمطيّة التي نعرفها جميعاً جيداً. وهي ليست أكثر من معتقدات مفرطة في التعميم حول فئات معينة من الناس. وهنا تنشأ المشاكل عندما لا ندرك أن مثل هذه الصور النمطية هي مجرد اختصارات عقلية - نوع من التحيز المعرفي - ونبدأ بالمبالغة فيها.

التحيز رقم ٣: الإدراك الانتقائي

الإدراك الانتقائي: هو ميلنا إلى تجاهل المعلومات التي تتعارض مع معتقداتنا ونسيانها. ونتيجة لذلك، حتى لو رأينا سلوكاً إيجابياً يظهره عضو من خارج المجموعة، فإننا لا ننتبه إليه، وبدلاً من ذلك، فإننا نخرج هذا التصرف من أذهاننا أو نقوم بتبريره بطريقة أو بأخرى، على سبيل المثال، نرفضها باعتبارها حالة استثنائية، مما يفقدها أهميتها.

التحيز رقم ٤: التحيز التأكيدي

الانحياز التأكيدي: هو ميلنا إلى تفضيل المعلومات التي تؤكد توقعاتنا ومعتقداتنا الحالية، بصرف النظر عمّا إذا كانت المعلومات صحيحة أم لا. ويدفعنا هذا للبحث عن المعلومات في المصادر التي تؤكد آراءنا.

الإعلام هذا العدو الحميم

ليس هذا النهج من السلوك والتفكير حديث النشأة والظهور، وإن كانت التسمية والنظريات التي تناولته حديثة، فربما صاحب هذا النهج النشاط البشري منذ أن بدأ الإنسان حياة الجماعة، وبدأت الأسرة والقبيلة تهيمن على الجو الاجتماعي العام، فقد توارثت العرب على سبيل المثال أقوالاً تؤكد وجود نهج "نحن ضد هم": "وهل أنا إلا من غزيّة إن غوت ... غويت إن ترشد غزيّة أرشد"، و"كل فتاة بأبيها معجبة"... من أقوال وقصص تؤكد التعصب لعائلة أو عشيرة ضد أخرى، سواء لدى العرب أو لدى العجم، فالإسبارطي محارب متهور لا يستمع إلى المنطق في نظر الأثينيين. والأثيني لا يصلح للحرب وقادته يرتدون الأثواب البيضاء ويدّعون الحكمة في نظر الإسبارطيين، ولسنا بصدد سرد أمثلة تاريخية إلا بهدف الإيضاح.

لقد شكل الإعلام حاضنة مؤججة لهذا النمط من السلوك والتفكير منذ قديم العصور، ولهذا ربما نشأ ونما شعر الفخر والهجاء، في الوقت الذي كان فيه الشعر أحد أبرز وسائل الإعلام والتأريخ لمراحل وأحداث عاصرها الشاعر، ودونها شعراً، إما متطوعاً، أو مستأجرا، لتنتقل عبر البلاد والعباد.

مع تطور المدنية وما واكبها من تطور في وسائل الإعلام، وانتشارها وتنوعها، أصبح دور الإعلام أكثر تأثيراً وشراسةً، فقصيدة الهجاء استغرقت أشهراً وربما أعواماً لتحقق بعض الانتشار الذي تحققه تغريدة ما خلال دقائق معدودة إن لم يكن ثوانٍ، وتحصل على استجابات مؤيدة ومتبنية للمعنى من جماعة "نحن"، بينما تحصل على استجابات مستنكرة رافضة من جماعة "هم"، ليس هذا فقط، بل إنك أصبحت لا تعلم من كتب التغريدة نظراً لصفة المجهولية في وسائل الإعلام الحديث، في الوقت الذي كان اسم الشاعر أو الحكواتي يسبق قصيدته أو سرديته، وإضافة لبعض خصائص الإعلام الحديث إلى جانب المجهولية، هناك السرعة، والتفاعلية، واتساع مدى الانتشار، إضافة للقدرات الممنوحة للمستخدمين من أجل إغراق وعي المتابعين وحواسهم بآلاف التغريدات والأخبار "صادقة وكاذبة"، فقد زادت مظاهر استقطاب المجتمعات، وتنوعت القضايا التي تقود إلى هذا الاستقطاب أو تؤججه، فبعد أن كان التماهي مع القبيلة أهم الأسباب وأكبرها، وربما كان السبب الوحيد منذ عقود مضت، أصبح الاستقطاب يشمل قضايا واسعة ومتنوعة، لكن بعقلية القبيلة نفسها الموروثة في المجتمعات البشرية، متقدمةً أكانت أم بدائية"، لنجد الأمر تحول من قبيلة النسب بالدم، إلى قبيلة إلكترونية، لا يعرف أفرادها معظم الأفراد الآخرين، لكنهم يتبنون الأفكار نفسها نحو قضية ما، وربما كانت هذه الأفكار هي المشترك الوحيد بينهم، فلا يجمع

بين موزمبيقي وفلسطيني وإكوادوري، سوى تأييدهم فكرة ما أو تشجيعهم فريقاً رياضيّاً، إلا أنهم يمارسون السلوك نفسه بمدىً أو بآخر، وهذا ينطبق على الأفكار الاقتصادية والدينية والسياسية.

متابع منصات التواصل الاجتماعي ومستخدميها العرب يلاحظ منذ فترة ليست بعيدة تنامياً شرساً لنهج "نحن ضد هم"، فيجد أن التراشق المبني على الجنسية أو الطائفة سيد الموقف حول أيّ موضوع حوار، فتكفيك ثلاث دقائق بالمتوسط (حسب ملاحظاتي) كي يتحول النقاش إلى تراشق كلامي يصل إلى التخوين والتجهيل، ومعايرة الجنسية الأخرى بنقائص دولتها، حتى لو كانت هذه النقائص متخيلة في ذهن شريحة واسعة من جنسية عربية أخــرى، وصل الوضع من السوء والخطر، إلى المستوى الذي بات فيه خطاب الكراهية، والعنف الرمزي، يشكل عصب حركة الحوارات على المنصات التفاعلية، بحيث أصبح أي حديث عن وحدة عربية حول قضية ما مجرد خيال، والحديث عن قومية عربية واحدة نكتة فانتازية سمجة، يضحك عليها الصديق والعدو على حد سواء.

فلسطينياً، يبدو أن الوضع أسوأ، فقد لا نجد ما يشترك فيه العرب سوى اللغة التي يتكلمونها، وبعض العادات المتشابهة، لكننا في فلسطين، من المفترض أننا نتشارك في ما هو أعمق وأهم، وهو الوجع الناتج عن الاحتلال كوجود يعمل على إلغاء وجودنا كشعب، وممارسات الاحتلال القمعية والعنصرية تجاه كل ما هو فلسطيني سواء كان بشراً أم حجراً أم ثقافة أم تاريخاً.

شكل الاستقطاب جزءاً من بنية المجتمع الفلسطيني، أسوة ببقية مجتمعات العالم، وأتحدث هنا عن الاستقطاب السياسي، لكن النقلة الأسوأ حدثت بعد الانقلاب الدموي في قطاع غزة وما تبعه من انقسام، فلم يعد انقساماً سياسياً حول حزبين يتنازعان السلطة، بل وصل الأمر إلى وجود حالة من الانفصال بين أنصار التيارين، سياسياً، فكرياً، جغرافياً، وجوانب أخرى كثيرة، انفصال عززته جولة العدوان الوحشي الحالية على قطاع غزة، حيث تنامى الاستقطاب، والعنف الرمزي، إلى مستويات تنبئ بالخطر، حيث ليس عليك إلا أن تدخل بثاً على "تيكتوك" ذي محتوى سياسي أو اجتماعي، أو أن تدخل إلى مجموعة حوارية في إحدى منصات التواصل الاجتماعي، حتى ترى كم يبدع "نحن" في كراهية "هم" أو العكس، وكيف يمتلك كل طرف القدرة على التمترس خلف آرائه وأفكاره، مغلقاً عقله تماماً، أمام أي رأي أو خبر، أو معلومة لا تتماشى مع ما يعتنق من أفكار وآراء، وكم يصبح هذا الطرف أو ذاك عدوانياً جداً، وعنيفاً تجاه من يتبنى رأيا مخالفاً، أو يتموضع في مجموعة "هم".

يشكل التراشق الإعلامي، المحشوّ غالباً بخطاب الكراهيّة، سمة بارزة من سمات منصات التواصل الاجتماعي، العربية والفلسطينية، وقد يتفاجأ المرء بحجم هذا التراشق المتنامي يومياً، وهو أمر بالضرورة لا بد أن تتم دراسته بمنهجية علمية، لعل الأمر يوصلنا إلى حل يجنّبنا كفلسطينيين ويجنب نظراءنا العرب تحوّل العنف الرمزيّ إلى عنف مادي ينتقل من الشاشات إلى الشوارع.

نرى أن الأمر أصبح مدمراً، وتتنامى الخشية من أن الوقت يمضي بسرعة، نحو نقطة يصبح الحديث فيها عن وحدة فلسطينية، سيناريو ضعيفاً في مخيلة "نحن" و"هم"، بينما يقبع العدوّ في ركنه الخاص مقهقهاً، يقتل مزيداً من "نحن وهم" ويصادر مزيداً من الأرض، ويضيّق هنا، فيشمت هناك.

كيفية التغلب على "نحن ضد هم"

الأمر ليس سهلاً، فهو يحتاج بالدرجة الأولى إلى مستوى مرتفع من نضج الشخصية ونمط التفكير، لكن هناك بعض التكتيكات التي قد تساعد في التخفيف من آثار هذا النمط السلوكي، لن أخوض في هذه التكتيكات هنا، فمشوار إلى "جوجل" سيظهر كثيراً من المقالات التي تناولت الموضوع خاصة باللغة الإنجليزية، لكني سأقول في الحالة الفلسطينية: حبذا لو ننضج جميعاً إلى الدرجة التي نبحث فيها عن نقاط التشابه أكثر من ابتكارنا نقاط الخلاف والاختلاف، حبذا لو تذكرنا أننا جميعاً تحت احتلال عنصريّ استيطاني يستهدف الوجود الفلسطينيّ ككل، وربما أتفاءل قليلاً وأقول: حبذا لو تذكرنا أن هناك تناقضاً جوهرياً وحيداً هو تناقضنا الوجودي مع الاحتلال، حتى نصل إلى التحرير، وبعدها لو أكل بعضنا بعضاً، فسنجد حلولاً وقتها، لكن على الأقل دون شماتة وتخطيط من عدونا المباشر ومشتقاته، وحلفائه.

من قرية تل الفلسطينية إلى العالم

أ. رائد فارس*

حينما بدأ الحديث عن قرية تل، وكيفية تعريفها على ويكيبيديا بمعلومات في الغالب كانت خاطئة، واستهجان أهالي القرية هذه المعلومات وكيفية وضعها على المنصة، أثارت هذه القصة فضولنا وبدأنا البحث عن قرى ومدن وأحداث وشخصيات تاريخية لنكتشف أن المعلومات بمجملها بحاجة إلى تصويب ومصادر لتعديلها.

قادنا ذلك إلى السؤال: أين المحتوى الفلسطيني الذي سيعبر عن روايتنا الفلسطينية التي يجب أن تنشر للعالم عوضاً عما هو منشور ومتداول؟

بعد دراسة المحتوى على الموسوعة العربية، تبين أن الرواية الفلسطينية منذ فجر المشروع الاستعماري الحديث في فلسطين تتعرض إلى تشويه مقوماتها واستلابها وتحريف الحقائق وتزييف الوقائع وتعميم رواية مضادة تُخفي كل الحق الفلسطيني عن منصات النقاش.

لقد دأبت الحركة الصهيونية على صناعة سردية مزيفة حول الحق اليهودي في بلادنا وتعميم هذه السردية ودعمها بشواهد لاهوتية وديماغوجية لم تثبت الآثار أياً منها، ومع ذلك باتت هذه السردية جزءاً من وعي العالم الغربي عن المنطقة. تبعاً لذلك جرت موضَعَة هذه السردية الصهيونية المضادة في مركبات المشروع الاستعماري الغربي الذي وجد في سيطرته على المنطقة فرصة لإشباع رغباته

* محرر ويكيبيديا، مدير عام الرواية والمحتوى الرقمي في وزارة الثقافة.

بإقامة كيان غريب في فلسطين يلبي توجهات تلك السردية ويخدم مصالحه.

نتج عن هذا تداعيات خطيرة يواجهها وجود الشعب الفلسطيني عن أرضه حتى بعد طرده التعسفي إثر المجازر على أرض آبائه وأجداده. لقد استخدم الاحتلال كل أشكال التزوير وباتت روايتنا الوطنية تواجه واقعاً صعباً، إذ باتت شبه مغيبة عن النقاش والجدل وبات غيابها جزءاً من إثبات الرواية المضادة. بل إن الكثير مما يتداول عن الحق الفلسطيني والواقع الفلسطيني تنتجه ماكينة مضادة تهدف إلى حرف مسار أي نقاش حول هذا الواقع وما يرتبط بذلك من حقوق سياسية وقانونية وتاريخية. عبر هذه الجهود المنهجة والمنظمة يتم إفراغ أي معلومة عن فلسطين وشعبها وتاريخها وواقعها من حقيقتها وتطويعها مع الوقائع الجديدة التي نجمت عن سرقة فلسطين وطرد أهلها.

يجب أن يتأسس أي نقاش عن الرواية الفلسطينية على لحظة مفصلية تشكّل الفقرة الأكثر قسوة في تاريخ الصراع والرواية والحروب التي تشن ضد الشعب الفلسطيني وهي النكبة، التي لم تكن مجرد حدث إجرامي فقط، وإنما كانت الإعــلان الصريح عن حرف بوصلة الحقيقة عن فلسطين وتشويه هذه الحقيقة، وبالتالي فإنها تتويج للحرب على رواية الشعب الفلسطيني عن بلاده وحقه التاريخي فيها.

من جانب آخر، هناك عدم حضور فعلي للرواية الفلسطينية في المنصات العالمية بسبب هيمنة الخطاب الصهيوني من جهة، وبسبب قصور الجهود المبذولة لتطوير الرواية وتعزيزها وتعميمها. فهناك غياب لرواية تاريخية ذات عمق خالص في المؤسسة البحثية الغربية والعربية والفلسطينية وما يبذل من جهد مشتت وغير متوافق يستند إلى مقولات تاريخية أسستها الرواية المضادة المزيفة.

يتعرض المحتوى الرقمي الفلسطيني للملاحقة ومحاولات الهيمنة والمنع من الانتشار. ومع ذلك فإن التحولات في وسائط التأثير والتحولات في قنوات التواصل توفر فرصاً يمكن استثمارها من أجل إعادة التوازن ونشر الرواية الفلسطينية بعد تطويرها وصياغتها بغية تظهيرها بشكل لائق يدعم الحق الفلسطيني.

كان غياب برنامج وطني شامل للحفاظ على الرواية وتعزيزها السبب الرئيس وراء هذا النقص والتراجع في حضورها. وربما كان انشغال الشعب الفلسطيني بتبعات النكبة وتشريده وإعادة لملمة شتاته والانبعاث من رماد النكبة إلى جمر الثورة وبعد ذلك الانخراط في القتال اليومي والكفاح العام من أجل إعادة موضعة فلسطين على الطاولة السبب وراء عدم الالتفات إلى وجوب تطوير رواية متكاملة تسند الحق والنضال التحرري.

مع ذلك، فإن حقيقة أن فلسطين لم تختف ولم تزل ولم يندثر شعبها هي أول الدلائل

على ولادة الرواية الفلسطينية وعدم هزيمتها. فالنكبة لم تحقق شعارها بنفينا من التاريخ والواقع.

لقد نجح الشعب الفلسطيني عبر كفاحه وتمسكه بأرضه وقضيته وحقه في أن تظل حكايته موجودة ليس كخرافات وحكايات قبل النوم وإنما كحقائق تتناقلها الأجيال. فلم ينس الصغار بل باتوا أكثر تمسكاً بذاكرة الكبار. وُجدت الكثير من الجهود وكان الكثير منها فردياً أو عبر جمعيات ومراكز أبحاث ومؤسسات وجامعات ونواد وتجمعات لاجئين أو محاولات وطنية متنوعة، لكن لم يوجد جهد جامع قادر على أن يتسم بالمنهجية والتكامل والاستمرارية برؤية أكثر شمولية تجاه تدعيم النضال الوطني.

استناداً إلى كل ما سبق أصبحت الرؤية واضحة لما نريد، واعتمدنا في البداية على جملة من القواعد المعرفية المتعلقة بالرواية الفلسطينية:

١. الرواية الفلسطينية، حقيقة دامغة، ليست مخترعة أو مصطنعة، فهي مسنودة بشواهد وأدلة أصيلة، لكنها بحاجة إلى أن تصل إلى البشرية وأحرار العالم في كل مكان، وتوثيقها لتصل إلى الأجيال القادمة.

٢. هي تعبّر عن حكاية الإنسان الفلسطيني وهويّته عبر التاريخ القديم والحديث.

٣. تضع الفلسطيني في مكانه الحقيقي، كمحرّك أساسي في نهضة العالم منذ نشأة التاريخ.

٤. تصُوّر الفلسطيني ضمن المواصفات التي نشأ عليها وعلاقته بالمكان والحضارات المتعاقبة على البلاد.

٥. تتناول فلسطين والإنسان الفلسطيني بوصفهما جـزءاً لا يتجزّأ من الأمة العربية والحضارة العالمية.

٦. التراث الفلسطيني يحمل بين محطاته خيوطاً ذهبية تضيء مستقبل القضية الفلسطينية، وهو بحاجة إلى عناية خاصة.

تمثلت صدمتنا الأولى عملياً في عدم وجود مجتمع ويكيبيدي فلسطيني، فعدد المحررين الفلسطينيين في ويكيبيديا لا يتعدى عدد أصابع اليد الواحدة، وهم مشتتون يقومون بدورهم الويكيبيدي فقط دون ربط هذا الدور بالمشروع الوطني في تعزيز الرواية الوطنية الفلسطينية بشكل ممنهج لنشرها وتعزيزها في الموسوعة الحرة، وبالتالي توفيرها للباحثين عن المعلومة.

لماذا ويكيبيديا دون غيرها ؟

كان السبب الأول هو أن ويكيبيديا مكان توثيقي يشكل مصدراً معرفياً، وهو مكان للمعلومة وليس لوجهة النظر الشخصية، ومن الأسباب المهمة أيضاً أنه لا يوجد شخص يمكنه

حذف المعلومة دون أسباب، وهذا مختلف تماماً عن فيسبوك أو يوتيوب أو وسائل التواصل المختلفة المتحيزة التي بإمكانها شطب أي موقف يختلف مع سياستها، فويكيبديا هي موسوعة حرة متنوعة ومحايدة متعددة اللغات تضم أكثر من ٣٠٠ لغة، يستطيع الجميع المشاركة في تحريرها، وهي سادس أكبر المواقع على الإنترنت.

وللعلم، فإن ويكيبيديا العربية هي النسخة العربية من موسوعة ويكيبيديا، وقد انطلقت في ٩ تموز ٢٠٠٣ وتحتوي على نحو ١,٢٣٦,١٤٣ مقالة، مما جعلها تحتل المرتبة الثالثة بين اللغات الأخرى عام ٢٠٢٢ من حيث عدد المقالات. أما في ما يتعلق بالزيارات، فإن ويكيبيديا العربية تتلقى نحو ٣٠٠ مليون زيارة شهرياً، وتعد ويكيبيديا من أهم الموارد على الإنترنت، علاوة على أنها تلعب دوراً كبيراً في نشر المعرفة وتحسين الوصول إلى المعلومات عالمياً لأسباب عدة:

١. **الوصول المجاني:** توفر ويكيبيديا محتوى مجانياً يمكن لأي شخص الوصول إليه دون الحاجة إلى دفع أو اشتراك، مما يعزز من انتشار المعرفة.
٢. **التحديث المستمر:** يمكن للمستخدمين تحرير المقالات وتحديثها باستمرار، مما يجعل المعلومات أكثر حداثة مقارنة بالمصادر التقليدية.
٣. **تنوع المواضيع:** تحتوي ويكيبيديا على مقالات تغطي مجموعة واسعة جداً من المواضيع، من العلوم والتكنولوجيا إلى التاريخ والفنون.
٤. **المجتمع التعاوني:** يعتمد محتوى ويكيبيديا على مساهمات المستخدمين حول العالم، مما يساعد في توفير وجهات نظر مختلفة وتحسين دقة المعلومات.
٥. **الشفافية:** يمكن للمستخدمين رؤية تاريخ التعديلات ومعرفة المصادر المستخدمة، مما يساعد على تقييم موثوقية المعلومات.
٦. **التعليم والبحث:** تعد ويكيبيديا أداة مفيدة للطلاب والباحثين كمدخل أولي للحصول على المعلومات حول موضوع معين قبل التعمق في مصادر أكثر تخصصاً.
٧. **تعدد اللغات:** ويكيبيديا متاحة بالعديد من اللغات، مما يتيح للناس من مختلف الثقافات الوصول إلى المعرفة بلغتهم الأم.

قيل لنا: إننا نخوض معركة خاسرة كون الاحتلال يمتلك إمكانيات هائلة ستجهض كل جهودنا في هذا الصراع القائم على الرواية، خصوصاً أن محاولات عديدة قبلنا بدأت منذ العام ٢٠١١ في فلسطين ولم تستمر.

في هذا السياق، كان ردنا أننا سنعمل ما هو مطلوب منا، منطلقين من الحقائق المعرفية التي وضعناها حول حقيقة السردية الفلسطينية،

وهي كل الأدلة والشواهد والمعلومات والبيانات التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في أرضه التي سلبت منه بفعل النكبة وتم احتلال بقيتها بعد النكسة وما يرتبط بذلك من نتاجات أدبية وسمعية وفنية وبصرية وتراث ثقافي غير مادي أبدعه على مر العصور وتناقلته الأجيال. إنها حكاية وجود الشعب الفلسطيني على أرض آبائه وأجداده وشواهد هذا الوجود المادية وغير المادية وما تعرض له من حروب ومجازر وتهجير وتقتيل كشعب أو تعرضت له أرضه من تدمير واستلاب وما واجهه من تحديات وخاضه من بطولات من أجل الصمود والبقاء.

وهي بالتالي تضع حقوق الشعب الفلسطيني السياسية في مكانها الحقيقي كسابقة على كل المشاريع الاستعمارية وتجعلها واضحة كحقيقة يتم تناقلها، وتشكل أساساً لمواقف الآخرين من الصراع. والغاية من وراء ذلك هي الترويج للحقوق الفلسطينية وفضح الجرائم وعمليات التطهير والتهجير والظلم التاريخي الذي وقع عليه ونفي كل المقولات المزيفة التي تأسس عليها المشروع الإحلالي الكولونيالي الذي هدف إلى نفينا خارج متن التاريخ وتخوم الجغرافيا. إن جزءاً أساسياً من تعزيز الرواية الفلسطينية يهدف إلى حماية الهوية الوطنية وتحصينها من منظور ثقافي، وهذ الهوية تتصف بمزايا وخصائص أوجبتها ظروف المكان والزمان وطبيعة التحديات.

كان سبب تميز هذه المجموعة عن سابقاتها مأسسة العمل بالإضافة إلى البحث المتعمق والدراسة والإرادة القوية والدعم الحكومي الذي رافق هذا المشروع والنشاط.

تأسست جمعية ويكي فلسطين في العام ٢٠٢٢ بهدف نشر الرواية والسردية الفلسطينية على ويكيبيديا باللغة العربية واللغات المختلفة وتعزيزها. ومن أهم النشاطات والبرامج التي تنظيمها:

١. ورش عمل وبرامج تدريب لزيادة عدد المستخدمين في فلسطين:

- تنظيم ورش عمل وتدريبات للمساهمين الجدد لتعليمهم كيفية كتابة المقالات وتحريرها على ويكيبيديا.
- توفير الموارد والدعم الفني للمساهمين لضمان جودة المحتوى المضاف.

٢. كتابة المقالات وتحريرها:

- الجمعية تقوم بكتابة مقالات جديدة عن فلسطين، تغطي جوانب مختلفة من التاريخ، الثقافة، الجغرافيا، السياسة والاقتصاد.
- يتم تحرير المقالات الموجودة لتحديثها وتضمين معلومات جديدة، مع التركيز على تقديم الرواية الفلسطينية بشكل موثوق وموضوعي.

٣. توسيع نطاق المواضيع:

- تعمل الجمعية على توسيع نطاق

المواضيع لتشمل تفاصيل الحياة اليومية للفلسطينيين، قصصهم، تجاربهم، إنجازاتهم، نضالاتهم.

- تغطية الفعاليات الثقافية والفنية الفلسطينية، والتعريف بالشخصيات الفلسطينية المؤثرة في مختلف المجالات.

٤. إضافة الصور والوسائط المتعددة:

- جمع وتوفير صور ومقاطع فيديو توثق الأحداث التاريخية والحياة اليومية في فلسطين. ورفع هذه الوسائط على ويكيبيديا لتعزيز المحتوى وجعله أكثر جاذبية وشمولاً.

٥. التوثيق بالمصادر والمراجع:

- الاعتماد على مصادر موثوقة ومراجع أكاديمية لتوثيق المعلومات المقدمة في المقالات.
- تحسين جودة المقالات من خلال توفير مصادر متعددة وتحديث المراجع بشكل دوري.

٦. التفاعل مع المجتمع الويكيبيدي:

- العمل مع مجتمع ويكيبيديا العربي للتعاون على تحسين المقالات المتعلقة بفلسطين وتطويرها.
- المشاركة في المناقشات وتصحيح المعلومات المغلوطة أو المنحازة.

من خلال هذه البرامج، تساهم ويكي فلسطين في تعزيز الوعي بالرواية الفلسطينية ونشرها على نطاق واسع، مما يساعد على تعزيز الرواية والحفاظ على الهوية والثقافة الفلسطينية ونقلها للأجيال القادمة.

من نتائج العمل بعد عام ونصف:

جرى تعديل المعلومات المتعلقة بقرية تل، وهو الأمر الذي كان سبب انطلاق المشروع، ومعها كل القرى والمدن الفلسطينية، ووضعت خطة كاملة للتعريف بالرواية ونقل المحتوى الموجود والمغيب إلى العالم من خلال مجموعة من النشاطات الكبرى تحت شعار «تطوع وعرف فلسطين للعالم» وهي:

مشروع توثيق أعلام فلسطين قبل نكبة عام ١٩٤٨: دربت الجمعية طلبة الجامعات على تفريغ موسوعة الثقافة الفلسطينية قبل النكبة الصادرة من وزارة الثقافة عام ٢٠٢٢ وكذلك موسوعة الشخصيات الفلسطينية.

مشروع توثيق كتب وروايات صدرت قبل العام ١٩٤٨ دربت الجمعية الطلبة على كيفية توثيق ورقمنة الكتب الصادرة قبل العام ١٩٤٨ فجرى توثيق ما يزيد على مائتي عنوان، وأسماء المؤلفين ودور النشر والطباعة ومنها: (القومية والعروبة) لنقولا زيادة الصادر عام ١٩٤٥ من مكتبة الطاهر في يافا، (الأصائل والأسحار) لحسن البحيري الصادر من أنصار الفضيلة في حيفا عام ١٩٤٣، (بين العلم والأدب) لقدري طوقان الصادر من مكتبة فلسطين العلمية في القدس عام ١٩٤٦، (مَنْ

لرجال فلسطين؟) الصادر عام ١٩٤٦ من مطبعة العرب في القدس لأحمد خليل العقاد، (تاريخ غزة) لحلمي أبو شعبان الصادر عام ١٩٤٣ من مطبعة بيت المقدس في القدس، (الكرميات) لأحمد شاكر الكرمي الصادر من مطبعة المنارة عام ١٩٢١، (تراث الآباء أو لا أبيع أرضي) الصادر من مطبعة بيت المقدس عام ١٩٤٠ لنصري جوزي، (الحياة بعد الموت) لصاحبه إسكندر بيتجالي الصادر عام ١٩٢٠ من مطبعة دار الروم الأرثوذوكس في القدس، (تاريخ الحرم القدسي) لعارف العارف الصادر عام ١٩٤٧ من دار الأيتام الإسلامية، (أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة) لروحي الخالدي الصادر عام ١٩٠٨ من مطبعة المنار، (أشبال العرب) لجميل القدومي الصادر عام ١٩٣٦ من مطبعة مجلة الخميس في يافا، (مذكرات دجاجة) لإسحق الحسيني الصادر عام ١٩٤٢ من مطبعة دار المعارف في القاهرة، (أنيسة أو رواية إخوان العدل) لجبرائيل أبو سعدى الصادرة عام ١٩٤٢ من مطبعة الرهبانية المخلصة، (الصهيونية: ملخص تاريخها، غايتها امتدادها حتى تاريخ ١٩٠٥) لنجيب نصار الصادر عام ١٩١١ من مطبعة الكرمل في حيفا، (باقة أزهار لحنا) دهده فرح الصادر عام ١٩٣٦ من مطبعة الناصرة، (الزوابع) لناجي السعدي الصادر عام ١٩٣٥ من المطبعة الوطنية في عكا، مع إضافة ٧٩ بياناً لشخصية جديدة، و٣٦ دار نشر، ورفع ٨ كتب ضمن النطاق العام، وإضافة ٢٣ غلاف كتاب، وصور ٧ أعلام فلسطينية قبل النكبة.

مشروع توثيق سير حياة الأسرى الفلسطينيين وذلك لمناسبة يوم الأسير ومن بينهم: ماهر سعسع، عطاف يوسف، فادي الشرفا، فراس الحتاوي، كفاح حطاب، رائد أبو حمدية، ناصر أبو خضير، عصمت منصور، يوسف أبو الخير، عايد سعد، عطاف عليان، محمد اغبارية، خالد حلبي... .

مشروع تبادل ثقافي مع ماليزيا عن طريق كتابة ٤٠ مقالاً باللغة الإنجليزية عن شخصيات فلسطين وتاريخها على ويكيبيديا المالاوية، وكتابة ٤٥ مقالاً باللغة العربية عن شخصيات ماليزية ومعالم مهمة. جاء هذا التعاون بعد إعلان شخصية العالم في ويكيبيديا «توفيق» من الدولة الماليزية، وهذا مكسب أن يكون معنا في المشروع.

توثيق سير حياة نساء مناضلات من جنوب إفريقيا في يوم المرأة العالمي تقديراً لجهود دولة جنوب إفريقيا في موقفها الوطني من دولة فلسطين.

توثيق الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة منذ بدء العدوان، جرى توثيق سير الأطباء والأكاديميين والصحافيين، والأماكن التراثية والثقافية ودور النشر والمتاحف والمستشفيات والمـدارس والكنائس والمساجد والمخيمات،

وكذلك المجازر التي استهدفت العائلات مثل عائلة ابو قوطة، فراونة، الدحدوح، أبو شمالة وغيرهم الكثير من العائلات، وحتى استهداف أفراد الدفاع المدني والطواقم الطبية وسيارات الإسعاف واستهداف القطاع الثقافي في غزة.

تنظيم مسابقة فلسطين الأولى على منصة ويكيبيديا وذلك لمناسبة ذكرى النكبة الموافق ١٥ أيار ٢٠٢٣ وقد شارك فيها ٥٠ مشاركاً عربياً وأضيفت ٤٧٥ مقالة جديدة عن فلسطين، وقدمت الجمعية جوائز للفائزين بالمراكز الأربعة الأولى، بعد اختيارهم من لجنة تحكيم فلسطينية وعربية.

تنظيم مسابقة فلسطين الثانية ١٥ أيار ٢٠٢٤ وقد شارك فيها ٣٤ مشاركاً عربياً وأضيفت ٦٤٨ مقالة جديدة وتقديم الجوائز للفائزين بالمراكز الأربعة الأولى.

ختاما

يتطلب تعزيز ويكيبيديا العربية المزيد من الجهود لزيادة عدد المقالات وضمان جودتها، بالإضافة إلى تشجيع المزيد من المتحدثين بالعربية على المساهمة. وهذا سيساهم في توفير مصدر غني بالمعلومات الموثوقة لعدد كبير من المهتمين في العالم العربي، ويعزز من انتشار المعرفة والثقافة العربية الفلسطينية على المستوى العالمي.

وعلى صعيد خوض المعركة فإننا نقول: إنها لم تكن خاسرة بالمطلق فقد تحققت نجاحات وانتصارات لافتة وخير دليل على ذلك شكل الشعار الرئيس لويكيبيديا العربية الذي ضم الكوفية والعلم الفلسطيني.

الدولة الفلسطينية
وسياسات التخطيط الحضري

د. مؤمن أبو عرقوب*

عندما تشعر بمتعة وراحة في مدينة أو بلدة أو قرية فلسطينية، فهذا يعني أن مبانيها وهندستها المعمارية تمثل أعمالاً معمارية حقيقية، وهذا يعني أنها مناطق منظمة بالفعل، علاوة على أن الأنشطة المعقدة تجري فيها بشكل طبيعي ومتناغم، خاصة إذا كانت المدينة منظمةً مكانياً ووظيفياً وجمالياً.

تمثل المدينة تنظيماً اجتماعياً محدداً تهيمن عليه العمليات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والمكانية، لذلك من الضروري التوصل إلى توافق في الآراء بشأن تنمية هذه المناطق من أجل تمكين حياة سكانها وتوصيلهم إلى الحياة الطبيعية والرفاهية.

يعني تحقيق أهداف التنمية المتكاملة في المدن والبلدات والقرى الفلسطينية توفير الظروف الملائمة لتطوير مكونات التنمية الضرورية من خلال تطوير الروابط بين مكونات التنمية الحضرية النهائية على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والمكانية والبيئية.

يمكن لأي شخص يتنقل عبر المدن والبلدات والقرى الفلسطينية أن يرى أن هذه المناطق أصبحت محاصرة بالمستوطنات لمنعها من أيّ نمو وتطور وتوسع مستقبلي، وهذا بدوره يؤدي إلى تدهور جودة الحياة الطبيعية بسبب تقليل المساحات الحضرية. ويمكن رؤية ذلك في أنحاء الضفة الغربية، فالمدن والبلدات والقرى الفلسطينية محاصرة، وهذا يؤدي إلى

* أكاديمي فلسطيني.

تزايد الفوضى الحضرية والبناء غير القابل للسيطرة وغير المخطط له خاصة في الضواحي، وهو ما يمثل في الأساس تهديداً حقيقياً للبيئة الفلسطينية والتخطيط الحضري، ومع ذلك لا يوجد لدى السلطات والبلديات أي معلومات حول خطط إسرائيل للتوسع ومحاصرة المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، وهذا بدوره يؤدي إلى عدم وجود خطة استراتيجية طويلة المدى لمواجهة هذا التحدي.

يضاف إلى ما سبق النقص الحاد في العديد من القوانين المتعلقة بملكية الأراضي وتراخيص البناء، وبدلاً من إجراء تغيير جذري في النظام القانوني والسياسي في دولة فلسطين، انطلقت سياسة ترخيص البناء غير القانوني، وهو ما يمثل في الأساس دعوة إلى مزيد من البناء غير القانوني، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض كبير في تحصيل تكاليف المرافق، وتعريض ترخيص المرافق لفشل كبير.

لا يُعرف في النظام السياسي والقانوني في دولة فلسطين، حتى يومنا هذا، من يقود السياسة الحضرية في الدولة، هل هي الحكومة المركزية من خلال وزارات مثل: وزارات النقل والمواصلات، والبيئة والتخطيط والاقتصاد. كما هو الحال في الحكومات المركزية، كذلك على المستوى المحلي، فإن مديرية السجل العقاري وغيرها من الجهات ـ التي تتحمل المسؤولية المباشرة عن إدارة الأراضي ـ تقوم بدور سلبي في إدارة الأراضي مع المالية العامة منذ فترة طويلة من الزمن، ولا يوجد لديها تصور لسياسة حضرية وإدارة الأراضي لمواجهة التوسع الاستيطاني في ظل التهديد الإسرائيلي المتزايد بابتلاع الأراضي الفلسطينية.

يلاحظ أن بعض السكان المحليين يبيعون قطعاً من أراضيهم لأفراد لهم اهتمامات ووظائف مختلفة، وبالتالي يتم تغيير شكل المدن والقرى الفلسطينية وتشويه وظائفها وهيكليتها أمام أعين الحكومة المحلية. مما يؤدي إلى سياسات مباشرة وفوضوية في الفضاء الحضري. وهذا يمكن تغييره عن طريق تغيير القوانين، مع مراعاة التجارب العالمية في هذا المجال.

يعرف الفضاء الحضري بأنه مصفوفة من الشوارع وقطع الأراضي والبناء الحضري الأوّلي، أي مناطق حضرية معينة. ولا يمكن بناء مدينة على أرض زراعية، مهما كانت طريقة تقسيمها. وفي مجال الأراضي الزراعية لا يمكن أن يكون هناك سوى تقليد للمدينة، ويعتبر الوسط المحيط بمعظم المدن والبلدات والقرى الفلسطينية أفضل مثال على ذلك.

تظهر في المناطق المحيطة بالمدن الفلسطينية عملية تقسيم المناطق الزراعية وإعـادة استخدامها للبناء وهذا لا يمكن أن ينتج مدينة، بل مساحة دون المستوى المطلوب، لن تكون أبداً جزءاً من المدينة الأصلية، ولن تلبي المعايير الأساسية لعمل وظيفي.

لا يمكن أن تقدم عملية التقسيم هذه سوى مساحة لن تتناسب أبداً مع المدينة. وأفضل مثال على ذلك ملامح الشوارع في تلك المناطق، التي لن تكون قادرة أبداً على تلبية وظائف المرور، ولا يمكن لشوارعها أن تكون جزءاً من البنية التحتية للمدينة وممراتها، أي البنية التحتية المكانية المجتمعية.

وضعت الحكومات في دول الاتحاد الأوروبي ودول أوروبا الشرقية أنظمة وقوانين، مثل التخطيط والوظيفة والبناء، على النقيض مما لدينا تماماً. كل ما يحدث هنا هو في الأساس عملية بناء بدائية حضرية وتدمير كامل للتخطيط الحضري.

من أجل التنمية المثلى لكل مدينة وبلدة وقرية في الضفة الغربية، أي من أجل التنمية المستديمة، هناك حاجة إلى تثمين المساحة والتنمية المحتملة للمدن وإعادة تعريف سياسة الأراضي في النظامين القانوني والسياسي، وإلى أن تكون هذه العوامل عناصر أساسية ومنهجية لتخطيط الأراضي وتطوير الأبنية السكنية بموجب التنظيم القانوني.

ومن هنا فإن السياسة الحضرية الأساسية هي أن المدينة ليست مجموعة من القطاعات، بل هي أنسجة اجتماعية وتقنية كبيرة. المدينة عبارة عن نظام اجتماعي وتقني معقد، يتطلب عملاً وتنظيماً دقيقاً ومنسقاً متعدد التخصصات، لذا يجب حل المشكلات التي تنشأ اليوم، وفي الوقت نفسه أن يفكر الكل الفلسطيني في المستقبل من أجل الأجيال القادمة، بحيث يمكن للمدن والبلدات الفلسطينية أن تعيش بطريقة مستديمة.

نشأت الفوضى بعد سنوات عديدة نتيجة الاحتلال والتوسع الاستيطاني حول المدن والبلدات الفلسطينية، ففقدت المدينة الفلسطينية هويتها وملامحها وشكلها الحضري، وهذا لا يمكن أن يُبرر دائماً بنقص الموارد المالية، إذ إنه يتعلق في جوهره بعدم اهتمام البلديات بالتعامل مع ما هو جيد بشكل عام ومفيد جداً للمدينة. إنه الفضاء العام، وهو الأكثر تعرضاً للتدمير في بناء المناطق السكنية وتمدين مناطق في المدينة والفوضى الحضرية. وسأدرج هنا بعض المشاكل:

يخلق البناء العفوي في مناطق (ب) حاجزاً صناعياً بين شطري المدينة الواحدة، وعليه لا يمكن بأي حال من الأحوال إعادة تقسيم المدن الفلسطينية بناء على التقسيمات حسب اتفاقية السلام المبرمة إلى منطقة (أ) ومنطقة (ب). تحتاج المدينة إلى تخطيط يجب أن يشمل جميع المستويات من التخطيط العام إلى التخطيط التفصيلي، فهو الأســاس في تحديد شروط إنشاء المرافق الجماعية والفردية ذات الطبيعة التحتية.

تجدر الإشارة هنا أن البنية التحتية الضعيفة وغير الكافية لجميع المدن والبلدات الفلسطينية

على جميع المستويات تخلق وضعاً يصعب الخروج منه.

المشكلة أكبر بكثير من تحصيل رسوم مكان وقوف السيارات، حل مشكلة مواقف السيارات في المدن الفلسطينية ليس بالأمر السهل، لكن يجب حله بشكل احترافي. المشكلة أكبر بكثير من فرض رسوم على أماكن وقوف السيارات في الكراجات أو في أماكن وقوف السيارات المفتوحة، التي يتم تنظيم معظمها بوساطة الأرصفة، يجب أن تكون سياسة حل مواقف السيارات في المدن الفلسطينية جزءاً من الإدارة المهنية وطويلة المدى للسياسة الحضرية. لكن ينبغي تحديد ما إذا كانت هذه الالتزامات جزءاً من التزامات الحكومة الفلسطينية أو إدارة المدينة والبلديات، وأي الخبراء ينبغي أن يقودوا هذه السياسة.

هناك العديد من المباني التاريخية التي أزيلت أمام أعين المواطنين والعالم دون أن أي رد فعل، مع أن هذه المباني ترمز للمدينة وتمثل صورة واضحة لماضيها. جاء ذلك نتيجة تشييد مبان ذات طبيعة رأسمالية وسط معظم المدن الفلسطينية كالخليل ونابلس ورام الله وغيرها حيث تم تغيير الوجه الحضاري للمدينة وتغيير صورتها. عدد كبير من المهندسين المعماريين الذين زاروا المدن الفلسطينية سابقاً كانت لديهم رسالة كخبراء، مفادها أنه يجب ألا يكون وسط المدن الفلسطينية مثقلاً بالمباني بسبب عمقها التاريخي والحضاري، نتيجة لذلك نشاهد أن معظم المدن الفلسطينية قد تغيرت بالكامل شكلاً ومضموناً.

عندما يتعلق الأمر، برصف الأرصفة ومناطق المشاة، هناك عدد قليل جداً من التطبيقات التي تتم وفقاً للمعايير الدولية والحلول المعمارية. لهذا، من المهم بشكل خاص أن تطلق البلديات مبادرة لترتيب المساحات العامة وفقاً لأعلى الحلول المعمارية. يجب أن تكون الأولوية الأولى والأهم هي أماكن وقوف السيارات في المناطق المركزية للمدن، وإعداد وتنفيذ مشروع هندسة المناظر الطبيعية للمدينة، وأن يكون المهندسون المعماريون ومخططو المدن ذوي خبرة غنية وعلمية في مناصبهم حتى يتمكنوا من إدارة هذه العملية بشكل صحيح، وأن تكون هناك حلول معمارية حضرية محققة للمساحات العامة، ووضع أسس السياسة الحضرية للبلديات والدولة بشكل عام. هذه هي الطريقة الوحيدة لإنشاء هوية بصرية جديدة للمدن والقرى والبلدات في فلسطين، التي ستكون ذات ديناميكية حديثة ومتنوعة، كذلك يجب توفير الصيانة البيئية البسيطة، فبلادنا تحتاج إلى المهندسين المعماريين الجيدين.

يبدو أننا نسينا في الغالب الفنون الحرفية وفقدنا وتيرة مواكبة التكنولوجيا. فسياسة إعادة تأهيل الشوارع والأرصفة والإعمار العشوائي للأحياء من غير الخبراء لا تعطي أي

أثر إيجابي على الترتيب الجمالي للمساحات، بل تمثل تهديداً حقيقياً لمستقبل الفضاء الحضري.

أستطيع أن أتفهم أن يكون المواطنون متفاجئين من الوضع الناتج عن عدم المعرفة الكافية بالمشاكل في مجال التنمية الحضرية والسياسة الحضرية في فلسطين، لكن ليس من الطبيعي أن يكون المسؤولون متفاجئين أيضاً أو لا يعلمون أن هذه الكوارث قد وصلت إلى هذا الحجم.

خلال السنوات العشرين الماضية، عين أشخاص لإدارة مختلف البلديات والقرى والمدن، بعضهم لديه أبحاث دراسية ومكانة في مختلف المهن لكن للأسف تنقصهم الخبرة في مشاكل التخطيط الحضري.

لهذا السبب لا ينبغي أن يفاجئنا أي شيء كمجتمع يتمتع بمستوى منخفض من الوعي الحضري، لكننا سنفهم يوماً، ما يجب علينا فعله وكيف يجب أن نتصرف وأن ذلك لن يكون على حسابنا. وحتى ذلك الحين، سوف يمر الكثير من الوقت وستتدهور أشياء كثيرة في المدن والقرى الفلسطينية، ومن المستحيل إصلاحها على مدى فترات طويلة، وربما إلى الأبد.

بعد اتفاقية أوسلو وتشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية، بدأ التطور المتفائل للمدن في فلسطين، ثم تباطأ ثم توقف. في السنوات التي تلت ذلك، أصبح السكن حاجة يجب حلها كمشكلة فردية. وفي ما يتعلق ببناء المدن ذات المرافق السكنية وغيرها من المرافق العامة، التي لها طابع البنية التحتية المؤسسية، هناك حاجة إلى تغييرات في النظام السياساتي القائم، ما يسمى الإصلاحات المعمارية في النظام السياساتي، وفقا لاحتياجات العملية الاجتماعية الجديدة.

لقد كان البناء الفردي لتلبية الاحتياجات الفردية موجوداً دائماً، لكن نتيجة ذلك، بدأت الفوضى الحضرية تسود حتى يومنا هذا.

لدى البلديات الفلسطينية أيضاً مهندسون معماريون ومخططون حضريون، لكن لسوء الحظ، فإن القرارات الرئيسة المتعلقة بتحضر الفضاء يتخذها المسؤولون السياسيون بدلاً من الخبراء. وتعيين أعضاء من أحزاب وفصائل، بدل تعيين مخططين حضريين مؤهلين في مثل هذه المناصب المهمة. وفي مؤسسات النظام السياسي التي لها تماس مباشر أو غير مباشر مع حضرية الفضاء وإدارة الأراضي، فإن مهام الوزارات تؤديها شخصيات حزبية، ليس لها أي مرجعيات في مجال العمران. ولسوء الحظ، لم يكن هناك مخطط حضري محترف في هذه الوزارات.

لم تفهم حتى النخبة المثقفة في دولة فلسطين معنى الفضاء وعواقبه بعد التحضر وتدهور الفضاء الحضري. لسوء الحظ، لم تنشر المؤسسات العلمية بعد دراسة مناسبة عن المدن والقرى في فلسطين التي يمكن معالجتها على

المستوى المهني والتعامل مع الوحدات البحثية للفضاء ذات الأهمية الحيوية للبلاد.

الخبراء في مجال التخطيط الحضري عددهم يتضاءل باستمرار، وزيادة على ذلك، ظلوا مهمشين في هذه العملية، القطاع غير الحكومي غير موجود عندما يتعلق الأمر بالعمران، والبلديات تسبح في الديون، والاستثمارات تركز على الشقق السكنية الصغيرة، ودور البلديات يكاد يكون معدوماً.

يجب أن تنص قوانين التخطيط المكاني على منصب كبير المخططين الحضريين وإنشاء معهد للعمارة والعمران كمؤسسة علمية تعنى بالتخطيط المكاني والعمراني للمدن والبلدات والقرى الفلسطينية، يكون له طابع بحثي، دون قيود من الدولة. وينبغي أن يمتلك هذا المعهد استراتيجيات طويلة المدى، ويضم موظفين مؤهلين ومحترفين من مختلف المجالات في الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري، وأن يكون لدى المعهد تعاون واسع النطاق مع مراكز البحث العلمي ليس فقط في دولة فلسطين ولكن أيضاً مع المؤسسات المماثلة في الدول المجاورة.

ينبغي إنشاء مديرية لإدارة الأراضي والسياسة الحضرية، ستكون المهمة الأساسية لها بناء المدينة وتطوير المدن والبلدات الفلسطينية بما يتماشى مع روح النماذج العربية مع الحفاظ على عراقة التاريخ المكاني.

إن إنشاء مثل هذه المديرية برئاسة خبراء ومهنيين، سيمكن من إدارة سياسة حضرية حديثة. وهذا يعني تغييرات جدية في النظام القانوني والسياسي في دولة فلسطين، لكن لسوء الحظ، فإن النخبة السياسية وعدداً كبيراً من الخبراء والمهندسين المعماريين والمخططين الحضريين ليسوا مستعدين لتغيير هيكل الفضاء الحضري بهذه الطريقة في دولة فلسطين.

عندما يتعلق الأمر بالتنمية الحضرية في فلسطين، هناك مشاكل لا حصر لها وكلها تبدأ بالسياسة. من الواضح أنه في السنوات الثلاثين الماضية في فلسطين، كانت هناك العديد من العمليات الخاطئة عندما يتعلق الأمر بالسياسة الحضرية. أحد أهم التقييمات السياسية، وهو خاطئ تماماً، الاعتقاد بأن التخطيط الحضري من اختصاص المخططين الذين يستمعون بشكل أعمى للمستثمرين والحكومة، وبالتالي لا توجد معرفة وتحليل وتعليم مهني وتقني في مجال التخطيط الحضري.

يخلق هذا الفهم صداماً بين السياسة العامة والعمران واحترام العمران كعلم ومهنة وممارسة، أما العواقب السلبية فهي طويلة المدى بعد بناء المدينة وتشغيلها، وستستمر عقوداً من الزمن.

لا تتبع السياسة الحضرية الأساسية للمدينة مجموعة معينة من القطاعات، وإنما هي

منظومة اجتماعية وتقنية كبيرة. المدينة عبارة عن نظام اجتماعي وتقني معقد، يتطلب عملاً وتنظيماً دقيقاً ومنسقاً ومتعدد التخصصات في اتجاهين أفقيين: يجب حل المشكلات التي تنشأ اليوم، وفي الوقت نفسه التفكير بعيداً في المستقبل حتى تتمكن المدينة من العمل بطريقة مستديمة.

في البلدان التي طورت مجتمعات حضرية، كان العنصر الأكثر أهمية لها السياسة الحضرية، إنها مسألة كبيرة من حيث المعنى والنطاق والعواقب. تظهر الممارسة في دولة فلسطين أن البلاد ليست مستعدة بعد لإجراء تغييرات معمارية مهمة في النظام القانوني والسياسي لتتمكن من الذهاب في مجال التحضر والترتيب المكاني وتنمية المدن الفلسطينية، حيث يوجد القليل من السياسة والمزيد من الخبرة.

يجب أن يكون لإدارة المدينة موقف عقلاني تجاه الفضاء المعماري، لأنه في هذا الفضاء تعمل الدولة ويعيش الناس، ويجب ترتيب هذا الفضاء وفق احتياجات الإنسان كفرد والمجتمع كمجموعة، بشكل أكثر عقلانية، وبأقل تكاليف الطاقة والمال. وفي عملية بناء المدن والبلدات والتحضر في المدن فلسطين لا تزال الفوضى الحضرية موجودة.

لهذا السبب ينبغي ألا يفاجئنا أي شيء كمجتمع يتمتع بمستوى منخفض من الوعي الحضري، لعلنا نفهم يوماً ما الأمور التي يجب علينا فعلها وكيف نتعامل مع المساحة، وأن ذلك لن يكون على حسابنا، وإلى ذلك الوقت ستتدهور أشياء كثيرة في المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، وسيكون من المستحيل التعافي فترة طويلة من الزمن، وربما إلى الأبد.

وفي ما يتعلق بتمدن الفضاء، هناك سؤال رئيس آخر ليس لدينا إجابة عنه اليوم، هل ينبغي للمدن والبلدات في فلسطين أن تكون رأسمالية، وإذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن تحقيق ذلك؟ ينبغي بناء آلية لإدارة المدن والقرى ورسملة الأراضي، من الضروري الخروج من الشكل الأكثر بدائية إلى التنظيم الحضري للفضاء.

الطريق إلى الدولة الفلسطينية المستقلة يعني التحضر وترتيب المساحات والتخطيط بشكل سليم لمستقبل المدن والبلدات الفلسطينية بما في ذلك التعليم والصحة، وهو ما سيكون له تأثير إيجابي مع تقديم المشورة بالطريقة الصحيحة. ومن أجل إعادة إضفاء الطابع العربي على التمدن في دولة فلسطين، هناك حاجة إلى سياسة جديدة للتوسع الحضري. إنها مهمة كبيرة لا يمكن إنجازها إلا من خلال نخبة سياسية فلسطينية حقيقية قادرة على تحمل المسؤولية.

غزة.. حرب الانتقام المسعورة!

يوسف الشايب

تحت عنوان (غزة: حرب الانتقام المسعورة)، خرجت مجموعة أوراق سياسية في كتاب مرجعي، أخــيراً، عن مؤسسات الدراسات الفلسطينية في كلّ من بيروت ورام الله.

توزع الكتاب على محاور عدّة، فخصّص الأول لتناول تداعيات الحرب على مرافق الحياة في قطاع غزة، بحيث تناولت أوراق كل من عبد اللطيف الحسيني، وأمية خماش، ووديع عواودة، وليث حنبلي، وعلي السباتين، تداعياتها على القطاع الصحي، في أوراق حملت عناوين: "على حافية الهاوية: الحرب والصحة العامة في غزة"، "واقع ومقومات القطاع الصحي في قطاع غزة خلال الحرب"، "بين الأهداف المعلنة والمآرب السرية: لماذا تقصف القوات الإسرائيلية مستشفيات غزة بالتركيز على مجمع الشفاء؟"، "سياسة تدمير القطاع الصحي في قطاع غزة"، "الأمراض المعدية والحرب على غزة: القاتل الصامت الفتاك".

وفي المحور نفسه، جرى تناول تداعيات الحرب على قطاعات التعليم والثقافة والإعلام، فكتب كل من ماهر الشريف ومجدي المالكي ورقة بعنوان "النظام التعليمي ضحية رئيسة للحرب الإسرائيلية على قطاع غزة"، في حين كتبت خلود ناصر ورقة عنونتها بـ"من فضاءات للتعلم إلى مساحات مستباحة: الحرب والتعليم المدرسي في قطاع غزة"، بينما تناول حمدان طه "تدمير التراث الثقافي في غزة"، ورولا شهوان "أرشيف غزة والتدمير المستمر"، ليتبعها عبد اللطيف أبو هاشم بورقة حول "التدمير المقصود لدور الوثائق والأرشيف والمؤسسات الثقافية والمكتبات في غزة"، فأخرى لرنا عناني عن "حرب الإبادة على قطاع غزة: الثقافة الفلسطينية"، بينما تناولت رولا سرحان استهداف الصحافيين والقطاع الإعلامي بعد السابع من تشرين الأول.

تناول ثالث الأقسام في هــذا المحور، تداعيات الحرب على قطاعات المياه والكهرباء والاتصالات، في ثلاث أوراق: "الآثار الأولية للحرب على قطاع غزة: قطاع المياه نموذجاً" لعبد الرحمن التميمي، و"قطاع الكهرباء في فلسطين: البداية من تقليص الاعتماد على إسرائيل" لعلي حمودة، و"التحكم في الفضاء الفلسطيني: الاتصالات السلكية واللاسلكية والإذاعة والتلفزيون" لمشهور أبو دقة.

كان المحور الثاني من الكتاب بعنوان "المخططات الإسرائيلية إلى الواجهة ومآلات المشروع الصهيوني"، وتوزع على قسمين، الأول حول التهجير والاستيطان، والثاني حول حرب غزة كذروة للمشروع الاستيطاني.

اشتمل القسم الأول على عديد الأوراق، كـ"مفهوم الترانسفير في الفكر والممارسة الصهيونية: الجذور التاريخية والتحديات الحاضرة" لنور الدين مصالحة، و"الصهيونية: جذور مشروع ترحيل الفلسطينيين وتعبيراته

الراهنة" لماهر الشريف، و"الدعوات الإسرائيلية لإحياء مستوطنات غزة: الدوافع والاحتمالات" لوديع عواودة، بينما اشتمل القسم الثاني من المحور ذاته على أوراق: "الفلسطينيون إزاء ظاهرة معاداة السامية" لماهر الشريف، و"معاداة الصهيونية: هل تعادل معاداة السامية؟" لدومينيك فيدال، و"جذور الإرهاب الصهيوني" لماهر الشريف، و"سلام النكبة: إسرائيل تطلب استثناءها من حظر الإبادة الجماعية" لنورا عريقات، و"آليات وهيئات اتخاذ قرار الحرب في إسرائيل" لمهند مصطفى، و"العدو من الداخل: فلسطينيو ٤٨ خلال حرب الإبادة الإسرائيلية على غزة" لهمت زعبي، و"الإبادة الجماعية في غزة والمجتمع الصناعي العسكري الإسرائيلي" لطارق دعنا، ليختتم بورقة لأنطوان شلحت بعنوان "أزمة تجنيد/ إعفاء الشبان اليهود الحريديم: هل تهدد تماسك ائتلاف حكومة نتنياهو السادسة؟".

اكتسب المحور الثالث أهمية كسابقيْه، بحيث تناول "تداعيات الحرب على الضفة الغربية"، عبر قسمين، أولهما: قضية الأسرى، والثاني: سياسات الهيمنة والسيطرة والرقابة، ففي الأول كتب عصمت منصور حول "تبادل الأسرى: السيناريوهات المطروحة"، وأشرف بدر حول "سياسات بن غفير ضد الأسرى، والتحول بعد ٧ أكتوبر"، في حين كتب في الثاني نظمي الجعبة ورقة حملت صيغة التساؤل بعنوان "هل ستغير الهجمة غير المسبوقة على الضفة الغربية الوضع القائم بالقدس؟"، فورقة لأحمد عز الدين سعد حول "الحواجز والإغلاقات وتقييد الحركة في الضفة الغربية بعد ٧ أكتوبر"، تبعتها ورقة ثالثة لأحمد حنيطي حول "الأغوار الفلسطينية: الواقع ومآلات المستقبل"، فرابعة لمهند عبد الحميد بعنوان "شعب موزّع بين حربين.. من ينقذ من؟".

وتحت عنوان "التطهير الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الفلسطيني" كان المحور الرابع للكتاب، عبر أوراق: "أثر العدوان الإسرائيلي في الواقع الديموغرافي لسكان القطاع: التداعيات والتوقعات" لمحمد دريدي، و"تأثير الحرب في الاقتصاد الفلسطيني مع التركيز على الاقتصاد في قطاع غزة" لنصر عبد الكريم، و"آثار الحرب في العمالة الفلسطينية: التداعيات والتوقعات الاقتصادية" لمجدي المالكي، و"نساء غزة خلال الإبادة: النساء والحرب والمقاومة" لمادلين حلبي، و"تدمير القطاع الزراعي في غزة: آثار الحرب الإسرائيلية ومسارات النهوض والسياسة الغذائية" لفؤاد أبو سيف، و"آثار العدوان في الأمن الغذائي في قطاع غزة" لياسر شلبي.

وحول "مواقف الدول وسياساتها إزاء حرب غزة" كان المحور الخامس للكتاب، منقسماً إلى تحليل المواقف العربية في قسمه الأول، والمواقف الإقليمية والدولية في قسمه الثاني، تناولتها

في القسمين أوراق تعددت محاورها وطرائق تناولها، فقدم سامح إسماعيل ورقة بعنوان "عاصفة تشرين: بجعة سوداء تحلق في سماء القاهرة"، فيما كتب أحمد جميل عزم عن "قطر وتداعيات حرب ما بعد ٧ تشرين الأول بين إدارة الصراع وحلّه"، في حين تمحورت ورقة عريب الرنتاوي حول "الأردن والحرب على غزة: التهديد الإسرائيلي إذ يصبح وجودياً"، بينما ذهبت رندة حيدر في ورقتها لتناول "الوضع في جنوب لبنان واحتمالات توسع الحرب"، وفي ذات الإطار قدّم رامي الريس ورقة بعنوان "الحرب على غزة من منظور لبناني: تضامن مع الفلسطينيين وتباين حول دور لبنان وموقعه".

كتب ماهر الشريف حول "الولايات المتحدة الأميركية: شريك مباشر في الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة"، ليتبعه بورقة أخرى حول "الإدارات الأميركية إزاء مشروع الدولة الفلسطينية بين الأمس واليوم"، فأخرى لخطاب أبو دياب حول "الموقف الفرنسي المتخبط إزاء حرب غزة: الخلفيات والدوافع والانعكاسات"، لتتبعها ورقة بعنوان "إيران والحرب على غزة: القيادة من الوراء" لقاسم قصير، فأوراق حول الموقف التركي من الحرب، والولايات المتحدة إزاء حرية الملاحة في البحر الأحمر، وتوجه العمال الهنود إلى إسرائيل خلال حرب الإبادة الجماعية، وموقف الاتحاد الأوروبي والموقف الألماني من هجوم ٧ أكتوبر والحرب على غزة، أعدها هيو لوفات، فموقف روسيا من الحرب على غزة لسناء حمودي، وفلسطين والشارع الغربي لكل من تيري ريجير ومحمد علي الخالدي.

تناولت أوراق لجوان دياس، وقاسم قصير، وعصمت منصور، وإبراهيم ربايعة، وســاري عرابي، وخالد زواوي، ومعين الطاهر، وأيهم السهلي، وشاندي ديساي، وهديل رزق- قزار، وآيات حمدان، "تأثير الحرب في موازين القوى وعمل المنظمات الإنسانية"، وشكّل المحور السادس من الكتاب، على قسمين: "حرب غزة وتأثيراتها في موازين القوى"، و"حرب غزة وتأثيراتها في المنظمات والجهود الإنسانية".

حمل المحور السابع والأخير في كتاب "غزة: حرب الانتقام المسعورة"، عنوان "حرب غزة وتأثيرها في المنظمات والجهود الإنسانية"، موزعاً على أوراق عدة: "فرص الاستثمار في قطاع غزة بعد الحرب" لحسين لدادوة، و"الحرب في غزة: ماذا بعد ذلك؟" لليلى سورا، و"في متطلبات مرحلة ما بعد حرب إسرائيل على غزة" لجميل هلال، و"الآليات القانونية المتاحة لمحاكمة إسرائيل بعد حرب غزة ٢٠٢٣" لبول مرقص، و"حقل غزة مارين: ما مصيره بعد الحرب؟" لوليد خدوري، وأخيراً: "الأثمان المستقبلية المتوقعة في الاقتصاد نتيجة الحرب على غزة" لأمطانس شحادة.

خلاصات

خلصت ورقة الباحث عبد اللطيف الحسيني إلى أن من أهم تأثيرات الحرب على الصحة العامة في غزة، الزيادة الكبيرة في عدد الوفيات الناجمة عن الحرب بطريقة مباشرة (القصف، وإطلاق النار، وغير ذلك)، وغير المباشرة الناجمة عن الأمراض المعدية وغير المعدية، ونقص الرعاية الصحية نتيجة تدمير النظام الصحي، وكذلك بسبب نقص الرعاية الصحية للولادات والأمهات والمواليد الجدد بصورة خاصة، فهناك نحو ٥٢ ألف امرأة حامل في قطاع غزة، وقد لوحظت زيادة في عدد حالات الإجهاض وولادة الأجنة الميتة، وأيضاً زيادة عبء الإصابة بالأمراض المعدية بشكل كبير، وزيادة التفشيّات الوبائية تكراراً وشـدّة.. ومن المتوقع ازديـاد عبء الإصابة بالأمراض غير المعدية ومضاعفاتها، وتدهور الوضع الغذائي والأمراض المتعلقة بسوء التغذية والمضاعفات الناتجة عنها، وتلك الناجمة عن عدم توفر الأدوية والعلاج فترة طويلة، وتدهور الصحة النفسية، علاوة على الإصابات الجسدية والإعاقات الناجمة عن الحرب، والأمراض والضغوط النفسية الناتجة عن التعرض لويلاتها وصدماتها، مما يشكل عبئاً إضافياً على النظام الصحي والاقتصادي والاجتماعي في غزة، مع الأخذ بعين الاعتبار العدد الهائل من البالغين والأطفال ذوي الإعاقة.

وفي ورقة "النظام التعليمي ضحية رئيسة للحرب الإسرائيلية على قطاع غزة" أشار كل من الباحث ماهر الشريف ود. مجدي المالكي، إلى أنه، وخلال الحرب التي تشنها إسرائيل حالياً على القطاع، قصفت الطائرات الإسرائيلية في ١١ تشرين الأول الماضي، مباني الجامعة الإسلامية، بذريعة أنها مركز "عملياتي وعسكري" لحركة "حماس" و"مؤسسة تدريب لتطوير وإنتاج الأسلحة، حيث إن "الغارات الجوية المكثفة دمرت بعض مباني الجامعة بصورة كاملة، ولم يستطع أحد الدخول إلى هذه المباني بسبب النيران المشتعلة، وتناثر الحجارة والركام في الطرق المحيطة بالجامعة"، كما أنه في ٢٦ تشرين الأول الماضي، أغارت طائرات حربية إسرائيلية على مباني جامعة الأزهر، ثم عادت وقصفتها في ٤ تشرين الثاني الماضي، وذلك بعد أن كان عدد كبير من النازحين لجأ إليها، لافتيْن إلى أن إسرائيل، باستهدافها مؤسسات التعليم العالي في قطاع غزة المحاصر، وكذلك في الضفة الغربية المحتلة، تريد أن تقضي على مقاومة الفلسطينيين للاحتلال، من خلال التعليم العالي والثقافة، خصوصاً أن هاتين المنطقتين الفلسطينيّتين، مع وجود ٢١٣ ألف طالب وطالبة في قطاع التعليم العالي، تحتلان مرتبة عالية في المعايير الدولية، وتتفوقان كثيراً على الدول العربية المجاورة.

خلص الباحث حمدان طه إلى أن تدمير التراث الثقافي الفلسطيني المادي أمر ممنهج،

فأعمال التدمير في هذه الحرب "تأتي استكمالاً لأعمال التدمير التي ارتكبتها إسرائيل على مدى ٧٦ عاماً، التي تمثلت في تدمير ما يزيد على ٦٠٠ مدينة وقرية فلسطينية، وتنفيذ التطهير العرقي بحق مليون فلسطيني جرى طردهم من بيوتهم وتجريدهم من أملاكهم، وعلى الرغم من هول هذه الجرائم، فإن الفلسطينيين لم يتمكنوا من تكريسها في الذاكرة الجمعية البشرية، مضيفاً: منذ بدء العدوان على غزة، ألحق القصف دماراً كارثياً في شتى مناحي الحياة، بحيث تم استهداف مجموعة كبيرة من المواقع الأثرية، أبرزها تل السكن جنوب مدينة غزة، الذي يعود إلى العصر البرونزي المبكر، وموقع تل العجول الذي يمثل تاريخ غزة في العصر البرونزي الوسيط والمتأخر، وتعرّضت آثار تل المنطار ومقامات الشيخ علي المنطار والشيخ رضوان لأعمال تدمير واسعة، علاوة على استهداف موقع البلاخية، الذي يمثل ميناء غزة القديم (أنثيدون) في الحقبتين اليونانية والرومانية، وكذلك تدمير مقبرة جباليا الأثرية، وتعرض محيط دير القديس هيلاريون الأثري بالقرب من النصيرات للقصف، مع أنه أدرج، مؤخراً، على لائحة اليونسكو للتراث المادي، وكذلك تدمير مقبرة دير البلح الأثرية، والاستهداف المنهجي للمباني التاريخية والأماكن الدينية، ما تسبب بدمار هائل للتراث الثقافي في غزة، وبيت حانون، ودير البلح، وخان يونس، ورفح، مستعرضاً بالتفصيل ما تعرضت له مبانٍ أثرية غاية في الأهمية داخل القطاع، ولا تزال، لتدمير ممنهج، كما تطرق لتدمير وفقدان الأرشيفات الخاصة والنادرة، واستشهاد عدد من أصحابها، بالإضافة إلى الأرشيفات والمخطوطات العامة التي لا نسخ أخرى منها، واصفاً هذا التدمير المنهجي بجرائم حرب.

خلصت الباحثة رولا سرحان إلى "تعرض الصحافيين ووسائل الإعلام العاملة في الأرض الفلسطينية، خاصة قطاع غزة، لاستهداف ممنهج واســع النطاق في سياق عملية شاملة تهدف إلى تدمير الكيانية والسردية الفلسطينية"، فيما اشتد هذا الاستهداف بوتائر وأشكال متعددة خلال العدوان العسكري الأخير على قطاع غزة المحاصر، لإخفاء الجرائم التي ارتكبت وما زالت خلال العدوان، خدمة لأهداف استعمارية إحلالية.

وحول آثار حرب الإبادة على قطاع المياه في غزة، أشار عبد الرحمن التميمي في ورقته إلى تدمير البنية التحتية لشبكات المياه، إذ أشار تقرير أولي إلى أن نحو ٤٠٪ من شبكة مياه مدينة غزة تم تدميرها حتى نهاية العام الماضي، وأن المحطات الرئيسة للضخ تعطلت بفعل القصف أو عدم إدخال الوقود، علاوة على تلوث المياه الجوفية بسبب تدمير محطات

التنقية، أو توقفها عن العمل، مما سمح بتسرب المياه العادمة إلى الخزان الجوفي، وأيضاً نقص المياه، مما اضطر المواطنين إلى شرب مياه غير نظيفة، ملوثة بيولوجياً وكيميائياً، أو عالية الملوحة، مما أدى لانتشار الأوبئة، فيما أصبح عمق البحر إلى مسافة ٧٠٠ متر على طول قطاع غزة منطقة ملوثة، لافتاً إلى أنه حتى نهاية العام الماضي بلغ حجم الأضرار في البنية التحتية للمياه خلال الحرب المتواصلة ما يزيد على ملياري دولار أميركي.

خلص الباحث نور الدين مصالحة إلى أن العقلية السائدة في إسرائيل اليوم، كما يرد في التقرير الرسمي الإسرائيلي بشأن خيارات الحرب، تظهر أن السيناريو المفضل هو "طرد سكان غزة الفلسطينيين إلى شمال سيناء في مصر، تحت ستار الحرب وما يواكبها من دمار هائل للبنية المدنية التحتية"، وهو ما يتم وصفه إسرائيلياً باعتباره "ضرورة أمنية" بالنسبة إلى الحكومة الحالية في إسرائيل، كما إن هذا السيناريو يساهم في طمس قضية فلسطين على المستوى القومي، ويُسهّل الضم الشرعي والنهائي لأجزاء أو معظم أراضي الضفة لإسرائيل، لكن، وفي ضوء المقاومة الشديدة من جانب مصر والفلسطينيين فإن "هذا السيناريو المفضل إسرائيلياً" لا يمكن إنجازه بسهولة حالياً، وبصورة أساسية، لعدم يوجد مسوّغ شرعي دولي، ولا أي دعم يذكر لهذا السيناريو.

ملاحظات

كُتب الجزء الأكبر من أبحاث الكتاب باللغة العربية، وهناك عدد منها كُتب بالإنكليزية والفرنسية، وسيتم نشرها باللغات الثلاث على موقع المؤسسة الإلكتروني، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بالمؤسسة. ونظراً لأهميتها، من الناحيتين البحثية والتوثيقية، وإحاطتها بمختلف جوانب هذه الحرب على قطاع غزة، قررت مؤسسة الدراسات الفلسطينية إصدارها في كتاب، لما يمكن أن يشكله من مرجع مهم وأساسي وضروري للباحثين والمهتمين بهذا الشأن، فتم التوافق على نشر الأبحاث دون تحديث ما ورد فيها من أرقام وإحصاءات، بحيث تم ذكر تاريخ كتابة كل بحث على الموقع الإلكتروني للمؤسسة، وذلك منعاً لأي التباس قد يحدث، ذلك أن هذه الأبحاث كُتبت خلال فترة زمنية معينة في إطار مواكبة الحرب وتوثيقها.

كان من اللافت تراوح الأوراق بين بحثية رصينة، وأخرى تلامس مقالات الرأي، مع تفاوت مستوياتها في حال اعتبارها مرجعيّات أكاديمية، علاوة على نشر مقالات عدة للكاتب أو الباحث نفسه.

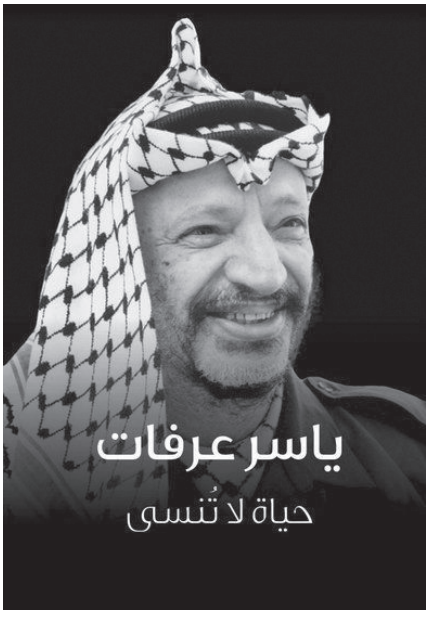

الكتاب ياسر عرفات: حياة لا تُنسى
المؤلف: طاقم مؤسسة ياسر عرفات
الناشر: مؤسسة ياسر عرفات
تاريخ النشر: ٢٠٢٤
عدد الصفحات: ١٢٠

صدر، حديثاً، عن مؤسسة ياسر عرفات كتاب «حياة لا تنسى» الذي يسرد مجموعة من المحطات الفارقة في سيرة ومسيرة الزعيم المؤسس، بدءاً من مولده في القدس تحت عنوان: «في البدء كانت القدس»، وختاماً بعنوان: «الجنازة: وداع يليق بـــ أبو الأمة».

يقرأ الكتاب المزود بملحق صور موسّع تجربة عرفات المنجدلة مع القضية الوطنية الفلسطينية من بداياتها المتمثلة بانكشافه المبكّر على الخطر الاستعماري الذي يتهدد فلسطين، وبيئات تشكّل وعيه الوطني وخبرته السياسية، مروراً بميزاته الشخصية حيث الفاعلية العالية والمبادرة وانخراطه الميداني الشجاع في العمل النضالي.

جاء في مقدمة الكتاب: تكمن «لا مألوفية» عرفات في كونه مألوفاً تماماً، فقد صنع رمزيّته المُشعّة من مقتنيات بسيطة «من حواضر البيت»: طيّةٍ مُبتكرة حوّلت الكوفية من غطاء رأس غير لافت إلى أيقونة عالمية مُلهمة، وإصبعين في كفّ يده باعد بينهما فصارا يشيران إلى النصر ويبشران به. صدّق نفسه فصدّقه الناس، وتبعوا طريقه الوعر لأنهم صدّقوا بِشارتَه الواعدةَ بضوءٍ كامنٍ هناك في آخر النفق.

هذا سرّ «أبو عمار» وهذه «خلطة» سحره؛ موهبته النادرة في استيلاد أدوات الفعل من مواد مرميّة على قارعة الطريق. لقد «صنع التاريخ» من تحويل الحصارات إلى نوافذ، والحُفر إلى جسور، والخصوم إلى مريدين، وقَبْلها: تحويل الحزن الجمعي العميق إلى غضب متفائل وفاعل.

لا يمكن حَشر ياسر عرفات بين دفّتي كتاب ولا داخل جدران مكتبة، فهو بطل حرّ في حكاية حرّية متشعبة، ضاربة الجذور مثلما هي حيّة تُرزق بالجديد كل يوم. ولأن ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جلّه، جاء هذا الكتاب محاولة تلخيص تركّز على محطات مهمة من سيرة حياة بالغة الثراء.. حياة لا تُنسى.

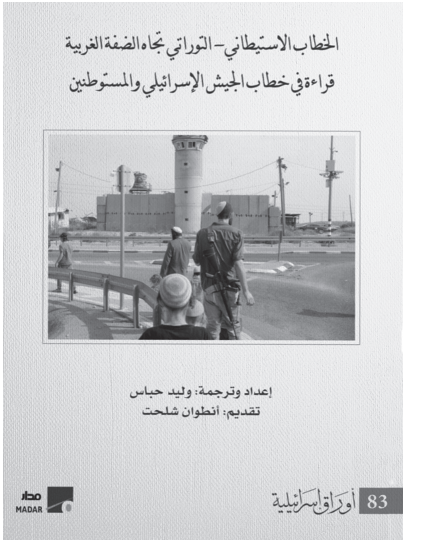

الكتاب: «الخطاب الاستيطاني- التوراتي تجاه الضفة الغربية- قراءة في خطاب الجيش الإسرائيلي والمستوطنين»
المؤلف: وليد حباس
الناشر: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار»
تاريخ النشر: ٢٠٢٤
عدد الصفحات: ١٠٠ صفحة

تقدم هذه الورقة ترجمة لأربعة نصوص إسرائيلية مختارة تسلط الضوء على الخطاب الاستيطاني-التوراتي المتعلق بالضفة الغربية أرضاً وسكاناً، المستند إلى مركبين متضافرين، كما يتجلى في النصوص: المركب الاستيطاني-الاستعماري (يقوم على تفوقية المستوطن وأحقيته في الأرض مقابل دونية الأصلاني وضرورة إقصائه عن المكان) والمركب التوراتي (يقوم على رواية دينية «مقدسة» لا ينبغي للبشر مجادلتها وهي رواية ترافق المركب الاستيطاني لِوَهبه «أخلاقية» و«رسالة سامية»).

تبدأ هذه الورقة بتوطئة كتبها مدير وحدة المشهد الإسرائيلي في المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) أنطوان شلحت، تضع النصوص المترجمة في سياق تاريخي يشدد على راهنيتها، خصوصاً في أعقاب تشكيل حكومة اليمين الاستيطانية، التي تعمل بشكل حثيث على ضم الضفة الغربية، بهدي من خطة الحسم التي وضعها سموتريتش في العام ٢٠١٧. ثم تقدم الورقة مراجعة نقدية في مفهوم الخطاب في سياق الاستعمار الاستيطاني، بالتركيز على العوامل التي تساهم في تشكيل الخطاب الاستيطاني-التوراتي. أما القسم الأكبر من هذه الورقة، فتشغَلُه النصوص المترجمة».

النص الأول في الورقة بعنوان «الضفة الغربية أو يهودا والسامرة – تغيير الاسم الرسمي في تموز ١٩٦٨»، وهو ورقة من أرشيف دولة إسرائيل، تروي جانباً من نقاش داخل الحكومة الإسرائيلية لاستبدال اسم الضفة الغربية باسم يهودا والسامرة.

أما النص الثاني المعنون بـ «السياسة البديلة في يهودا والسامرة»، فكتبه أحد قيادات التيار الاستيطاني القومي المتشدد، الذي يتنقل بين العديد من المناصب الاستشارية الحساسة المتعلقة بمصير الضفة الغربية.

النص الثالث بعنوان «لماذا لا يزال الوجود الإسرائيـــلي في المناطـــق [المحتلة] يســـمى ‹احتلالاً›؟»، لشارون آفينوعام. يدّعي النص أن الوجـــود الإسرائيلي في الضفـــة الغربية لا تنطبق عليـــه معايير القانـــون الدولي الذي يعرف «الاحتلال العســـكري»، وبالتالي فهو ليس احتلالاً. ويتم دعم هذا الخطاب من خلال الحجج والتفسيرات القانونية الانتقائية.

النص الرابع الأخير بعنوان «خمسون عاماً من الحكم العســـكري في الأراضي المحتلة»، كتبه شلومو غازيت، وهو شخصية رئيسة في الإدارة الاستعمارية، إذ كان من أوائل منسقي اللجنة الوزارية في الأرض المحتلة- والمعروفة لاحقاً بـ «وحدة المنسق». يصف النص نظام السيطرة والقمع الإسرائيليين، ويستعرض تطور الاحتلال منذ العام ١٩٦٧.

الكتاب: «في مآلات إسرائيل تحت وطأة ماضيها» - مقابلات خاصة مع نخب إسرائيلية»
المؤلف: أنطوان شلحت وبلال ضاهر
الناشر: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار»
تاريخ النشر: ٢٠٢٤
عدد الصفحات: ١٦٠ صفحة

يضمّ هـــذا الكتاب عدداً مـــن المقابلات المعمّقة التي أجريَت بـــين خريف ٢٠٠٩ وخريـــف ٢٠١٤، مع شـــخصيات بارزة وناشطة كُلّ في تخصّصها ومجالها، السياسي منها والدبلومـــاسي والأكاديمي والصحافي والأدبي، لكن القاســـم العام المشترك بينها أنها نشطت أيضاً في الفعل العام والسياسي منه خصوصاً، ليـــس داخل إطار عملها أو تخصصها فحســـب، وإنما أيضاً أوسع من ذلك. وبمفهوم ما، لعب قســـم ممن تمت محاورتهم هنا دوراً ربما تصحّ تســـميته «عضوياً» في الفعل الثقافي حين قاربوا الحيّز السياسي- الاجتماعي سعياً للتأثير والتغيير.

تمتـــد المقابلات، التي نُشرت في مجلة «قضايا إسرائيلية» الفصلية المتخصصة الصادرة من المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مـــدار، وتتفرّع في مناح عـــدة وعلى مســـتويات مختلفة، فيها السياسي والثقافي والعسكري، وكلّها معاً

داخل سياق التاريخ بأحداثه القاصمة ومحطاتـــه المصيرية التـــي أفضت إلى الراهن الســـياسي في وقـــت كل مقابلة ومقابلـــة، ولكن أيضـــاً في الوقت الذي نعيشه اليوم.

وســـوف يلاحظ القـــرّاء أن جميع المقابـــلات مـــن دون اســـتثناء ذهب المحاوَرون فيها إلى الفترة المؤسِّسة، عام النكبة ١٩٤٨ وما ســـبقه، أحياناً كجزء من التاريخ الشـــخصي لديهم وأحياناً أخرى في محاولة استعادتهم المحرّكات السياسية التي دفعت العقود الماضية في دولة إسرائيل وصولاً إلى اللّحظة الراهنة للمقابلات. وهكذا، بقصد أو دون قصد، لا تتم محاولات توصيف الحاضر ووضع التصوّرات للمستقبل سوى بالعودة إلى ذلك الماضي المتفاعـــل بما أفضى إليه في الحاضر.

قدّم للكتاب أنطوان شـــلحت، فأشار إلى أن المقابلات تنطوي على استنتاجات ومدارك يصحّ القول إنها لم تفقد شـــيئاً من صلاحيّتها الزمنيّة، خصوصاً ما يتعلّق منها بآفاق الخروج مـــن حالة الصراع ومساراته، بل حالة الحرب الدائمة التي تشـــهد وقفات تقصر أو تطول، قبل أن تعود لتتجدّد بمختلف الوتائر والأساليب والمساحات مرة بعد أخرى.

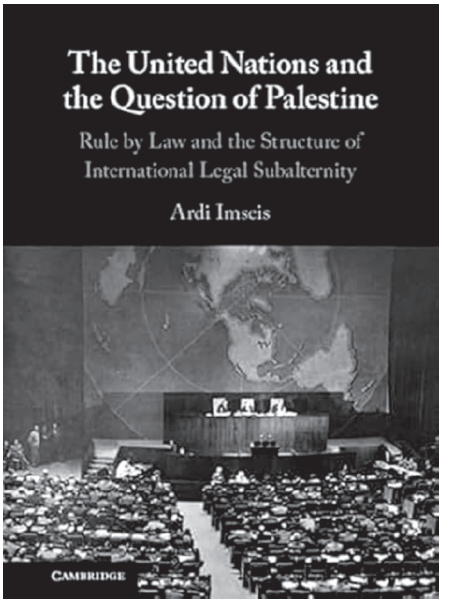

الكتاب: قانون الدولة القومية الإسرائيلي لعام ٢٠١٨: «مانيفيستو» الفصل العنصري الصهيوني (إنجليزي)
المؤلف: أنيس فوزي قاسم
الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية
تاريخ النشر: ٢٠٢٤
عدد الصفحات: ٥٠

يتضمن الكتاب تحليلاً شـــاملاً للقانون الأســـاسي الإسرائيلي: إسرائيل كدولة قومية للشعب اليهودي، الذي أقره النظام الإسرائيلي في تموز ٢٠١٨. يستعرض الجزء الأول من التاريخ التشريعي للقانـــون، الذي يعمل كقانون دستوري محتمل، في غياب دستور إسرائيلي رسمي.

ويضيء الكتاب في قسمه الثاني على المبادئ الأساسية الخمسة التي يقوم عليها القانون،

ويوضح كيف تـــم تصميمه ليمنح حقوق الجنسية والعودة والإقامة وملكية الأراضي حصرياً لليهود، ممـــا يجعله أداة لتكريس التمييز ضد الفلســـطينيين الذين تعرضوا للتهجير أو خضعـــوا للحكم الإسرائيلي في عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧.

كما يوضح الكتـــاب كيف أن القانون يمثل تتويجـــاً للمـــشروع الصهيوني الاستيطاني الذي يسعى إلى إنكار الحقوق الوطنية والإقليمية والإنسانية للفلسطينيين الأصليين.

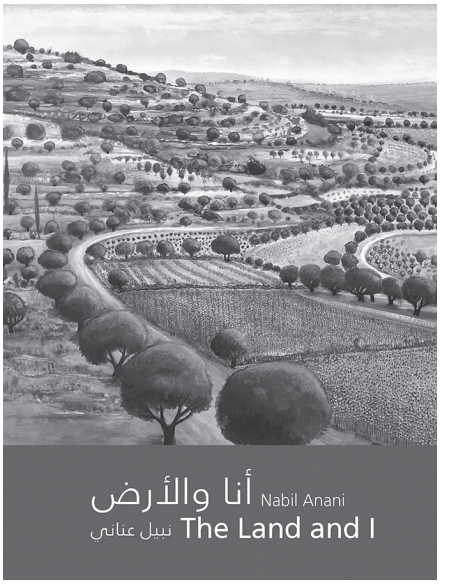

الكتاب: أنا والأرض
المؤلف: نبيل عناني
الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية
تاريخ النشر: ٢٠٢٤
عدد الصفحات: ٢٦٢

يقدم كتاب «أنا والأرض» مختارات من أعمال عناني تناول فيها المشهد الطبيعي في فلسطين منذ بداية السبعينيات حتى اللحظة في أكثر من ١٨٣ عملاً. والكتاب، بهذا المعنى، سجل لوني للمشهد الفلسطيني الذي شكّل الإلهام الأكبر لإنتاجه خلال مســـيرة فنية امتدت خمســـة عقود. وخلال هذه المسيرة، طالت المشهد الطبيعي في فلسطين تغييرات جذرية في ســـياق المحاولات الاستعمارية الصهيونية المستمرة للاستيلاء على الأرض الفلســـطينية. لذا، يأتي كتاب عناني هذا كتوثيق بصري للمشهد الطبيعي الفلسطيني على مدار السنوات، وكفعل مضاد لمحاولات طمسه المستمرة، وعمليات تغيير تضاريس الأرض الفلسطينية.

يقدم الكتاب عبد الرحيم الشيخ، الشاعر وأستاذ الفلسفة والدراســـات الثقافية في جامعة بيرزيت، من خلال دراســـة تتأمل مســـيرة عناني في رسم المشهد الفلسطيني بعنوان «يرى ما يريد». تتناول الدراســـة سبع مسائل تراوح بين الفكري والشعري والنظري والســـياسي والاجتماعي والثقافي والفني في قراءة الأعمال.

اختارت لوحـــات الكتاب القيمة رنا عناني بحيث تعكس رحلة الفنان في رســـم المشهد الطبيعي الفلســـطيني، وفق تسلسل زمني يظهر المراحل التراكميـــة التي مر بها عناني

ويبرز تطور دراساته اللونية والشكلية وتجاربه المتنوعـــة في التقنيات، بما في ذلك اســـتخدام مواد طبيعية من الأرض، واختبارات تطبيقية مســـتمرة يجريها على الملامس والتكوينات وتكرار العناصر على سطوح لوحاته.

نبيـــل عناني من مواليـــد عام ١٩٤٣ في عمواس، فلســـطين، وهو أحد مؤسسي الحركة الفنية التشكيلية في فلسطين. كان رئيساً لرابطة الفنانين الفلسطينيين، ولعب دوراً مهماً في تأسيس أول أكاديمية للفنون الجميلة في فلسطين.

الكتاب: العودة تبدأ منك [كتاب للفتيان]
المؤلف: ميسون سكرية
الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية
تاريخ النشر: ٢٠٢٤
عدد الصفحات: ٧٢

يحكي الكتاب قصة مراهقَين فلسطينيَّين من مخيم شـــاتيلا، رملة وعائد، يحاولان البحث عن وطن واكتشـــاف سبب كونهما لاجئَين، إلى أن تزورهما شجرة زيتون قديمة من فلســـطين في المنام وتتحداهما قائلة: «العودة تبدأ منكما». ونتيجة عدم قدرتهما على فهم ما تعنيه شـــجرة الزيتون بقولها هذا، شرعا في حل لغز هذه الشـــجرة؛ فهل سينجحان؟

في هـــذا الكتاب، ســـيتعرف القراء إلى أنماط التطريز التقليدي، والأغاني الشعبية في فلســـطين، وأيضاً إلى النكبة، والمقاومة الفلسطينية، وحق العودة. وهو كتاب موجّه، بصورة خاصة، إلى المراهقين، إذ يعتمد على الأسئلة التي لطالما طرحها أطفال اللاجئين الفلسطينيين حول حياتهم.

الكتاب: آفاق التعاون الاقتصادي والتكامل الفلسطيني على طرفي الخط الأخضر
المؤلف: رجا الخالدي ومجموعة مؤلفين
الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
تاريخ النشر: ٢٠٢٤
عدد الصفحات: ٣٠٤

يحتوي الكتاب على مقدمة وستة فصول وخاتمة وملحق، وهو ثمرة تعاون اثني عشر باحثاً من مؤسستين؛ هما: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس) وجمعية الجليل – الجمعية القطرية العربية للبحوث والخدمات الصحية برئاسة الباحث رجا الخالدي.

يتناول الكتاب خلفية العلاقة الاقتصادية بين الفلسطينيين على طرفَي الخط الأخضر، وقسرية علاقة الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي، والتحديات التي يواجهها الاقتصاد الفلسطيني إزاء السياسة الاستعمارية الإسرائيلية، ومدى فاعلية السياسات الاقتصادية الفلسطينية الساعية نحو التكامل الاقتصادي، والحاجات الملحة للنهوض بالاقتصاد الفلسطيني. يقع الكتاب في ٣٠٤ صفحات، شاملةً ببليوغرافيا وفهرساً عامّاً.

يبحث كتاب آفاق التعاون الاقتصادي في سبل تعزيز العلاقات الاقتصادية بين الفلسطينيين على طرفَي الخط الأخضر وتطويرها، وأنجع هذه السبل للوصول إلى ما أمكن من التكامل الاقتصادي الذي يبدو تحقيقه أمراً صعباً، نظراً إلى إحباط السياسات الإسرائيلية المنهجة التنميةَ على طرفَي هذا الاقتصاد، ونجاحها في إلحاقه بنظيره الإسرائيلي قسراً لعقود طويلة، وإعاقتها تطور القطاعات الحيوية الاقتصادية الفلسطينية زراعيّاً وصناعيّاً، وتقييدها التجارة الفلسطينية الداخلية وحصرها في مسار يخدم المصالح الإسرائيلية؛ مما أدى إلى فجوة كبيرة بين الاقتصادين في جميع المؤشرات. وفي هذا يطرح الكتاب سؤالَين محوريين؛ هما: هل ثمّة آفاق للتعاون الاقتصادي بين الفلسطينيين على طرفَي الخط الأخضر؟ وهل يمكن التوجه نحو شكل من التكامل الاقتصادي بين طرفَيه؟

يستعرض الفصل الأول الخلفية التاريخية والسياسية للعلاقات الاقتصادية بين الفلسطينيين على طرفَي الخط الأخضر.

ويشخّص الفصل الثاني واقع اقتصاد الأراضي المحتلة، وعلاقته بالاقتصاد الإسرائيلي، لتعريف القارئ بإمكاناته للتحول مصدراً للتسويق إلى الداخل الفلسطيني، أو وجهةً مُجدية للاستثمار في اقتصاد الأرض المحتلة.

ويدرس الفصل الثالث أثر السياسات الإسرائيلية في اقتصاد الداخل الفلسطيني، وأبرزَ سمات هذا الاقتصاد على مستوى المرافق والأسر والأفراد، وهي معطيات

تســـاعد في رســـم تصـــوّرٍ للعلاقات الاقتصادية بين الفلسطينيين على طرفَي الخط الأخضر.

يتناول الفصل الرابع أبرز محاور العلاقات الاقتصادية الحالية بين الفلســـطينيين على طرفَي الخط الأخضر.

ويتطرق الفصـــل الخامس إلى الآفاق الاستثمارية المستقبلية ومجالات التشبيك الاقتصادي والتجاري الرئيسة بين طرفَي الخـــط الأخضر، اعتماداً عـــلى الخريطة الاقتصاديـــة الفلســـطينية والعربية في الداخل، وتحديـــات العلاقات الاقتصادية والتجارية الحالية.

وأخيراً، يحدد الفصل الســـادس أدوار الجهـــات ذات العلاقة ومســـؤولياتها على طرفَي الخط الأخضر في مأسسة هذه العلاقة وتنظيمهـــا، والنظر إليهـــا بوصفها هدفاً استراتيجيّاً يجب السعي لتحقيقه.

الكتاب: غزة: حجر الزاوية
المؤلف: جوني منصور
الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
تاريخ النشر: ٢٠٢٤
عدد الصفحات: ٢٧٢

يقرأ الباحث والمؤرخ الفلسطيني جوني منصـــور في كتابه «غزة: حجـــر الزاوية»، الصادر حديثـــاً من «المؤسســـة العربية للدراســـات والنشر»، ما ترتب على عملية «طوفان الأقصى» وما اســـتدعته من أفكار ونقاشات.

ويحاور منصور في الكتاب الذي قدم له المؤرخ والأكاديمـــي إيلان بابيه، ما كُتب بعد «طوفـــان الأقصى» والحرب

الإسرائيلية التـــي تلتها على قطاع غزة للانتقام من أهلها رداً على العملية، من وجهات نظر تاريخية وسياسية وفكرية على اعتبار أن تاريخ السابع من أكتوبر حدث مفصلي وفارق نتجت عنه سلسلة من التحولات ســـواء في المنطقة أو على صعيد العالم.

وينطلق المؤرخ الفلســـطيني في قراءته وحـــواره من فكرة أن العمليـــة وما تلاها فتحـــا الباب عـــلى مصراعيه لنقاشـــات وحوارات تجاوزت الميدان إلى مســـتويات فكريـــة مفاهيمية تمخـــض عنها قاموس مفاهيمـــي ضم مصطلحـــات وتعريفات جديدة – قديمة، دفعت بدورها إلى مزيد من الحوارات السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، ذلك أن غزة أحدثت وستُحدث تغيّرات وتحـــولات جذرية في الوقت الحالي والمستقبل.

ولا يغفل منصور في هذا السياق الحديث عن مستقبل القضية الفلسطينية التي سعت دول كثـــيرة إلى تهميشـــها وتجاهلها لكن ما حدث في قطاع غـــزة أعادها إلى الواجهة مجدداً، ووضعها على أجندة المجتمع الدولي مرة أخرى.